

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
الدراسات العليا
قسم الدعوة والاحتساب

الهجرة في ضوء الكتاب والسنة

دراسة دعوية

(بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة)

إعداد/ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الرحمن الشويمان
المعيد في قسم الدعوة والاحتساب

إشراف فضيلة الدكتور

سعيد بن علي ثابت
الأستاذ المشارك في الكلية

١٤١٧هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
الدراسات العليا
قسم الدعوة والاحتساب

الهجرة في ضوء الكتاب والسنة

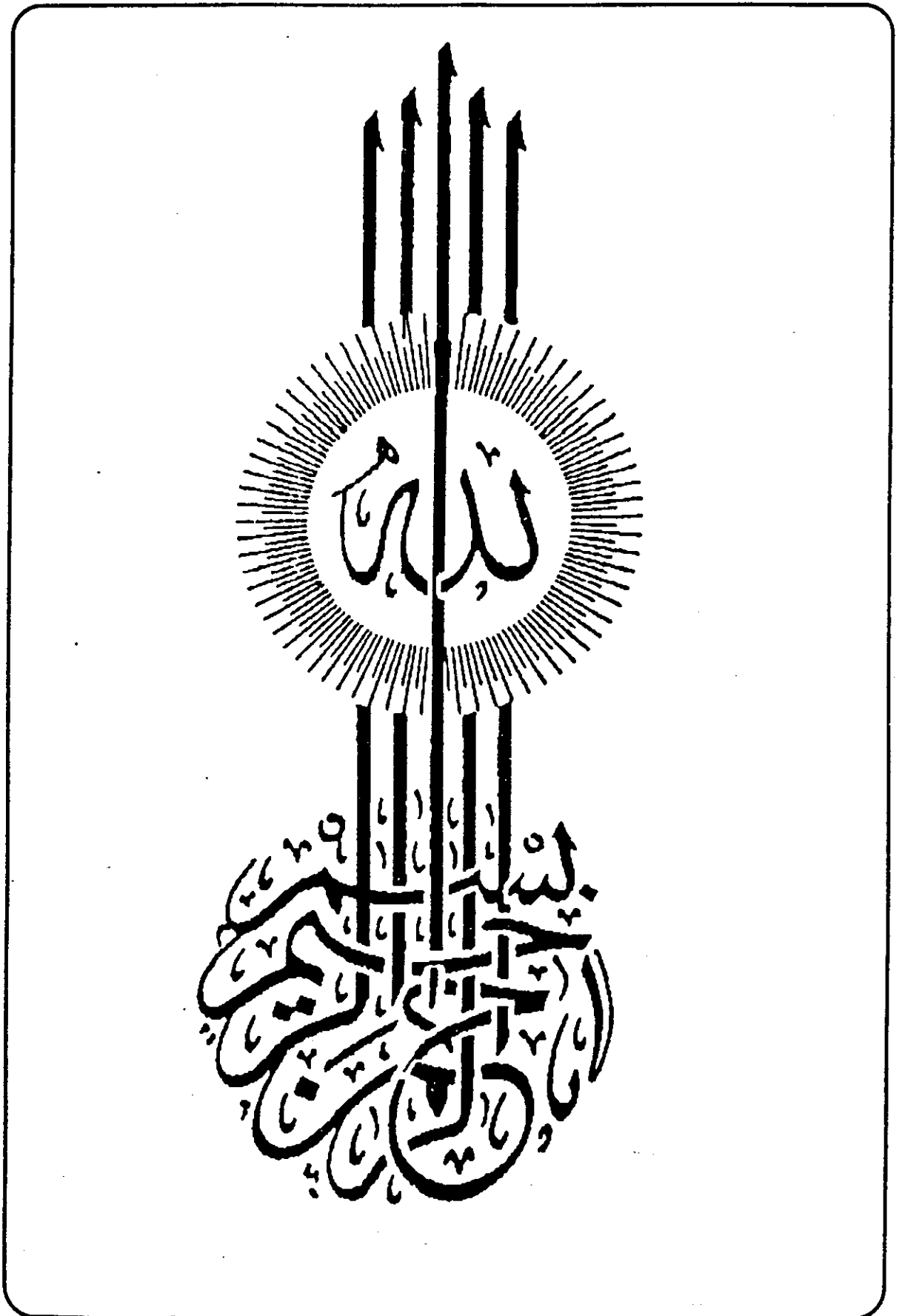
دراسة دعوية
(بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة)

إعداد/ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الرحمن الشويمان
المعيد في قسم الدعوة والاحتساب

إشراف فضيلة الدكتور
سعيد بن علي ثابت
الأستاذ المشارك في الكلية

١٤١٧هـ

المقدمة



شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فإني أحمد الله تعالى ، وأشكره وأثني عليه بما هو أهله على عونه وتوفيقه فله الحمد والشكر على ما من به عليّ حيث وفقني لاختيار هذا الموضوع ، ووفقني لإتمام هذا البحث ، وهياً لي من العلماء الناصحين من أخذ بيدي وساهم في توجيهي وإرشادي .

وبعد حمد الله وشكره أرى لزاماً عليّ أن أتوجه بالشكر الجزيل للقائمين على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية الدعوة والإعلام على ما شرفوني به من الانتساب لهذه الجامعة المعطاء ، ولقسم الدعوة والاحتساب على وجه الخصوص ، على ما يقدمه من خدمة وعناية ورعاية للعلم وأهله وطلابه .

كما أتقدم بشكري وتقديري لفضيلة عميد الكلية الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر على ما يقدمه من جهد وعناية كبيرين لأبنائه الطلاب وتذليل العقبات لهم .

كما إنني أتوجه بوافر الشكر والتقدير والدعاء لشيخني الفاضل فضيلة الدكتور/ سعيد بن علي ثابت الأستاذ المشارك في الكلية الذي أشرف على هذا البحث فأفادني من علمه ، وأحاطني برعايته وبذل لي من النصح والتوجيه - كل ذلك في تواضع جم - كان له أكبر الأثر بعد توفيق الله في إنجاز هذا البحث ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وبارك الله في عمره وجهده ، وكتب له أعظم الأجر والثوبة على ذلك إنه قريب مجيب وبالإجابة جدير .

وأخيراً أقدم عظيم شكري ، وفائق احترامي ، وصادق دعواتي لجميع الإخوة

الذين ساعدوني ومدوا يد العون إليّ في هذا البحث مع اعترافي بالعجز عن تقديم الشكر الذي أكنه في ضميري لهؤلاء في عبارات أسطرها إذ لا توفيهم بعض حقهم ، وعلى رأس هؤلاء فضيلة عميد كلية الدعوة والإعلام السابق الأستاذ الدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد ، وفضيلة الدكتور حمد بن ناصر العمار وكيل كلية الدعوة والإعلام ، وفضيلة الدكتور أحمد بن محمد أبا بطين رئيس قسم الدعوة والاحتساب .

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
من أ- ر	المقدمة
١	الباب الأول: الهجرة مكانتها وأحكامها
٢	الفصل الأول - مفهوم الهجرة ومكانتها
٣	المبحث الأول - مفهوم الهجرة
٣	المطلب الأول - تعريف الهجرة في اللغة
٥	المطلب الثاني: تعريف الهجرة في الاصطلاح
١١	المبحث الثاني: مكانة الهجرة
١٢	المطلب الأول: مكانة الهجرة في العقيدة
١٧	المطلب الثاني: مكانة الهجرة في التشريع
٢٩	المطلب الثالث: مكانة الهجرة في الدعوة
٣٦	الفصل الثاني: دوافع الهجرة
٣٧	المبحث الأول: تعريفات ومفاهيم
٤١	المبحث الثاني: دوافع الهجرة
٤١	المطلب الأول: دافع خوف الفتنة في الدين
٦٤	المطلب الثاني: دافع نشر الدعوة وتبليغها
٦٨	الفصل الثالث: أحكام الهجرة
٦٩	المبحث الأول: أحكام الهجرة الواجبة
٧٨	المبحث الثاني: الهجرة المستحبة

رقم الصفحة	الموضوع
٨٠	المبحث الثالث : سقوط الهجرة
٨٤	المبحث الرابع : استحباب البقاء في دار الكفر وكرهية الهجرة لمقصد شرعي .
٨٦	الباب الثاني : تطبيقات الهجرة وآثارها
٨٧	الفصل الأول : الهجرة في دعوة الأنبياء السابقين عليهم السلام وآثارها .
٨٨	المبحث الأول : هجرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وآثارها .
٨٨	المطلب الأول : نشأة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ودعوته
٩٤	المطلب الثاني : هجرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام
١٠٧	المطلب الثالث : آثار هجرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام
١١٣	المبحث الثاني : هجرة موسى عليه السلام وآثارها .
١١٣	المطلب الأول : نشأة موسى عليه الصلاة والسلام .
١١٥	المطلب الثاني : دعوة موسى عليه الصلاة والسلام وهجرته .
١٢٤	المطلب الثالث : آثار هجرة موسى عليه الصلاة والسلام
١٣٢	الفصل الثاني : الهجرة في دعوة النبي محمد ﷺ وآثارها .
١٣٣	المبحث الأول : مقدمات هجرة النبي ﷺ إلى المدينة
١٤٠	المبحث الثاني : خطوات هجرة النبي ﷺ إلى المدينة
١٥٣	المبحث الثالث : آثار هجرة النبي ﷺ إلى المدينة
١٥٣	المطلب الأول : أثر هجرة النبي ﷺ على الدعوة الإسلامية

رقم الصفحة	الموضوع
١٥٨	المطلب الثاني : أثر هجرة النبي ﷺ على المدعوين
١٦١	المطلب الثالث : أثر هجرة النبي ﷺ على أعداء الدعوة
١٦٣	الفصل الثالث : نماذج من هجرات السلف الصالح وآثارها
١٦٤	المبحث الأول : الهجرة الجماعية
١٦٤	المطلب الأول : هجرة الصحابة - رضي الله عنهم - إلى الحبشة
١٧١	المطلب الثاني : هجرة الصحابة - رضي الله عنهم - إلى المدينة
١٧٤	المبحث الثاني : الهجرة الفردية
١٧٤	المطلب الأول : هجرة أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه -
١٧٩	المطلب الثاني : هجرة الطفيل بن عمرو الدوسي - رضي الله عنه -
١٨٤	المطلب الثالث : هجرة عمرو بن عبسة السلمي - رضي الله عنهم -
١٨٧	المبحث الثالث : آثار هجرة السلف الصالح
١٩٢	الباب الثالث : الهجرة في العصر الحديث
١٩٣	الفصل الأول : أسباب الهجرة في العصر الحديث ومعوقاتها
١٩٣	المبحث الأول : أسباب الهجرة في العصر الحديث
١٩٦	المطلب الأول : هجرة المسلمين من الأندلس
٢١٥	المطلب الثاني : هجرة المسلمين التتار
٢٣٢	المبحث الثاني : معوقات الهجرة في العصر الحديث
٢٣٣	المطلب الأول : المعوقات الداخلية

رقم الصفحة	الموضوع
٢٣٧	المطلب الثاني : المعوقات الخارجية
٢٤٢	الفصل الثاني : المفاهيم الخاطئة للهجرة في العصر الحديث وتقويمها
٢٤٥	المبحث الأول : المفاهيم المتعلقة بدار الهجرة
٢٥٢	المبحث الثاني : المفاهيم المتعلقة بحكم الهجرة
٢٥٢	المطلب الأول : القول بوجوب الهجرة على الجميع
٢٥٥	المطلب الثاني : القول بتكفير تارك الهجرة
٢٦٥	المبحث الثالث : المفاهيم المتعلقة بجدوى الهجرة في إصلاح المجتمعات
٢٦٨	الفصل الثالث : الآثار الدعوية للهجرة في العصر الحديث
٢٦٩	المبحث الأول : الآثار الدعوية لهجرة المسلمين من الأندلس
٢٦٩	المطلب الأول : حماية الدعوة الإسلامية
٢٧١	المطلب الثاني : نشر الدعوة الإسلامية وإثراء الحركة الفكرية والعلمية في البلدان التي هاجروا إليها .
٢٧٧	المطلب الثالث : أمان المسلمين من الأذى والفتنة
٢٧٩	المطلب الرابع : تمكين المسلمين من إقامة الشعائر وإظهار الشريعة
٢٨٢	المطلب الخامس : إحياء عقيدة الولاء بين المسلمين
٢٨٣	المطلب السادس : إسهام المهاجرين في الجهاد في سبيل الله
٢٨٤	المبحث الثاني : الآثار الدعوية لهجرة المسلمين التتار
٢٨٥	المطلب الأول : أثر الهجرة في انتشار الإسلام
٢٨٧	المطلب الثاني : المحافظة على الهوية الإسلامية

رقم الصفحة	الموضوع
٢٩٣	الخاتمة
٢٩٦	التوصيات
٢٩٧	فهارس الآيات
٣١٠	فهارس الأحاديث
٣١٦	فهارس المراجع

* المقدمة المنهجية : وتشتمل على .

- ١ - خطبة الحاجة .
- ٢ - أهمية الموضوع وأسباب اختياره .
 - أ) أهمية الموضوع .
 - ب - أسباب اختيار الموضوع .
- ٣ - الدراسات السابقة للموضوع .
- ٤ - المشكلة البحثية .
- ٥ - تساؤلات الدراسة .
- ٦ - نوع الدراسة ومنهج البحث .
- ٧ - تقسيم البحث .

المقدمة المنهجية

١ . خطبة الحاجة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣) ، أما بعد (٤) :

٢ . أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

أ . أهمية الموضوع :

مرت الدعوة الإسلامية في تاريخها الطويل بصعوبات وعقبات اعترضت تقدم مسيرتها وتطورها ، ومن أهم تلك الصعوبات والعقبات موقف المجتمعات من دين الله تبارك وتعالى ودعاة الحق إليه ، فقاومت وناصبت الدعوة العدا ، واضطهدت وحرابت أتباعها بكل ما تستطيع من الوسائل ، وقد بين المولى عز وجل طرقاً من ذلك في كتابه الكريم قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٥) وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنْ

(١) سورة آل عمران آية (١٠٢) .

(٢) سورة النساء آية (١) .

(٣) سورة الأحزاب الآيتان (٧٠-٧١) .

(٤) محمد ناصر الدين الألباني - خطبة الحاجة ط ٣ [بيروت : المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ] ص ١٠ .

(٥) سورة الصف آية (٨) .

الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿١﴾ وقوله جل جلاله ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ (٢) وقوله عن محمد ﷺ ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٣) .

ولقد شرع الله للرسول عليهم الصلاة والسلام منهجاً يتأسى به الدعاء والمصلحون ، ومن يخشى على دينه الفتنة من المسلمين في كل عصر وزمن ، يتمثل في الثبات على الحق ، والسعي لنصرة هذا الدين ، حتى لو وصل الأمر بالمسلم إلى هجر بلده وقومه وعشيرته ، ولو بقي وحيداً غريباً ، ولو ذهبت أرضه ، وهلكت أمواله ، يتحمل في سبيل ذلك الشدائد والصعاب ، محققاً العبودية الكاملة لله عز وجل ، مرتفعاً بدينه وشخصه عن الذل والخضوع للعدو ، والمؤثرات في المجتمع ، راجياً فضل الله ورضوانه كما بين سبحانه ﴿ يَتَّغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٤) .

لقد عرض القرآن الكريم والسنة النبوية الهجرة بأساليب متعددة، منها ما يتعلق بالجانب التشريعي ، ومنها ما يتعلق بالجانب التطبيقي ، تجعل الباحث يحرص على استجلائها ، ودراستها ، والإستفادة منها .

وقد برز في وقتنا الحاضر مفهوم خاطئ للهجرة ، حرص الأعداء على ترسيخ هذا المفهوم ودعوة الناس إلى عصبية الأرض والوطن ، وعلى اضطهاد المسلمين وتهجيرهم من أوطانهم .

كما تبدو أهمية الهجرة من :

١ - أنها تعبير عن الولاء من الدعاء للإسلام وتضحيتهم في سبيل نصرته ،

(١) سورة الفرقان آية (٣١) .

(٢) سورة غافر آية (٥) .

(٣) سورة الأنفال آية (٣٠) .

(٤) سورة الحشر آية (٨) .

قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً .. ﴾ (١) .

٢ - أن الهجرة اقتداء وإحياء لسنن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهي في الوقت نفسه اتباع لمحمد ﷺ حيث قام بالهجرة على أكمل وجه، فكان على الدعاة المضطهدين الاستفادة من هذه السنة .

٣ - أن الهجرة للدعوة تعبير عن تحقيق العبودية لله ، حيث لا يعبد الإنسان أرضاً ينتمي إليها فيبقى بها ودينه غريب وشخصه ذليل ، بل إن عبوديته لله تهون عنده كل صعاب هذه الدنيا ، قال تعالى ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإَيَّيَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

كما أن الهجرة من أجل الدعوة تعبير عن ارتفاع الإنسان المؤمن عن الذل والخضوع للعدو قال تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ، ففيها عزة للمؤمن وإذلال للكافر ، كما تبدو أهميتها كذلك في قطع الطريق على أعداء الدعوة الذين يحاولون أن يجعلوا من بعض المسلمين تابعين لهم مستعبدين لسلطانهم .

٥ - أن الهجرة انتقال من مكان لا يتمكن فيه المؤمن من إظهار دينه ونصرة الحق وإقامته ، فهو يذهب ويهاجر إلى أرض يجد فيها راحتته ، ويأمن فيها ليخطط لنشر دين الله وتبليغه ، وهذا حصل للرسول عليهم الصلاة والسلام ممن هاجروا، ورسولنا محمد ﷺ حين ترك بلده مكة وهاجر للمدينة .

٦ - أن في الهجرة تطبيقاً عملياً لأوامر الإسلام مع تحمل الشدائد والمعوقات في سبيل ذلك .

(١) سورة النساء آية (١٠٠) .

(٢) سورة العنكبوت ، آية (٥٦) .

(٣) سورة آل عمران ، آية (١٣٩) .

٧- أن الهجرة رحلة شريفة تعطي الدليل على أن المؤمن لا ينساق مع النفس الأمارة بالسوء ، ولا مع المشتبهات التي تنزع به إلى ما يضره، وإنما يمضي في هذا الطريق ليأخذ بمبدأ الوسط حيث السياحة الشريفة التي يجمع فيها بين مصالح الدين والدنيا ، وينأى بنفسه عن السياحة التي فيها عنته ومشقته .

٨- أن الهجرة تعطي رمزاً إلى أن هجرة البدن إنما تنبثق من هجرة القلب إلى الله وبهذا تصبح الهجرة درساً عملياً في الدعوة يجمع بين عمل القلب وعمل الجوارح في طاعة الله تبارك وتعالى .

ب - أسباب اختيار الموضوع :

إن مما دفعني لاختيار هذا الموضوع أمور عدة منها :

- ١ - كون الهجرة إحدى وسائل الرسل عليهم الصلاة والسلام في حمل الدعوة التي يحسن بالدعاة التعرف عليها والإستفادة منها عند الحاجة إليها .
- ٢ - رغبة الباحث المشاركة في التعريف بأحكام الهجرة وأصولها .
- ٣ - وجود بعض الانحرافات الفكرية في تصور الهجرة عند بعض المسلمين والجماعات التي هاجرت لوجود بعض الأخطاء مما يحتم دراسة هذا الموضوع دراسة فقهية دعوية توضح الحق وتجتهد في بيان الصواب .
- ٤ - الرد العلمي على دعاة الوطنية الذين يقدمون التراب على الدين ، وأن الواجب هجر بلد الكفر من أجل نصره الدين والتضحية في سبيله .
- ٥ - على حسب علمي أن هذا البحث لم يدرس دراسة علمية دعوية مستقلة واسعة على مستوى تخصصي مماثل الدراسة الأكاديمية على مستوى الرسائل العلمية .
- ٦ - رغبة الباحث في الاستفادة من الآثار الدعوية للهجرة .

٣ - الدراسات السابقة للموضوع :

بعد الاطلاع والدراسة والبحث لم أجد دراسة علمية متخصصة تناولت موضوع الهجرة في الكتاب والسنة من منظور دعوي ، وإن وجدت بعض الدراسات في موضوع الهجرة النبوية ، وهجرة أصحاب النبي ﷺ فهي إما أن يغلب عليها السرد التاريخي ، وإما أن يغلب على دراستها جمع المرويّات الواردة فيها وتصحيحها وتخريجها .

وهذا بيان مجمل لأهم ما اطلعت عليه من الدراسات السابقة :

أ - الهجرة في القرآن الكريم (١) .

يتكون هذا البحث من مقدمة وباين وخاتمة ، ودراسة الباحث لهذا الموضوع في التفسير الموضوعي الذي يعنى بجمع ما يتعلق بالموضوع الواحد ، وقد تناولت هذه الدراسة الهجرة في القرآن بشكل عام ، وسوف أتناولها في هذا البحث من الجانب الدعوي .

ب - أحاديث الهجرة . جمع ودراسة وتحقيق (٢) .

يتكون هذا البحث من مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة .
تطرق الباحث فيه في الباب الأول إلى أحاديث هجرة الحبشة ، ومسيرة الصحابة رضوان الله عليهم في الهجرتين .

كما تطرق الباحث في الباب الثاني لمقدمات الهجرة إلى المدينة ، وفي الباب

(١) هذه الرسالة تقدم بها الباحث أحزمي سامغون جزولي إلى قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الماجستير عام ١٤١٣ هـ . والرسالة مطبوعة .
(٢) هذه الرسالة للباحث سليمان بن علي محمد السعود تقدم بها إلى قسم السنة في الجامعة الإسلامية لنيل درجة الماجستير عام ١٤٠٣ هـ ، والرسالة مطبوعة نشر مركز الدراسات الإسلامية ، برمنجهام - بريطانيا .

الثالث تحدث عن الأحاديث الواردة في مسير النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ، من انطلاقه ودخوله الغار ، ومروره بخيمة أم معبد حتى وصوله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة .

وفي الباب الرابع تطرق الباحث إلى وصول النبي ﷺ إلى المدينة واستقبال الأنصار له ، واستقراره بها ، كما ذكر الباحث بعض الأحاديث المتعلقة ببعض أحكام الهجرة والأحاديث في انقطاع الهجرة من مكة بعد فتحها .
وتحدث في الباب الخامس عن الهجرة الباقية الحسية والمعنوية وفضل أهل الهجرة .

وفرق كبير بين موضوعي وهذا الموضوع من حيث المضمون وترتيب الموضوع .

ج - هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة (١)

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

تحدث الباحث في الباب الأول عن موقف المشركين من دعوة الإسلام ، والأسباب التي جعلت المشركين يقاومون الإسلام ، والوسائل التي استخدمها القرشيون ضد الدعوة الإسلامية .

وفي الباب الثاني تطرق الباحث إلى هجرة الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى الحبشة ، وتكلم في الباب الثالث عن هجرة الرسول ﷺ وصحابته إلى المدينة ، وتحدث في نهاية هذا الباب عن أحكام الهجرة بإيجاز .

هذا بالإضافة إلى بعض الكتابات في موضوع الهجرة التي نالت فيها هجرة المصطفى ﷺ قسطاً كبيراً من الدراسة والتحليل ، والسرد التاريخي ، والتصحيح والتخريج .

(١) هذه الرسالة تقدم بها الباحث أحمد عبد الغني النجولي الجمل لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن في جامعة الأزهر - كلية أصول الدين ، والرسالة مطبوعة نشر دار الوفاء للطباعة والنشر .

ومن خلال استعراضى للدراسات السابقة للموضوع يتبين أهمية هذا الموضوع وأهمية دراسته دراسة دعوية .

وستكون دراستى - إن شاء الله - متممة لهذه الدراسات التى عنيت بالهجرة فى إطارها العام إلا أن دراستى فى هذا الموضوع ستكون من منظور دعوى ، يهدف فى الباحث إلى استنباط أساليب ووسائل وتطبيقات وآثار الدعوة المترتبة على الهجرة وأنواعها وأحكامها ، كما أن هذه الدراسة عنيت بالجمع بين الأصالة والمعاصرة .

٤ - المشكلة البحثية :

من المعلوم أن لكل بحث علمى تخصصى مشكلة معينة يسعى الباحث فى دراستها ومعرفتها ليصل فى النهاية إلى الإجابة عنها .

إن مشكلة أى بحث ما هى فى الواقع إلا سؤال لا توجد إجابة عنه فى ذهن الباحث وهو عادة يتضمن مسائل بعيدة عن الحياة الشخصية ، أو قريبة أحياناً يلزم الإجابة عنه لتحقيق فائدة معينة ، أو نفع خاص للمجتمع ، أو إضافة للعلم أو التراث النظرى^(١) .

إن الهجرة فى الإسلام لها أصولها وأحكامها وضوابطها بالنسبة للداعية والمدعو ، وحيث إنه ظهر فى الواقع المعاصر بعض المفاهيم الخاطئة فإن مشكلة البحث تنحصر فى إبراز أحكام الهجرة وأصولها وضوابطها ، وتقديم نماذج من هجرة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهجرة السلف الصالح ؛ لإزالة الفهم الخاطىء ، وتصحيح المفاهيم التى برزت فى عصرنا حولها لربط الهجرة بالمصادر الشرعية .

(١) د/ محمد الذيب عبد الكرىم - البحث العلمى التصميم والمنهج والإجراءات ط ٣ [القاهرة : مكتبة

نهضة الشرق ١٩٨٧م] ص ٢٩ .

٥ - تساؤلات الدراسة :

- ما مفهوم الهجرة في اللغة والاصطلاح الشرعي؟
- ما مكانة الهجرة في الدعوة الإسلامية ودوافعها؟
- ما أحكام الهجرة؟
- ما صور الهجرة في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام؟
- ما أصول الهجرة وأبعادها وضوابطها في هجرة النبي ﷺ؟
- ما النماذج التي يمكن التأسى بها من هجرة السلف الصالح رضي الله عنهم وآثارها؟

- ما أسباب الهجرة في العصر الحديث وما معوقاتها؟
- ما المفاهيم الخاطئة للهجرة في العصر الحديث وتقويمها؟
- ما الآثار الدعوية للهجرة في العصر الحديث؟

٦ - نوع الدراسة ومنهج البحث :

تجمع هذه الدراسة بين الاستقراء والمسح التاريخي لقضايا الهجرة حيث إن هذا البحث من البحوث التي تعتمد على أحداث الماضي البعيد منذ بزوغ شمس الرسالة ونزول الوحي على رسل الله عليهم الصلاة والسلام إلى الهجرة في العصر الحديث فقد كان من المناسب أن يستخدم من مناهج البحوث العلمية ما يلي :

أ - المنهج التاريخي :

وهو المنهج الذي يدرس الظاهرة القديمة من خلال الرجوع إلى أصلها فيصفها ويسجل تطوراتها ويحلل ويفسر هذه التطورات استناداً إلى المنهج العلمي في البحث الذي يربط النتائج بأسبابها^(١).

(١) ذوقان عبيدات وآخرون - البحث العلمي مفهومه ، أدواته ، أساليبه ط (ب . ت) [عمان : دار الفكر للنشر والتوزيع ١٩٨٨م] ص ١٧٣ .

ب - المنهج الاستقرائي :

الاستقراء هو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً^(١) وقد اعتمد الباحث على منهج الاستقراء الناقص ، وهو حصر المعلومات حول الظاهرة محل الدراسة التي هو بصددتها وتنظيم هذه المعلومات المتوافرة في قالب معين ؛ ليستنبط منها نتائج صحيحة تزود الباحث بالمقترحات والحلول^(٢) .

تقسيم البحث : تشتمل خطة البحث التي سرت عليها على ما يلي :

المقدمة المنهجية وتشمل :

- خطبة الحاجة .

- مدخل لبيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

- الدراسات السابقة للموضوع .

- المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة .

- منهج البحث .

الباب الأول : وقد خصصته للحديث عن الهجرة مكانتها وأحكامها .

الفصل الأول : مفهوم الهجرة ومكانتها

الفصل الثاني : دوافع الهجرة .

الفصل الثالث : أحكام الهجرة .

(١) عبدالرحمن بن حسن الميداني - ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ط ٣ [دمشق : دار القلم

١٤٠٨هـ] ص ١٨٨ .

(٢) د. عبد الوهاب سليمان ، كتابة البحث العلمي صياغة جديدة ط ٤ [جدة : دار الشروق للنشر والتوزيع

١٤١٢هـ] ص ٦٤ .

وأما الباب الثاني : فكان الحديث فيه عن تطبيقات الهجرة وآثارها .
الفصل الأول : الهجرة في دعوة الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام
وآثارها .

الفصل الثاني : الهجرة في دعوة النبي محمد ﷺ وآثارها .

الفصل الثالث : نماذج من هجرة السلف الصالح رضي الله عنهم وآثارها .

وأما الباب الثالث : تحدث فيه عن الهجرة في العصر الحديث .

الفصل الأول : أسباب الهجرة في العصر الحديث ومعوقاتهما .

الفصل الثاني : المفاهيم الخاطئة للهجرة في العصر الحديث وتقويمها .

الفصل الثالث : الآثار الدعوية للهجرة في العصر الحديث .

الخاتمة : نتائج البحث والتوصيات

الفهارس : والمصادر والمراجع .

الباب الأول

الهجرة مكاتها وأحكامها

الفصل الأول : مفهوم الهجرة ومكاتها.

الفصل الثاني : دوافع الهجرة.

الفصل الثالث : أحكام الهجرة.

الفصل الأول

مفهوم الهجرة ومكاتها.

المبحث الأول: مفهوم الهجرة.

المطلب الأول: تعريف الهجرة في اللغة

المطلب الثاني: تعريف الهجرة في الاصطلاح.

المبحث الثاني : مكانة الهجرة.

المطلب الأول: مكانة الهجرة في العقيدة.

المطلب الثاني: مكانة الهجرة في التشريع.

المطلب الثالث: مكانة الهجرة في الدعوة.

المبحث الأول : مفهوم الهجرة

المطلب الأول : تعريف الهجرة في اللغة

ترجع كلمة الهجرة إلى مادة (هَجَرَ) ، وقد ذكر ابن فارس - رحمه الله - أن مادة (هجر) فيها أصل يدل على القطع ، فالهاء والجيم والراء أصل يدل على قطع وقطيعة ، والهجر ضد الوصل ، وكذلك الهجران ، وهاجر القوم من دار إلى دار : تركوا الأولى للثانية (١) .

والهجر : ضد الوصل ، وقد هجره يهجره هجرًا وهجرانًا ، فالاسم الهجرة قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (٢) (٣) فالهجرة الخروج من أرض إلى أخرى (٤) .

قال ابن منظور - رحمه الله - :

" وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن ، يقال : هاجر الرجل إذا فعل ذلك ، وكذلك كل مخل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه فقد هاجر قومه ، وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومسكنهم التي نشأوا بها ، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة ، فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري ، أو سكن بلدًا آخر فهو مهاجر " (٥) .

(١) ابن فارس - معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ج ٦ ط ٢ [القاهرة : مطبعة الحلبي ١٣٩٢ هـ] مادة (هَجَرَ) ص ٣٤ .

(٢) ابن منظور - لسان العرب ج ٥ ط ١ [بيروت : دار صادر ١٤١٠ هـ] مادة (هَجَرَ) ص ٢٥٠ .
وانظر : الجوهري - الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ج ٢ ط ١ [بيروت : دار العلم للملايين (د . ن)] مادة (هَجَرَ) ص ٨٥١ .

وانظر : الزبيدي - تاج العروس ج ٣ [بنغازي : دار ليبيا للنشر والتوزيع] مادة (هَجَرَ) ص ٦١١ .
الفيروزآبادي - القاموس المحیط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ط ٣ [بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤١٣ هـ] مادة (هَجَرَ) ص ٦٣٧ .

(٣) سورة النساء : آية (١٠٠) .

(٤) الزبيدي - تاج العروس ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٦١١ .

وانظر : الفيروزآبادي - القاموس المحیط ، مرجع سابق ص ٦٣٧ .

(٥) ابن منظور - لسان العرب - مرجع سابق ج ٥ / ص ٢٥١ .

وانظر : الزبيدي - تاج العروس ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٦١١ .

والفعل (هاجر) بمعنى : ترك وطنه ، وفي التنزيل العزيز : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (١) .

فالمهاجرة في الأصل مصارمة الغير ومشاركته ، ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ (٢) (٣) .

واسم المكان : المَهَاجِرُ ، وهو : موضع المَهَاجِرَةِ .

وكذلك : المَهْجَرُ ، وهو : المكان الذي يُهَاجِرُ إليه أو منه (٤) .

فالشام مُهَاجِرُ إبراهيم عليه السلام ، وفي الحديث : «إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس إلى مُهَاجِرِ إبراهيم ، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها . .» (٥) والمدينة مُهَاجِرُ النبي محمد ﷺ .

ومما تقدم يتضح أن الهجرة في اللغة تتضمن المعاني التالية : الانتقال والترك والخروج والمفارقة .

كما يتبين للباحث أن الهجرة اكتسبت اسمها من صميم اللغة ففيها تحققت كل هذه المعاني التي تصب في معنى واحد ، وهو التحول من مكان إلى آخر بقصد تحقيق الغاية التي من أجلها تحول المهاجر من منشئه إلى هذا المكان .

(١) سورة الحشر آية : (٩) .

(٢) سورة الأنفال آية : (٧٢) .

(٣) الراغب الأصفهاني - المفردات في غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلاني [بيروت : دار المعرفة (د . ن)] مادة (هَجَرَ) ص ٩٧٣ .

(٤) د . مصطفى إبراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ح ٢ ط ٢ [إستانبول : دار الدعوة ١٤١١هـ] مادة (هَجَرَ) ص ٩٧٣ .

(٥) الإمام أحمد - المسند ج ٣ / ص ١٥٤ رقم ٦٨٧١ وقال عنه العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح ج ١١ / ص ٨٨ .

المطلب الثاني : تعريف الهجرة في الاصطلاح

جاءت الهجرة في الاصطلاح الشرعي بمعنيين ، هما :

١ - الهجرة المعنوية .

٢ - الهجرة الحسية (المادية) .

مما جعل العلماء يتناولون الهجرة تعريفاً وشرحاً واستنباطاً في إطار هذين المعنيين :

أولاً : الهجرة المعنوية :

وهي هجر ما نهى الله عنه ، وترك الفواحش والسيئات .

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » (١) .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : « المؤمن من أمنه الناس ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر السوء » (٢) . وهذا النوع من الهجرة ليس مقصوداً بذاته في هذه الدراسة .

ثانياً : الهجرة الحسية (المادية) :

وقد عرفها العلماء بأنها : الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام .

وحيث إن معرفة الهجرة مبنية على معرفة دار الكفر ودار الإسلام ، فقد اختلف العلماء بما يمكن إجماله في قولين :

(١) الإمام البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ج ١ / ص ١٠ رقم ١٠ (ك ٢ ب ٤ ح ١٠) .

(٢) الإمام أحمد - المسند ج ٣ / ص ١٥٤ رقم ١٢٥٨٣ .

وانظر : الألباني - صحيح سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب حرمة دم المؤمن وماله ج ٢ / ص ٣٤٩ رقم ٣١٧٨ (ك ٣٦ ب ٢ ح ٣١٧٨) وقال : إسناده صحيح .

١ - معرفة الدار مبني على ظهور الأحكام .

حيث يرى جمهور العلماء أن معرفة الدار بأنها دار كفر أو إسلام هو ظهور الأحكام ، قال ابن القيم - رحمه الله - : " قال الجمهور : دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون ، وجرت عليها أحكام الإسلام ، وما لم تجر عليه أحكام الإسلام لم يكن دار إسلام ، وإن لاصقها " (١) .

وقال الكاساني - رحمه الله - : " لا خلاف بين أصحابنا في أن دار الكفر تصير دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها " (٢) .

وقال البهوتي - رحمه الله - :

" إن دار الكفر هي ما يغلب عليها حكم الكفر " (٣) .

وهذا الرأي الذي ستقوم عليه الدراسة - إن شاء الله - .

٢ - معرفة الدار مبني على الأمن :

حيث يرى بعض علماء الحنفية أن معرفة الدار مبني على الأمن ، فإن أمن المسلمون في الدار ، فهي دار إسلام ، وإن لم يأمن المسلمون فيها ، فهي دار كفر ، قال الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - :

(١) ابن القيم - أحكام أهل الذمة ، تحقيق د . صبحي الصالح ج ١ ط ٣ [بيروت : دار العلم للملايين ١٩٨٣ م] ص ٣٦٦ .

وانظر : محمد بن مفلح المقدسي - الأداب الشرعية والمنح المرعية ج ١ ط (ب.ت) [القاهرة : مكتبة ابن تيمية (د.ن)] ص ١٩٠ .

(٢) علاء الدين الكاساني الحنفي - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ج ٧ ط ٢ [بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٦ هـ] ص ١٣٠ .

(٣) منصور البهوتي - كشف القناع عن متن الإقناع ج ٣ ط ١ [بيروت : عالم الكتب (د.ن)] ص ٤٣ .

وانظر : علاء الدين المرادوي - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المحجل

أحمد بن حنبل ج ٤ ط ٢ [بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٤٠٦ هـ] ص ١٢١ .

- محمد بن مفلح المقدسي - الأداب الشرعية والمنح المرعية ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٩٠ .

"إن المقصود في إضافة الدار إلى الإسلام والكفر ليس هو عين الإسلام والكفر ، وإنما المقصود هو الأمن والخوف ، ومعناه : أن الأمان إن كان للمسلمين فيها على الإطلاق ؛ والخوف للكفرة على الإطلاق ؛ فهي دار الإسلام ، وإن كان الأمان فيها للكفرة على الإطلاق ؛ والخوف للمسلمين على الإطلاق ؛ فهي دار الكفر . والأحكام مبنية على الأمان والخوف ، لا على الإسلام والكفر ، فكان اعتبار الأمان والخوف أولى" (١) .

وقد جاء تعريف الهجرة عند العلماء مستنبطاً من الكتاب والسنة :

قال الإمام الطبري - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

" وهم الذين هجروا مساكنة المشركين في أمصارهم ، ومجاورتهم في ديارهم ، فتحولوا عنهم وعن جوارهم وبلادهم إلى غيرها هجرة ، لما انتقل عنه إلى ما انتقل إليه ، وأصل المهاجرة : المفاعلة ، من هجرة الرجل الرجل للشحناء تكون بينهما ، ثم تستعمل في كل من هجر شيئاً لأمر كرهه منه ، وإنما سمي المهاجرون من أصحاب رسول الله ﷺ مهاجرين لما وصفنا من هجرتهم دورهم ومنازلهم كراهة منهم النزول بين أظهر المشركين وفي سلطانهم ، بحيث لا يأمنون فتنهم على أنفسهم في ديارهم إلى الموضع الذي يأمنون ذلك " (٣) .

وقال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قول الله عز وجل : ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ (١) .

"هم الذين تركوا دار الشرك ، وأتوا إلى دار الإيمان ؛ وفارقوا الأحباب

(١) علاء الدين الكاساني - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، مرجع سابق ج ٧ / ص ١٣١ .

(٢) سورة البقرة آية : (٢١٨) .

(٣) الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢ [بيروت : دار الفكر ١٤٠٨ هـ] ص ٣٥٥ .

(٤) سورة آل عمران آية : (١٩٥) .

والإخوان والخلان والجيران من أجل مضايقة المشركين لهم بالأذى، مما ألجأهم إلى الخروج من بين أظهرهم " (١) .

وقال ابن العربي - رحمه الله - في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (٢) " والهجرة : الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام " (٣) .

وقال الرازي - رحمه الله - في تفسير قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ (٤) " إن الهجرة تحصل بالانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان " (٥) .

وقال الشوكاني - رحمه الله - في تفسير الآية أنفة الذكر :

" الهجرة معناها الانتقال من موضع إلى موضع ، وترك الأول لإيثار الثاني ، والمراد بها هنا : الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام " (٦) .

كما جاء تعريف الهجرة المشار إليه سابقاً مستنبطاً من سنة المصطفى ﷺ أيضاً :

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها

(١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ١ ط ١ [الرياض : مكتبة دار السلام ١٤١٣ هـ] ص ٤٧٩ .

(٢) سورة النساء آية : (١٠٠) .

(٣) ابن العربي - أحكام القرآن ، تحقيق محمد علي البجاوي ج ١ ط (ب.ت) [بيروت : دار إحياء التراث العربي (د.ن.)] ص ٤٨٤ .

وانظر : الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٥ / ص ٢٣٨ .

(٤) سورة النساء آية : (٨٩) .

(٥) الرازي - التفسير الكبير ج ٩ ط (ب.ت) [بيروت : دار الفكر ١٤١٠ هـ] ص ٢٢٨ .

(٦) محمد بن علي الشوكاني - فتح القدير ، ج ١ ط (ب.ت) [بيروت : دار الفكر ١٤٠٣ هـ] ص ٢١٨ .

فهجرته إلى ما هاجر إليه « (١) .

قال ابن حجر - رحمه الله - : " الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان " (٢) .

وقال بدر الدين العيني - رحمه الله - :

" والهجرة هي مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام ؛ خوف الفتنة ، وطلب إقامة الدين " (٣) .

وقال محمد شمس الحق عظيم آبادي - رحمه الله - :

" والهجرة هي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام قصداً وعزماً " (٤) .

ويقول ابن رجب - رحمه الله - :

" وأصل الهجرة هجران بلد الشرك ، والانتقال منه إلى دار الإسلام ، كما كان المهاجرون قبل فتح مكة يهاجرون منها إلى مدينة النبي ﷺ " (٥) .

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ج ١ / ص ٣ رقم ١ (ك ١ ب ١ ح ١) .

وانظر : مسلم - صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنية) ج ٣ / ص ١٥١٥ رقم ١٩٠٧ . (ك ٣٣ ب ٤٥ ح ١٩٠٧) .

(٢) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١ ط (ب . ت) [بيروت : دار المعرفة (د . ن)] ص ١٦ .

وانظر : المباركفوري - تحفة الأحوذى ج ٥ ط ١ [بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ] ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٣) بدر الدين العيني - عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ١ ط (ب . ت) [بيروت : دار إحياء التراث العربي (د . ن)] ص ٢٣ .

(٤) محمد شمس الحق عظيم آبادي - عون المعبود شرح سنن أبي داود ج ٦ ط ١ [بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ] ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٥) ابن رجب - جامع العلوم والحكم ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ج ١ ط ٤ [بيروت : مؤسسة الرسالة (د . ن)] ص ٧٢ - ٧٣ .

ويتضح من خلال استعراض أقوال العلماء في مصطلح الهجرة ما يلي :
أولاً : أن هناك اتفاقاً بين العلماء في بيان أصل الهجرة الشرعية والباعث
عليها، وما يجب توافره في المهاجر من سلامة المقصد، ونبل الغاية التي يسعى
إليها.

ثانياً : أن المقصود الأسمى من الهجرة من دار الكفر هو إعلاء كلمة الله ونصرة
دينه، والخروج بالإسلام وأهله من مواطن الإهانة للحق إلى حيث تعلق كلمة
الحق، وترفع راية الإيمان .

والذي يقصده الباحث بالهجرة في هذه الدراسة الدعوية :
" ترك المسلم بلد الكفر خوف الفتنة، والانتقال منه إلى بلد الإسلام؛ للمحافظة على
دينه، ونشر مبادئ الإسلام وتعاليمه " .

وأهم ما اشتمل عليه هذا التعريف ما يلي :

- ١ - ترك المسلم بلد الكفر خوف الفتنة .
- ٢ - الانتقال إلى بلد الإسلام للمحافظة على الدين .
- ٣ - نشر مبادئ الإسلام وتعاليمه .

ولعل هذه الخاصية هي التي تميز مفهوم الهجرة الدعوية عن الهجرة بالمعنى
العام، وهي أيضاً ما يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى إبرازها والتأكيد
عليها.

المبحث الثاني : مكانة الهجرة

المطلب الأول : مكانة الهجرة في العقيدة

تبرز مكانة الهجرة في العقيدة من ناحيتين :

أولاً : الهجرة إحدى مظاهر الولاء والبراء :

الولاء والبراء من مظاهر إخلاص المحبة لله ولأنبيائه ولأوليائه المؤمنين ، كما أن البراء أحد مظاهر كراهية الكفار والباطل وأهله ، " فأصل الموالاتة الحب ، وأصل المعاداتة البغض ، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاتة والمعاداتة : كالنصرة والأنس والمعاونة ، وكالجهاد والهجرة ، ونحو ذلك من الأعمال " (١) .

والهجرة في سبيل الله إحدى مظاهر الولاية التي أوجبها الله على المؤمنين ، لأن المجتمع الإسلامي كل لا يتجزأ ، فالتقاء المسلمين أفراداً وجماعات على الهجرة إيماناً بمشروعيتها ، وتطبيقاً لذلك يعني تكامل المجتمع في وحدته وتعاونه وولاء بعضه لبعض في نصرته دين الله ، يؤيد ذلك أنه حينما خرج أصحاب رسول الله ﷺ من مكة ، وتركوا ديارهم وأوطانهم ، وتحولوا إلى المدينة ، كانت الهجرة الصورة العملية للولاء بين المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

(١) عبد اللطيف آل الشيخ - مجموعة الرسائل النجدية ج ٣ ط ٢ [الرياض : دار العاصمة ١٤٠٩ هـ] ص

٢٩٠ .

(٢) سورة الحشر الآيتان : (٨ ، ٩) .

لذلك أوجب الله على عباده المؤمنين الولاء، والنصرة بالقول والفعل والاعتقاد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١) وقال عز وجل ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٢).

وعن النعمان بن بشير- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (٣).

كما أنه يحصل بالهجرة البراءة من الكافرين، وإعلان العداوة لهم باطنًا باعتقاد عداوتهم وبغضهم كما قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله-: "إنه لا يستقيم للإنسان إسلام، ولو وحد الله وترك الشرك، إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) (٥) وظاهرًا بمفارقتهم، وعدم معاشتهم في مكان يعلنون فيه

(١) سورة المائدة آية: (٥٥).

(٢) سورة التوبة آية: (٧١).

(٣) البخاري- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم، ج٧/ ص١١٢ رقم ٦٠١١ (ك٧٨ ب٢٧ ح ٦٠١١).

وانظر: الإمام مسلم: صحيح مسلم واللفظ له- كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج٤/ ص١٩٩٩-٢٠٠٠ رقم ٢٥٨٦ (ك٤٥ ب١٧ ح ٢٥٨٦).

(٤) سورة المجادلة آية: (٢٢).

(٥) محمد بن عبد الوهاب- مجموعة التوحيد، ستة مواضع من السيرة، ط (ب ت) [الرياض: شركة العبيكان للطباعة (د. ن.)]. ص ٢٤٦.

مغاضبة الله ، ومخالفة هدي المرسلين بإعلان العداوة لدين الله وأوليائه ، ما دام ذلك المسلم قادراً على الهجرة ، وإلا فالإسلام منه براء ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةَ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ، إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴾ (١) .

وعن جرير بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : قال ﷺ : «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، قالوا : يارسول الله ولم ؟ قال : لا تراءى ناراهما» (٢) .

وقد جاء في القرآن ما يؤكد ذلك ، فقد خرج إبراهيم - عليه السلام - من بلده وفاضل قومه حينما عارضوه وآذوه ، قال تعالى : ﴿ فَأَمِّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) وكذلك محمد ﷺ خرج من مكة حينما تأمر الكفار على قتله ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٤) .

ثانياً : الهجرة من لوازم الإيمان :

جاءت الهجرة في القرآن قرينة الإيمان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

(١) سورة النساء آية : (٩٧ ، ٩٩) .

(٢) أبو داود - سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود .

وانظر : الألباني - صحيح سنن أبي داود ج ٢ / ص ٥٠١ - ٥٠٢ رقم ٢٣٠٤ ، (ك الجهاد ب ١٠٥ ح ٢٣٠٤) .

- الترمذي - سنن الترمذي ، في أبواب السير ، باب كراهية المقام بين أظهر المشركين .

- الألباني - صحيح سنن الترمذي ج ٢ / ص ١١٩ رقم ١٣٠٧ (ك أبواب السير ب ٤١ ح ١٣٠٧) .

(٣) سورة العنكبوت آية : (٢٦) .

(٤) سورة الأنفال آية : (٣٠) .

هَاجِرُوا وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ . وقال جل شأنه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٢) .

ولما كان طريق الهجرة محفوفًا بالعقبات والصعوبات ، كانت الهجرة إحدى ميادين الابتلاء والاختبار لصدق إيمان المهاجرين ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ ، أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٣) قال ابن كثير - رحمه الله - :

" ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يتبلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان ، كما جاء في الحديث الصحيح : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، يتبلي الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء » (٤) (٥) .

لذا جاء النداء الرباني للمؤمنين الصادقين بالمهاجرة قال تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٦) .

والهجرة في سبيل الله إحدى علامات كمال الإيمان ، قال

(١) سورة البقرة آية : (٢١٨) .

(٢) سورة التوبة : آية (٢٠) .

(٣) سورة العنكبوت آية : (١-٣) .

(٤) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٤٤٥ .

(٥) الترمذي - سنن الترمذي ، أبواب الزهد ، باب الصبر على البلاء .

وانظر : الألباني - صحيح سنن الترمذي ج ٢ / ص ٢٨٦ رقم ١٩٥٦ (ك الزهد ب ٤٥ ح ١٩٥٦) .

ابن ماجه - سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء .

الألباني - صحيح سنن ابن ماجه ، ج ٢ / ص ٣٧١ رقم ٣٢٤٩ (ك ٣٦ ب ٢٣ ح ٣٢٤٩) .

(٦) سورة العنكبوت آية : (٥٦) .

ابن العربي - رحمه الله - " وإذا كان الإيمان في القلب حقًا ظهر ذلك في استقامة الأعمال بامثال الأوامر واجتناب النواهي ، وإذا كان مجازاً قصرت الجوارح في الأعمال إذ لم تبلغ قوته إليها " (١) .

قال تعالى في صفة المؤمنين الصادقين الذين جمعوا بين الإيمان والهجرة: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢) فاستحقوا بذلك المرتبة العالية والقدح المعلى من الإيمان .

كما بين سبحانه الصنف الثاني الذين آمنوا ولم يهاجروا ، فلم يعطهم ما أعطى الصنف الأول من كمال الإيمان ، ولم يسلبهم صفة الإيمان قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ (٣) .

ويتضح مما سبق أن الهجرة في سبيل الله من لوازم الإيمان ، وأن الإيمان هو الدافع الحقيقي للمهاجرين على أن يدعوا كل شيء ، ويفروا بعقيدتهم ، ويجعلهم يتحملون كل شيء في سبيلها ، ويضحوا بمحوبات النفس والمال والأرض .

ولما كانت الهجرة إحدى مظاهر الولاء والبراء ،

(١) ابن العربي - أحكام القرآن ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٨٨٩ .

(٢) سورة الأنفال آية : (٧٤) .

(٣) سورة الأنفال آية : (٧٢) .

ومن لوازم الإيمان ، وكان في بقاء المسلم القادر تعطيل لها عند قيام
موجب الهجرة ، فقد ترتب على ذلك تفريط المسلم في حق الله ، وحق
نفسه ، وحق إخوانه المسلمين ، وحرمانه من ولايتهم ، وكمال الإيمان
الذي يحصل بها .

وهكذا يتبين لنا مكانة الهجرة في العقيدة .

(١) سورة العنكبوت آية : (٥٦) .

المطلب الثاني : مكانة الهجرة في التشريع

للحجرة مكانتها في التشريع ، وتتضح هذه المكانة من خلال النقاط التالية :

أولاً : منزلة الهجرة بين الفرائض :

لما كانت الهجرة في سبيل الله عند خوف الفتنة وعدم القدرة على إظهار الدين مما أمر الله ورسوله ﷺ به ، دل ذلك على أنها فرض على عباد الله المؤمنين ، وأنها من أعظم الواجبات التي يتحقق بها غاية وجودهم في الأرض قال تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإَيَّيَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) قال ابن كثير - رحمه الله - : " هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدر على إقامة الدين ، إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين ، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم " (٢) .

كما قد جاء الأمر الصريح بها في السنة ضمن الأوامر الخمسة التي أمر بها رسول الله ﷺ كما في حديث الحارث الأشعري - رضى الله عنه - وفيه قال ﷺ : «وأنا أمركم بخمس الله أمرني بهن : بالجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله . . .» (٣) .

ولما كانت الهجرة في سبيل الله كذلك ، كان التخلف عنها عند القدرة عليها من كبائر الذنوب ، وتاركها مرتكب حراماً وظالم لنفسه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

(١) سورة العنكبوت آية : (٥٦) .

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٤٦٢ .

(٣) الإمام أحمد - المسند ج ٤ / ص ١٣٠ رقم ١٧٢٠٩ .

وانظر : ابن خزيمة - صحيح ابن خزيمة ، أبواب الأفعال المباحة في الصلاة ، باب النهي عن الالتفات في الصلاة ج ٢ / ص ٦٤ رقم ٩٣٠ ، قال الألباني : إسناده صحيح (أبواب الأفعال المباحة في الصلاة ب ٣٥٥ ح ٩٣٠) .

تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةَ فُتْهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١﴾ .

قال ابن كثير - رحمه الله - : " فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من إقامة الدين ، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع ، وبنص هذه الآية " (٢) .

وقال الشوكاني - رحمه الله - : " وقد استدل بهذه الآية على أن الهجرة واجبة على كل من كان بدار الشرك ، أو بدار يعمل فيها بمعاصي الله جهاراً إذا كان قادراً على الهجرة ، ولم يكن من المستضعفين ؛ لما في هذه الآية الكريمة من العموم ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وظاهرها عدم التفريق بين مكان ومكان ، وزمان وزمان " (٣) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - في تفسير الآية أنفة الذكر :
" وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات ، وتركها من المحرمات ، بل من أكبر الكبائر " (٤) .

وعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال ﷺ : «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين . قالوا : يارسول الله ولم ؟ قال : لا تراءى ناراهما» (٥) .

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٤٦٢ .

(٣) الشوكاني - فتح القدير ، مرجع سابق ج ١ / ص ٥٠٤ .

(٤) عبد الرحمن السعدي - تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج ٢ ط (ب.ت) [الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١٠ هـ] ص ١٣٨ .

(٥) سبقت الإشارة إليه من هذا البحث ص ١٣ .

(١) الصنعاني - سبيل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ج ٤ ط ٣ [الرياض : مطابع جامعة الإمام

قال الإمام الصنعاني - رحمه الله - : " والحديث دليل على وجوب الهجرة من ديار المشركين من غير مكة ، وهو مذهب الجمهور " (١) .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : " وهذا محمول على من لم يأمن على دينه " (٢) .

بل إن تارك الهجرة الواجبة قد يفوت على نفسه مصالح عظيمة ، منها الأجر والثواب اللذان وعد الله بهما عباده المهاجرين ، واللذان لا يحصلان إلا بالهجرة .
ثانياً : الهجرة ماضية إلى يوم القيامة :

إن الهجرة التي سنّها الأنبياء - عليهم السلام - سنة باقية ، وشريعة ماضية إلى يوم القيامة ، يدفع بها المؤمنون ما يعترض دينهم من الأذى والفتنة حتى تقوم الساعة ، وقد ورد في السنة ما يقرر هذا المعنى ويؤكدّه .
فمن ذلك :

١ - ما رواه معاوية - رضي الله عنه - قال : قال ﷺ : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » (٣) .

٢ - ما رواه جنادة بن أبي أمية - رضي الله عنه - قال : إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال بعضهم : إن الهجرة قد انقطعت ، فاختلفوا في ذلك ، قال : فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إن أناساً يقولون إن الهجرة قد انقطعت ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد » (٤) .

قال ابن كثير - رحمه الله - بعد إيراده الأحاديث التي ورد فيها النهي عن

(١) الصنعاني - سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ج ٤ ط ٣ [الرياض : مطابع جامعة الإمام ١٤٠٥هـ] ص ٨٩ .

(٢) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٦ / ص ٣٩ .

(٣) الإمام أحمد - المسند ج ٤ / ص ٩٩ رقم الحديث ١٦٩٥٢ .

وانظر : الألباني - صحيح سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب الهجرة هل انقطعت ج ٢ / ص ٤٧٠ رقم ٢١٦٦ وقال عنه صحيح (ك الجهاد ب ٢ ح ٢١٦٦) .

(٤) الإمام أحمد - المسند ج ٤ / ص ٦٢ رقم الحديث ١٦٦٤٨ .

الهجرة بعد الفتح : " وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة قد انقطعت بعد فتح مكة ؛ لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً ، وظهر الإسلام ، وثبتت أركانه ودعائمه ، فلم تبق هجرة ، اللهم إلا أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب ، وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم ، فتجب الهجرة إلى دار الإسلام ، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء " (١) .

ومن الأحاديث الدالة على بقاء الهجرة إلى يوم القيامة الهجرة إلى الشام في آخر الزمان عند ظهور الفتن ، ما رواه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها . . . » (٢) .

ثالثاً : الهجرة في منزلة الجهاد في سبيل الله :

وقد جاءت الهجرة في القرآن قرينة الجهاد في سبيل الله قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ (٣) وقال عز وجل ﴿ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا .. ﴾ (٤) .

وقد جاء في السنة ما يؤكد أن الهجرة بمنزلة الجهاد في سبيل الله :

عن عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - قال : قال رجل : يا رسول الله ، ما الإسلام ؟ قال : أن يسلم قلبك لله عز وجل ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك ، قال : فأبي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان ، قال : وما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٤ / ص ٣٢٠

وللاستزادة انظر : - ابن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٦ .

- ابن العربي - أحكام القرآن ، مرجع سابق ج ١ / ص ٤٨٤ .

(٢) الإمام أحمد - المسند ج ٢ / ص ١٥٤ رقم ٦٨٧١ وقال عنه العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح ،

وقد سبقت الإشارة إليه في هذا البحث ص ٤ .

(٣) سورة الأنفال آية (٧٢) .

(٤) سورة آل عمران آية : (١٩٥) .

وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، قال : فأبي الإيمان أفضل ؟ قال : الهجرة ، قال : فما الهجرة ؟ قال : أن تهجر السوء ، قال : فأبي الهجرة أفضل : قال : الجهاد ، قال : وما الجهاد ؟ قال : أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم ، قال : فأبي الجهاد أفضل ؟ قال : من عقر جواده وأهريق دمه ، قال رسول الله ﷺ : ثم عملان هما من أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما : حجة مبرورة أو عمرة « (١) .
وإذا أطلق لفظ الهجرة في سبيل الله ، فإنما يراد به هذا النوع من الهجرة (٢) .

رابعاً : فضل الهجرة وثوابها :

الهجرة في سبيل الله من أفضل الأعمال ، وقد ورد في فضلها وثوابها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة مما يدل على عظم مكانتها .

وقد جاء في سنة المصطفى ﷺ ما يؤكد فضل الهجرة في سبيل الله وعظم شأنها ، فمن ذلك :

- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن الهجرة فقال : ويحك إن شأن الهجرة شديد ، فهل لك من إبل ؟ قال : نعم قال : فهل تؤدي صدقتها؟ قال : نعم ، قال : فاعمل من وراء البحار ، فإن الله لن يترك من عملك شيئاً " (٣) .

(١) الإمام أحمد - المسند ج ٤ / ص ١١٤ رقم ١٧٠٦٨ .

(٢) ولزيد من الإيضاح نقول : الهجرة في حقيقتها جهاد ، فهي جهاد للنفس ضد حظوظها وشهواتها كما قال ﷺ (والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) ، وهي جهاد الشيطان حيث يحول بين المسلم وهجرته التي يحافظ بها على دينه كما قال ﷺ « إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام . . ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : تهاجر وتدع أرضك وسمائك . فعصاه فهاجر . . » .

انظر : الإمام أحمد - المسند ج ٣ / ص ٤٨٣ رقم ١٦٠٠٠ .

الألباني - صحيح سنن النسائي ، كتاب الجهاد ، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد ج ٢ / ص ٦٥٧ رقم ٢٩٣٧ وقال : صحيح (ك ٢٥ ب ١٩ ح ٢٩٣٧) .

(٣) أبو داود - سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الهجرة وسكن البدو .

وانظر : الألباني - صحيح سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الهجرة وسكن البدو ج ٢ / ص ٤٧٠ وقال : صحيح (ك الجهاد ب ١ ح ٢١٦٤) .

الألباني - صحيح سنن النسائي ، كتاب البيعة ، باب شأن الهجرة ج ٣ / ص ٨٧٣ رقم ٣٨٨٢ =

وعن مجاشع قال : " أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح ، فقلت يا رسول الله جئتك بأخي لتبأيعه على الهجرة قال : «ذهب أهل الهجرة بما فيها» ، فقلت : على أي شيء تبأيعه ؟ قال : «أبأيعه على الإسلام والإيمان والجهاد» ، فلقيت معبداً بعد - وكان أكبرهما - فسألته فقال : صدق مجاشع " (١) .

وعن أبي مسعود البدرى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « يوم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، وأقدمهم قراءة ، فإن كانوا في القراءة سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سنًا » (٢) .

والهجرة في سبيل الله من أعلى مراتب الإسلام من ناحية الأجر والثواب ، ولقد أعد الله لعباده المهاجرين في سبيله في الدنيا والآخرة من الكرامة والفضل ، وعلو المنزلة في الآخرة الخير الكثير ، ومما جاء في ذلك :

١ - ما أعد الله تعالى للمهاجر في سبيله :

أ - سعة الرزق في الدنيا :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (٣)

قال ابن كثير - رحمه الله - : " السعة : الرزق ، قاله غير واحد ، منهم قتادة حيث

(ك) ٣٩ ب ١١ ح (٣٨٨٢) .

(١) الإمام البخاري - صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح ج ٣ / ص ١١٤ ح ٤٣٠٦ . (ك) ٦٤ ب ٥٣ ح ٤٣٠٥ - ٤٣٠٦ .

(٢) الإمام البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب التعرب في الفتنة ج ٨ / ص ١٢٠ ح ٧٠٨٧ (ك) ٩٣ ب ١٤ ح (٧٠٨٧) .

وانظر : الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ج ١ / ص ٤٦٥ رقم ٦٧٣ (ك) ٥٣ ب ٥٣ ح (٦٧٢) .

الألباني - صحيح سنن النسائي ، كتاب البيعة [من المجتبى] ، باب المرتد أعرابياً بعد الهجرة ج ٣ / ص ٨٧٧ ح ٣٩٠٢ (ك) ٣٩ ب ٢٣ ح (٣٩٠٢) .

الإمام أحمد - المسند ج ٥ / ص ٢٧ رقم ٢٠٣٢٦ .

(٣) سورة النساء آية : (١٠٠) .

قال في قوله ﴿يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ أي من الضلالة إلى الهدى ، ومن القلة إلى الغنى " (١) .

وقال جل وعلا : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ (٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

" قال ابن عباس والشعبي وقتادة : المدينة وقيل : الرزق الطيب في الدنيا والآخرة ، قال مجاهد : ولا منافاة بين القولين ، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم ، فعوضهم الله خيراً منها في الدنيا ، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله بما هو خير له منه " (٣) .

وقد حقق الله هذا الوعد للمهاجرين من أصحاب النبي ﷺ ، فحينما هاجروا إلى المدينة جعل الله لهم الفيء ، والغنيمة من أموال اليهود قال تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٤) .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

" يقول تعالى مبيناً حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي أخرجوا من ديارهم ، وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي

(١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ١ / ص ٥٩٧ .

(٢) سورة النحل آية : (٤١) .

(٣) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٦٢٨ .

(٤) سورة الحشر آية : (٨) .

هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين " (١) .

ب - ثبوت الأجر حال الوفاة في طريق الهجرة :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ... ﴾ (٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

" ومن يخرج من منزله بنية الهجرة ، فمات في أثناء الطريق ، فقد حصل له الثواب من الله على هجرته ، كما ثبت في الصحيحين في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، ثم أكمل بذلك العابد المائة ، ثم سأل عالماً : هل له من توبة ؟ فقال له : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أرشده إلى أن يتحول من بلده إلى بلد أخرى يعبد الله فيها ، فلما ارتحل من بلده مهاجراً إلى البلد الأخرى أدركه الموت في أثناء الطريق ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقال هؤلاء : إنه جاء تائباً ، وقال هؤلاء : إنه لم يصل بعد ، فأمروا أن يقيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيهما كان أقرب فهو منها ، فأمر الله هذه أن تقترب من هذه ، وهذه أن تبعد ، فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر ، فقبضته ملائكة الرحمة » (٣) (٤) .

وعن عبد الله بن عتيك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « من خرج من بيته مجاهداً في سبيل الله فخر عن دابته فمات ، أو لدغته حية فمات ، أو مات حتفه ، فقد وقع أجره على الله . ومن مات قعصاً فقد استوجب المئاب » (٥) .

(١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٤ / ص ٣٥٦ .

(٢) سورة النساء آية : (١٠٠) .

(٣) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ج ٤ / ص ١٧٩ رقم ٣٤٧٠ (ك ٦٠ ب ٥٤ ح ٣٤٧٠) .

وانظر : مسلم - صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله ج ٤ / ص ٢١١٨ رقم ٢٧٦٦ (ك ٤٩ ب ٨ ح ٢٧٦٦) .

(٤) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ١ / ص ٥٩٧ .

(٥) الإمام أحمد - المسند ، ج ٤ / ص ٣٦ رقم ١٦٤٦١ .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ فنزلت ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاجِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١) (٢) .

٢ - : مغفرة الذنوب وتكفير السيئات :

قال تعالى : ﴿ فَأَلْذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ (٣) وقال جل جلاله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) .

وقد جاء في السنة المطهرة ما يؤكد أن الهجرة من أعظم الأسباب المكفرة للذنوب والخطايا، فعن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة؟ - قال حصن كان لدوس في الجاهلية - فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار ، فلما هاجر النبي ﷺ هاجر إليه الطفيل بن عمرو الدوسي ، وهاجر معه رجل من قومه ، فاجتوا المدينة فمرض فجزع ، فأخذ مشاقص له فقطع بها براحمه ، فشخت يده حتى مات ، فرآه الطفيل ابن عمرو في منامه ، فرآه وهيئته حسنه ، ورآه مغطياً يديه ، فقال له : ما صنع بك ربك؟ فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ ، فقال : مالي أراك مغطياً يديك؟ قال : قيل لي : لن نصلح منك ما أفسدت ، فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : اللهم وليديه فاغفر (٥) .

(١) سورة النساء آية (١٠٠) .

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ؛ مرجع سابق ج ١ / ص ٥٩٨ .

وانظر : القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ط (ب . ت) [بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥ هـ] ص ٣٤٩ .

(٣) سورة آل عمران آية : (١٩٥) .

(٤) سورة النحل آية : (١١٠) .

(٥) الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر ج ١ / ص ١٠٨-١٠٩ رقم ١١٦ (ك ١ ب ٤٩ ح ١١٦) .

وانظر : الإمام أحمد - المسند ج ٣ / ص ٣٧٠-٣٧١ رقم ١٥٠٢٤ .

ومن الأحاديث التي تدل على أن الهجرة مكفرة للذنوب والسيئات ، ما ورد أن الهجرة تهدم ما كان قبلها من الذنوب والمعاصي .

فعن أبي شماسه المهري قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت ثم ذكر الحديث . . إلى أن قال : فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت : ابسط يمينك فلأبايعنك ، فبسط يمينه ، قال : فقبضت يدي ، قال : مالك يا عمرو؟ قال : قلت : أردت أن أشرط ، قال : تشترط بماذا؟ قلت : أن يغفر لي ، قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ «(١) .

٣ - : سمو درجة المهاجرين وعلو منزلتهم :

ومما وعد الله به عباده المهاجرين في سبيله سمو درجاتهم ، وعلو منزلتهم ، والموصوفون بهذه الصفة في غاية الجلالة والرفعة كما يقول الرازي - رحمه الله - (٢) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٣) .

وقد ذكر أبو السعود - رحمه الله - أن المتصفين " بهذه الأوصاف الجميلة أعلى رتبة - وأكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائناً من كان ، وإن حاز جميع ما عداها من الكمالات " (٤) .

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما كان قبله ، وكذا الهجرة والحج ج ١ / ص ١٢ رقم ١٢١ (ك ١ ب ٥٤ ح ١٢١) .

وانظر : الإمام أحمد - المسند ج ٤ / ص ١٩٨ - ١٩٩ رقم ١٧٨١٢ .

(٢) الرازي - التفسير الكبير ، مرجع سابق ج ١٦ / ص ١٤ .

(٣) سورة التوبة آية : (٢٠) .

(٤) أبو السعود ، تفسير أبي السعود ج ٣ ط (ب . ت) [بيروت : دار إحياء التراث العربي (د . ن)] ص ٥٣ .

وقال عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

قال ابن كثير - رحمه الله - في قول الله تعالى ﴿ وَلَآجِرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ ﴾ أي مما أعطيناهم في الدنيا ، أي لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر الله لمن أطاعه واتبع رسوله ، ولهذا قال هشيم عن العوام عن حدثه : إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول : خذ بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك الله في الدنيا ، وما ادخر لك في الآخرة أفضل ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ " (٢) .

٤ - فوز المهاجرين برضا الله ودخول الجنة :

وقد بين سبحانه ما للمهاجر في سبيله من الكرامة في الآخرة :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - : " وفي هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال المذكورة حصل له مغفرة الله ، إذ الحسنات يذهبن السيئات ، وحصلت له رحمة الله ، وإذا حصلت له الرحمة ، حصل على كل خير في الدنيا والآخرة " (٤) .

وقد بين جل وعلا أن المتصفين بهذه الصفة هم الفائزون قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

(١) سورة النحل آية : (٤١) .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٦٢٨ .

(٣) سورة البقرة آية : (٢١٨) .

(٤) عبد الرحمن السعدي - تفسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٧٠ .

الْفَائِزُونَ ﴿ (١) وبين جل وعلا ما ينتظرهم فقال : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

وقد جاء في السنة المطهرة أن المهاجرين في سبيل الله هم أول زمرة يدخلون الجنة، فعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال : قال لي رسول الله ﷺ : « أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، فقال : المهاجرون يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ، ويستفتحون ، فيقول الخزنة : أو قد حوسبتم ؟ فيقولون : بأي شيء نحاسب ؟ وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك . قال : فيفتح لهم ، فيقبلون فيه أربعين عاماً قبل أن يدخلها الناس » (٣) .

كما جاء أيضاً أن المهاجرين في سبيل الله يأمنون من الفزع يوم القيامة ويجلسون على منابر من ذهب كرامةً وفضلاً ، فعن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : « للمهاجرين ، منابر من ذهب يجلسون عليها يوم القيامة قد آمنوا من الفزع ، قال : ثم يقول أبو سعيد : والله لو حبوت بها أحداً لحبوت بها قومي » (٤) .

ولا غرو بعد كل هذا أن يفوز المهاجرون في سبيل الله برضوان الله ورحمته وجنته .

ويتضح مما سبق مكانة الهجرة في التشريع ، ومكانة المهاجرين وجزاؤهم في

الدنيا والآخرة .

(١) سورة التوبة آية : (٢٠) .

(٢) سورة التوبة الآيتان : (٢١ ، ٢٢) .

(٣) الحاكم- المستدرک علی الصحیحین كتاب الجهاد . ج ٢ / ص ٧٠ قال عنه : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤) الحاكم- المستدرک علی الصحیحین كتاب معرفة الصحابة ج ٤ / ص ٨٧ رقم ٦٩٦٥ قال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

المطلب الثالث : مكانة الهجرة في الدعوة

وللهجرة مكانتها في الدعوة، ويتضح ذلك من خلال :

أولاً : الهجرة ضرورة لحماية الدعوة:

فالهجرة- قد تكون في بعض أحوالها- ضرورة لحماية الدعوة ، تقتضيها ظروف الدعوة في مواجهة أعدائها، فالهجرة حينذاك ليست واجباً فحسب ، وليست قضية أجر ومثوبة ، وإنما هي ضرورة تحتمها ظروف الدعوة للانطلاق والنشر ، وللحفاظ على الدعوة ، وإيجاد بيئة خصبة مناسبة لتقبلها، وتستجيب لها، وتذود عنها .

" إن بقاء الدعوة في بيئة قاحلة لا يخدمها، بل قد يعوق مسارها، ويشل حركتها، وقد يعرضها للانكماش داخل أضيق الدوائر، فلا تملك أن تتنفس الهواء الطلق الذي هو ضروري لسلامتها وبقائها " (١) لذا كانت الهجرة في سبيل الله ضرورة لتحقيق أهداف الدعوة وغاياتها .

ومن الشواهد التي تؤكد أن القيام بالهجرة تحتمه ظروف الدعوة، وتجعله إجراءً ضرورياً لسيرها ما كانت عليه الدعوة في مكة خاصة بعد وفاة أبي طالب وخديجة بنت خويلد-رضي الله عنها- حين وقف أعداء هذه الدعوة صفاً واحداً وتحالفوا على حربها بشتى الوسائل ، وإيذاء النبي ﷺ وأصحابه، ومحاولة قتله ﷺ بعد اتفاهم على ذلك في دار الندوة .

ونتيجة لهذه الأسباب أخذ النبي ﷺ يسعى للتخطيط للخروج بالدعوة، ويبحث عن قاعدة أخرى غير مكة تحمي الدعوة ، وتكفل لها الحرية، وتتخلص من التجميد الذي انتهت إليه، والتي حتمت الهجرة، ولقد تمت هجرة

(١) محمد السمان- الهجرة بدانة مراحل التحول والانطلاق ط (ب . ت) [القاهرة : مجمع البحوث

الإسلامية ١٩٧٢ م] ص ٦ .

الرسول ﷺ إلى المدينة تحت ظروف حتمت هذه الهجرة ، وجعلتها إجراءً ضرورياً لحماية الدعوة .

كما أن القيام بالهجرة في مثل تلك الأحوال لحماية الدعوة والانطلاق بها أمر يتطلبه العقل حين يخطط أعداء الدعوة للقضاء عليها ، ويقررون التخلص من أتباعها ، " فلو لم تكن الهجرة توقيفاً سماوياً يتلقاه محمد ﷺ عن ربه ، لكانت في منطق العقل الراشد ضرورة حياة ووجود ومصير . . لتلك الدعوة " (١) . وبهذا يتبين أن الهجرة ضرورة لحماية الدعوة خاصة إذا توقف ظهور الدعوة عليها .

ثانياً : الهجرة سنة الرسل - عليهم السلام - في حمل الدعوة :

لقد كانت الهجرة من أجل الدعوة سنةً للمرسلين عليهم الصلاة والسلام في حمل الدعوة ، وطريقاً للمحافظة عليها من بغي الباغين ، وعداوة الطاغين ، ولم يكن النبي ﷺ أول من هاجر بدينه ، ولم تكن مكة منطلق الهجرة الدينية الأولى ، بل سبقه بها بعض إخوانه من الأنبياء والرسل عليهم السلام ؛ لينشر كل منهم دعوته ، بدأها الخليل - عليه السلام - كما قال تعالى : ﴿ فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) وسارها - موسى عليه السلام - كما قال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ﴾

(١) توفيق محمد سبع - أضواء على الهجرة ط (ب.ت) [القاهرة : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية

١٣٩٣هـ] ص ٣٦٢ .

(٢) سورة العنكبوت آية : (٢٦) .

فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿١﴾ وأوحاها الله إلى محمد ﷺ فعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب . . » (٢) كما أعلمه بذلك ورقة بن نوفل في بداية الوحي عندما سأله عن حقيقة ما رآه في غار حراء : « والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء به موسى ولتكدبته ، ولتؤذيته ، ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه » (٣) .

كما يروي البخاري - رحمه الله - بسنده أن النبي ﷺ لما سمع إخراجهم من ورقة قال له : أو مخرجي هم ، قال ورقة : نعم . لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي " (٤) وقد بقي النبي ﷺ بمكة حتى خرج منها مهاجراً بعد اجتماع الكفار حول داره من أجل قتله ، فتمت له عليه - الصلاة والسلام - سنة إخوانه المرسلين ممن هاجروا (٥) .

وبذلك سن الرسل - عليهم السلام - الهجرة لمن أتى بعدهم من المصلحين والدعاة ، ومن يخشى على دينه الفتنة من المسلمين .

ثالثاً : الهجرة من أهم وسائل الدعوة :

تعد الهجرة إحدى وسائل نشر الدعوة ، ونقلها من بيئة إلى أخرى ، بل هي

(١) سورطه الآيات : (٧٧ - ٧٩) .

(٢) الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ ج ٤ / ص ١٧٧٩ - ١٧٨٠ رقم ٢٢٧٢ (ك ٤٢ ب ٤ ح ٢٢٧٢) .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية ج ١ ط ٤ [بيروت : دار الكتاب العربي ١٤١٣ هـ] ص ٢٧٠ .

(٤) الإمام البخاري - صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ج ١ / ص ٤ رقم ٣ (ك ١ ب ٣ ح ٣) .

(٥) ستكلم - إن شاء الله - بالتفصيل عن الهجرة في دعوة الأنبياء السابقين عليهم السلام في الفصل الأول من الباب الثاني ص : ٨٧ - ١٣١ ، وعن هجرة النبي ﷺ في الفصل الثاني من الباب الثاني ص ١٣٣ - ١٥٢ .

من أهم وسائل نشر الدعوة إذا توقف ظهور الدعوة عليها .

والوسيلة " هي القناة الموصلة للغاية ، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس " (١) .

وترجع أهمية هذه الوسيلة في الدعوة لما لها من دور وأثر في حماية الدعوة ونشرها ، وتهيئة المناخ المناسب لها ، وإيصال الدعوة للمدعوين ، وقد لجأ إليها بعض الرسل الكرام - وعلى رأسهم الخليلان - عليهما السلام - في نقل الدعوة مما كان سبباً في نجاحها (٢) ، كما أنها من أهم الوسائل في المحافظة على المؤمنين من الأذى والفتنة في الدين .

وقد شرعت لتكون إحدى الوسائل التي تحقق أهداف الدعوة وغاياتها ، وقد أسهمت وبلا شك في تحقيق الأهداف والغايات التي من أهمها الحفاظ على الدين وأهله ، ونشر مبادئ الإسلام وتعاليمه .

فالهجرة لها دور رئيس في تحقيق الاتصال بين الدعاة والمدعوين ، مما يهيئ المناخ المناسب للدعوة للانطلاق والنشر ، وهذا الاتصال هو الأكثر قوة وتأثيراً بين كافة أنواع الاتصال ، إذ ما يزال الاتصال الشخصي - كما يرى المختصون - يحتفظ بمكان الصدارة بين أشكال الاتصال الأخرى " (٣) .

ونتيجة لما كان للاتصال الشخصي من قوة تأثيرية ، فقد كان وسيلة الدعوة

(١) د . سيد محمد الساداتي الشنقيطي - ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ، ط ١ [الرياض : دار عالم الكتب ١٤١٥هـ] ص ١٢٤ .

(٢) سيتضح ذلك - إن شاء الله - في الباب الثاني - الفصل الأول والثاني . ص : ٨٧ - ١٦٢ .

(٣) د . علي عجبوة وآخرون - مقدمة في وسائل الاتصال ط ١ [جدة : مكتبة مصباح ١٤٠٩ هـ] ص ٣٦ .

وانظر : د / إبراهيم إمام - أصول الإعلام الإسلامي ط (ب . ت) [القاهرة : دار الفكر العربي (د . ن)] ص ٥٧ - ٥٨ .

الأولى التي استخدمها الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في تبليغ رسالات ربهم ، وقد تكون الهجرة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق الاتصال المباشر بين الداعية ، والمدعو مما يكون سبباً في تهيئة المناخ المناسب للدعوة ، مما يجعل الداعية يهاجر إلى الأرض التي يتمكن فيها من الاتصال المباشر بالمدعوين ، مما يكفل - بإذن الله - تحقيق الاستجابة المنشودة ، وهذا ما فعله الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - ، وكان سبباً في نجاح الدعوة وانطلاقها ونشرها .

" ولقد ثبت بالتجربة أن الهجرة من أنجح الوسائل لنشر الدعوة ، وأن الدعاة إلى الله متى هاجروا بدينهم مخلصين لله هجرتهم ، لا يبغون من ورائها إلا رضاء الله - تبارك وتعالى - ، ويُجري الله الخير على أيديهم ، فتفتح لهم القلوب ، ويجتمع عليهم الناس ، ويؤازرون دعوتهم ، وينشرون عقيدتهم ، ويوسع الله لهم في أرزاقهم ويسبغ عليهم نعمته " ^(١) قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ^(٢) .

ومما يوضح ذلك أن النبي ﷺ لما قابل الأنصار في موسم الحج ، وعرض عليهم الدعوة قالوا له : « يارسول الله : إن بيننا وبين الرجال حبلاً ، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ، أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال : فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم ، وأنتم مني ، أحارب من حاربتكم ، وأسالم من سالمتم » ^(٣) .

كما أن الهجرة من أهم الوسائل للمحافظة على المؤمنين ، ودرء الأذى والفتنة

(١) د . محمد السيد الوكيل - تأملات في سيرة الرسول ﷺ ط ٢ [جدة : دار المجتمع للنشر والتوزيع

١٤١٠هـ] ص ٩٣ .

(٢) سورة النساء آية : (١٠٠) .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٨٩ .

عنهم من أعدائهم ، ومما يؤكد على ذلك أن النبي ﷺ لما رأى ما يلقاه أتباعه من الأذى والفتنة ، فكرّ في وسيلة تنقذهم من الفتنة ، فكانت الهجرة الوسيلة المناسبة لذلك ، فانطلقوا لأرض الحبشة ؛ ليجد المهاجرون متنفساً من ذلك الضيق ، وليمارسوا عبادة ربهم دون أن يجدوا ما يصدّهم عنها ، أو يفتنهم فيها ، حتى كانت الهجرة إلى المدينة .

روى ابن إسحاق من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : لما ضاقت علينا مكة ، وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه ، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلادهم حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه » ، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار ، أمنا على ديننا ، ولم نخش منه ظلماً . . . » (١) .

ومما سبق يتضح أن الهجرة وسيلة مهمة لها دورها وأثرها في حماية الدعوة ونشرها ، والمحافظة على أتباعها ، فبالهجرة يستطيع المهاجرون تحقيق أهداف الدعوة وغاياتها ، ويأمنون على أنفسهم وأرواحهم .

كما يتضح مما سبق أن هجرة المسلم في سبيل الله من بلد الكفر خوف الفتنة والانتقال إلى بلد الإسلام للمحافظة على دينه ، ونشر مبادئ الإسلام وتعاليمه

(١) ابن إسحاق - سيرة ابن إسحاق ، تحقيق وتعليق محمد حميد الله ج ٤ ط (ب.ت) [المغرب : معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ١٣٩٦هـ] ص ١٩٤ - ٥٩١ وسيأتي هذا الحديث بتمامه فيما بعد . ص : ١٦٩ .

وللاستزادة انظر : الإمام أحمد - المسند ج ٥ / ص : ٢٩٠ رقم ٢٢٥٥١ .

ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ، ج ١ / ص ٣٦٠ - ٣٦٣ .

- ابن كثير - البداية والنهاية ، ج ٣ ط ٤ [بيروت : دار المعارف ١٤٠٢هـ] ص : ٧٢ - ٧٣ .

عقيدة وشريعة وجهاداً ودعوة ، وقيام المهاجر بها حيثذ ينطلق من العقيدة الصافية ،
واستجابته للتشريع الرباني ، وشعوره بمسؤوليته في الدعوة ، وهؤلاء وعدهم الله
بالكرامة والفضل والخير الكثير في الدنيا والآخرة .

الفصل الثاني

دوافع الهجرة

المبحث الأول : تعريفات ومفاهيم

المطلب الأول: تعريف الدافع في اللغة

المطلب الثاني : تعريف الدافع في اصطلاح

الدراسات الاجتماعية.

المبحث الثاني : دوافع الهجرة

المطلب الأول : دافع خوف الفتنة في الدين

المطلب الثاني: دافع نشر الدعوة وتبليغها

المبحث الأول : تعريفات ومفاهيم

تعريف الدافع في اللغة :

جاء مصطلح (الدافع) في اللغة بعدة معانٍ منها :

- الإزالة بقوة : يقال دفع الشيء : نحاه وأزاله بقوة ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١) (٢) .

- ومنها الانتهاء . يقال : طريق يدفع إلى مكان كذا : ينتهي إليه (٣) .

- ومنها الرحيل : يقال : دفع عن الموضع : رحل عنه (٤) .

- ومنها : القوة الدافعة ، ولعل هذا هو أبرز المعاني المتعلقة بموضوع البحث .

قال ابن منظور - رحمه الله - :

"قال ابن شميل : الدوافع أسافل الميث حيث تدفع في الأودية أسفل كل ميثاء دافعة ، وقال الأصمعي : الدوافع مدافع الماء إلى الميث ، والميث تدفع إلى الوادي الأعظم ، وتدافع القوم : أي دفع بعضهم بعضاً ، والاندفاع : المضي في الأمر والأرض .

كما أن الناقة أو الشاة التي تدفع اللبن من ضرعها قبل أن تضع يقال لها دافع» (٥) .

(١) سورة البقرة آية : (٢٥١) .

(٢) د . مصطفى إبراهيم وآخرون - المعجم الوسيط ، مرجع سابق (مادة دفع) ص ٢٨٩ .

(٣) ابن منظور - لسان العرب ، مرجع سابق (مادة دفع) ج ٨ / ص ٨٧ - ٨٩ .

وانظر : مصطفى إبراهيم وآخرون - المعجم الوسيط ، مرجع سابق (مادة دفع) ص ٢٨٩ .

(٤) د . مصطفى إبراهيم وآخرون - المعجم الوسيط ، مرجع سابق (مادة دفع) ص ٢٨٩ .

(٥) ابن منظور - لسان العرب ، مرجع سابق (مادة دفع) ج ٨ / ص ٨٧ - ٨٩ .

وقال الراغب الأصفهاني - رحمه الله - :

« والدافع إذا عدي بآلى اقتضى معنى الإنالة ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ (١) وإذ عدي بعن اقتضى معنى الحماية مثل ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٢) (٣) .

ويتضح مما سبق أن هذه المعاني لا تشير إلى المعنى الذي استقر لدى الباحثين في دراسات العلوم الاجتماعية ، والتي تتحدث عن المظاهر والمواقف الخارجية والسلوك الظاهر ، في حين أنها (أي المعاني) تشير بطريق غير مباشر إلى القوة الدافعة التي يتعدى أثرها إلى الغير ، الأمر الذي يقود إلى القول : إن مفهوم الدافع في اللغة يعني القوة التي تكمن في الشيء ، فتدفعه ليتخذ موقفاً معيناً .

تعريف الدافع في اصطلاح الدراسات الاجتماعية :

تعددت تعريفات المختصين في مجال دراسات العلوم الاجتماعية لمصطلح الدافع ، إذ يقصدون بمصطلح الدافع أو الدوافع ما يلي :

- " كل ما يحرك السلوك ويوجهه نحو هدف من الأهداف ذهنيًا كان هذا السلوك أو حركيًا " (٤) أو يقصد به : " ما يدفع الإنسان إلى القيام بسلوك معين أو تغيير معين في داخل الكائن الحي أو سلوكه إزاء مواقف معينة " (٥) .

كما عرف الدافع بأنه :

-
- (١) سورة النساء آية : (٦) .
(٢) سورة الحج آية : (٣٨) .
(٣) الراغب الأصفهاني - المفردات في غريب القرآن ، مرجع سابق - ص ١٧٠ .
(٤) طلعت منصور وآخرون - أسس علم النفس العام ط (ب.ت) [القاهرة : مكتبة الأنجلوا المصرية ١٩٧٨ م] ص ١١٣ .
(٥) د . مقداد يالجن ود . يوسف القاضي - علم النفس التربوي ط (ب.ت) [الرياض : دار المريخ ١٤٠١ هـ] ص ٣١ .
وانظر : د . عبد المجيد نشواتي - علم النفس التربوي ط ٢ [بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ] ص ٢٠٦ .

" قوة (طاقة كامنة) تهدف إلى تحقيق غرض أو هدف " (١) .

والدافع " يمثل المحرض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلى الأهداف
الغائية من العمل " (٢) .

كما عرّف الدافع بأنه " قوة نفسية فسيولوجية تنبع من النفس ، وتحركها
مشيرات داخلية أو خارجية ، فتؤدي إلى وجود رغبة ملحة في القيام بنشاط معين
والاستمرار فيه حتى تتحقق هذه الرغبة ، ويتم إشباع هذا الدافع ، بما يخفف من
حدة التوتر النفسي " (٣) .

وعلى هذا فإن مفهوم الدافع في دراسات العلوم الاجتماعية لا يخرج عن
كونه قوة محرّكة لسلوك الفرد تجاه أهداف معينة .

وحيث إن الدافع في مفهوم الدراسات الشرعية لا بد وأن يركز على أسس
داخلية - تمثل تلك القوة المحركة للسلوك - من أهمها وأقواها الإيمان بالله عز
وجل ، والنية الخالصة ، فإن الفرد لا بد له حينئذ من أن تكون دوافعه متميزة
ومتسمة بذلك ، الأمر الذي يجعل أهدافه وغاياته متسقة مع طبيعة تلك الدوافع ،
فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : قال سمعت رسول الله ﷺ

(١) عبد الله عبد الحي موسى - المدخل إلى علم النفس ط ٣ [القاهرة : مكتبة الخانجي ١٩٨١م] ص ١٨٤ .

(٢) عبد الرحمن حسن الميداني - أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، ط ٦ [دمشق : دار العلم ١٤١٠هـ]
ص ١٢٥ .

(٣) محمد خليفة بركات - علم النفس التعليمي ج ١ ط ٤ [الكويت دار القلم ١٤٠٦ هـ] ص ١٤٩ .
وانظر : د / أحمد محمد عامر - أصول علم النفس في ضوء الإسلام ط ١ [جده : دار الشروق
١٤٠٦هـ] ص ٣٠٢ .

- أحمد عزت راجح - أصول علم النفس ط (ب ت) [القاهرة : المكتب المصري الحديث للطباعة
والنشر (د . ن)] ص ٧٣ .

- أحمد زكي صالح - علم النفس التربوي ط ٩ [القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦م]
ص ٣٠٢ .

يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (١) .

وبهذا يمكن للباحث أن يعرف دوافع الهجرة بأنها :

”القوة المحركة للفرد المسلم للخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام خوفاً من الفتنة وإبلاغاً لدعوة الله ابتغاءاً لمرضاته”.

ويتضح من هذا التعريف أن دوافع الهجرة تتمثل في دافعين أساسيين هما :

أ- الخوف من الفتنة في الدين .

ب- نشر الدعوة وتبليغها .

وهما من الدوافع الأساسية لدى الفرد المسلم ، والتي تسيطر عليه فيستجيب لها ، ويخرج من دار الكفر إلى دار الإسلام ابتغاء مرضاة الله تعالى .

وسوف نتناول هذه الدوافع بالتفصيل - إن شاء الله - في المبحث التالي .

(١) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث من البحث ص ٩ .

المبحث الثاني : دوافع الهجرة

المطلب الأول : دافع خوف الفتنة في الدين :

إن خوف الفتنة في الدين يعد من أهم دوافع الهجرة في سبيل الله ، ومن أقوى أسبابها ، وأسمى غاياتها التي يفارق المرء لأجلها وطنه ، ومن أجل الحفاظ على الدين تبذل النفوس ، وترخص الأموال ، وتهجر الأوطان .

قال ابن فارس - رحمه الله - : " والفتنة مأخوذة من (ف ت ن) الدال على الابتلاء والاختبار " (١) .

والمراد بالفتنة هنا : " ما يعرض للفرد المسلم أو الجماعة المسلمة في بلاد الكفر من الأذى والاضطهاد ، سواء أكان ذلك مادياً (٢) أم معنوياً " (٣) .

وقد شرعت الهجرة عند خوف المسلم الفتنة في دينه ، وعجزه عن إظهار شعائره وتطبيق شرائعه ، بل شرعت الهجرة - كما يرى بعض العلماء - لمن كان قادراً على القيام والنهوض بكافة التكاليف الشرعية (٤) .

(١) ابن فارس - معجم مقاييس اللغة - مرجع سابق ج ٤ / ص ٤٧٢ .

(٢) مثل :

- ١ - العذاب : قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ سورة النحل آية (١١٠) .
- ٢ - القتل : قال تعالى : ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴾ سورة يونس آية (٨٣) .
- ٣ - الإحراق بالنار : قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ سورة البروج آية (١٠) .

(٣) مثل :

- ١ - الفتنة بالشرك والكفر : قال تعالى : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ سورة البقرة آية (١٩١) .
 - ٢ - الضلال : قال تعالى : ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾ سورة الصافات آية (١٦٢) .
 - ٣ - الصدق قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ سورة الإسراء آية (٧٣) .
- وللاستزادة انظر : الحسين بن محمد الدامغاني - قاموس القرآن الكريم ، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ط ١ [بيروت : دار العلم للملايين ١٩٧٠ م] ص ٣٤٧-٣٤٨ .

(٤) ابن قدامة - المغني ج ٨ ط (ب. ت) [الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، (د. ن)] ص ٤٥٧ .
وانظر : محمد الخطيب الشربيني - مغني المحتاج ج ٤ ط (ب. ت) [بيروت : دار الفكر (د. ن)] ص

فعن عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة - رضي الله عنها - مع عبيد بن عمير الليثي فسألناها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، واليوم يعبد ربه حيث شاء ، ولكن جهاد ونيه « (١) .

قال الإمام ابن حجر - رحمه الله - في بيان مشروعية الهجرة : " أن سببها خوف الفتنة ، والحكم يدور مع علته ، فمقتضاه أن من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق ، لم تجب عليه الهجرة ، وإلا وجبت " (٢) .

وقد ذكر الإمام العيني - رحمه الله - أن خوف الفتنة ، وطلب إقامة الدين من الدوافع التي تجب لأجلها الهجرة ، وذلك حينما عرفها بقوله : " مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة وطلب إقامة الدين " (٣) .

كما أكد على ذلك الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - فقال : " شرعت الهجرة لثلاثة أسباب ، وذكر منها أن إقامة المسلم مضطهداً في حريته الدينية في مكان يفتن فيه عن دينه ، أو يكون ممنوعاً من إقامته فيه كما يعتقد ، فيجب عليه أن يهاجر منه إلى حيث يكون حرّاً في تصرفاته وإقامة دينه " (٤) .

والذي يدرس تاريخ الدعوة ، وينظر إلى ما سبق الهجرة ، يدرك أنها كانت فراراً من الأذى خوف الفتنة ، وطلباً للنجاة بالدين إلى موطن يجد فيه المسلم مناخاً مناسباً يقيم فيه شعائر دينه ، ويحافظ فيه على عقيدته ، ويلتمس التربة الخصبة

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة ج ٤ / ص ٣٠٥ ح ٣٩٠٠ (ك ٦٣ ب ٤٥ ح ٣٩٠٠) .

(٢) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٧ / ص ٢٢٩ .

(٣) بدر الدين العيني - عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٣ .

(٤) محمد رشيد رضا - تفسير المنار ج ٥ ط ٢ [بيروت : دار الفكر (د . ن)] ص ٣٦١ .

والبيئة المناسبة التي تثمر فيها الدعوة وتنتشر .

والهجرة إحدى ميادين الابتلاء في الدعوة ، وقد شاءت حكمة الله جل وعلا أن يجعل سعي المؤمنين لتحقيق أهداف دعوته في الأرض محفوفاً بالابتلاء والامتحان، كما قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾^(١) وقوله جل جلاله : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾^(٢) .

وحيث إن الابتلاء لا يكون إلا بوجود المعوقات ، لذلك ابتلى الله عباده المؤمنين بأعداء يصدون، ويعرضون عن سبيله ، ويسخرون جهودهم ، وطاقتهم للحيلولة دون تحقيق الناس عبوديتهم لربهم سبحانه ، مستخدمين في ذلك طريقتين :

أولاً : التضييق على الدعوة ، ورفضها ، وصد الناس عنها ، والتخطيط المستمر للقضاء عليها .

وذلك بمواجهتها بشتى الوسائل والأساليب ، والهدف من ذلك كله هو تنفير الناس منها ، والتصدي لها حتى تتعطل مسيرة الدعوة ، ويعوق ذلك مسارها ، وقد كانت سنة الله تعالى في الأمم أن يبتلي الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بتكذيب وجحود الملأ ، وأتباعهم الذين يناصرون الدعوة العدا ، مخافة أن يسلبوا مكانتهم ، كما قال فرعون وقومه لموسى عليه السلام : ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لَتَلَافِتِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) وقوله

(١) سورة البقرة آية : (١٥٥) .

(٢) سورة آل عمران آية : (١٨٦) .

(٣) سورة يونس آية : (٧٨) .

تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١) .

كما شاء الله تعالى أن تجزي على رسوله محمد ﷺ سنته في الأمم السابقين كما قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (٢) فكذبه قومه نفوراً من الحق كما قال تعالى ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ آتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (٤) .

كما وقف أولئك الكفار من الدعوة موقف الصد، والإعراض، والرفض يصدون الناس عن الدعوة، ويعرضون عنها كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٥) وقوله : ﴿ وَأَنْطَلِقُ الْأُمَلَاءُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ (٦) ، وقوله جل وعز ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلُمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بآيَةٍ ﴾ (٧) .

فتكون الهجرة في تلك الأحوال درءاً لشر الكفار وعدوانهم على الدعوة، والتماساً لجمهور يتوقع فيهم الاستجابة لدعوة الله تعالى وتأييد دعاتها، إذ لم يكتف أولئك الجاحدون بالتكذيب، والصد

(١) سورة النمل آية : (١٤) .

(٢) سورة الإسراء آية : (٧٧) .

(٣) سورة الأنعام آية : (٣٣) .

(٤) سورة الأنعام آية : (٣٤) .

(٥) سورة فصلت آية : (٢٦) .

(٦) سورة ص آية : (٦ ، ٧) .

(٧) سورة الأنعام آية : (٣٥) .

والإعراض والرفض للدعوة ، بل ترقى ذلك إلى مواقف تجاه أتباع الدعوة وحملة لواء نشرها من المؤمنين بها ، يتجلى ذلك ويتضح في الطريق الثاني من طرقهم وهو الحيلولة دون تحقيق الناس لعبوديتهم ربهم .

ثانياً : فتنة المسلمين عن دينهم ، فتكون الهجرة من أجل محافظة المؤمنين على دينهم .

وهذا النوع من الفتنة - مكر أعداء الله بأوليائه - هو أشد أنواع البلاء ، والفتنة التي تجب الهجرة لأجلها .

ولقد تعددت صور الفتنة ، وتباينت ، وأبرز تلك الصور :

١ - الإيذاء .

٢ - التهديد .

٣ - إصدار حكم القتل .

وتوضيحها فيما يلي :

١ - الإيذاء :

الإيذاء صورة من صور الفتنة التي تجب الهجرة لأجلها ، والتي كان يعانيتها الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأتباعهم ، وظلت تواجه أجيالاً من المسلمين إلى اليوم ، وقد تعرض أنبياء الله ورسوله - عليهم السلام - ومن تبعهم من المؤمنين لصنوف من الأذى والفتنة من الكفار كما قال جل وعلا : ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ

يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وقوله جل جلاله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٢﴾ .

قال الإمام الطبري - رحمه الله - :

" يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ لتسليته بذلك عما لقي من كفره قومه في ذات الله ، وحاتا له على الصبر على ما نال فيه : ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ يقول : ابتليناك يا محمد ، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ ليصدوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك ، وبما جتتهم به من عند ربك ، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم ، يؤذونهم بالجدال والخصومات ، يقول : فهذا الذي امتحنتك به لم تخصص به من بينهم وحدك ، بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم ، وأختبرهم مع قدرتي على منع من آذاهم من إيذائهم ، فلم أفعل ذلك إلا لأعرف أولي العزم منهم من غيرهم ، فاصبر أنت كما صبر أولو العزم من الرسل " (٣) .

وقال ابن كثير - رحمه الله - : " وكما جعلنا لك يا محمد أعداء يخالفونك ويعادونك ، ويعاندونك ، جعلنا لكل نبي من قبلك أيضا أعداء ، فلا يحزنك ذلك كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ

(١) سورة العنكبوت آية : (١ ، ٢) .

(٢) سورة الأنعام آية : (١١٢) .

(٣) الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٨ / ص ٣ .

(٤) سورة الأنعام آية : (٣٤) .

أَلِيمٍ ﴿١﴾ وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (٢) وقال ورقة ابن نوفل لرسول الله ﷺ : " إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي " (٣) (٤) .

ومما يوضح ذلك :

أ- ما تعرض له الخليل إبراهيم - عليه السلام - من إيذاء قومه بعد أن دعاهم إلى عبادة الله ، وترك عبادة الأوثان والكواكب ، فما كان منهم إلا أن تمالؤوا عليه ، فألقوه في النار كما قال تعالى : ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ، فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (٥) ولما منَّ الله عليه بالنجاة خرج مهاجراً بدينه حتى يتمكن من عبادة الله ، ودعوة الخلق إليه (٦) قال تعالى : ﴿ فَأَمِّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٧) .

ب- كما تعرض موسى الكليم - عليه السلام - والمؤمنين من قومه للأذى ، وفر بدينه وهم معه عندما استكبر فرعون وقومه كما قال تعالى واصفاً فرعون وقومه : ﴿ وَأَسْتَكْبَرَهُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٨) ولما أصروا على كبت الدعوة ، وإيذاء حملة لوائها والمؤمنين بها ، خرج موسى - عليه السلام - مهاجراً

(١) سورة فصلت آية : (٤٣) .

(٢) سورة الفرقان آية : (٣١) .

(٣) سبقت الإشارة إليه من هذا البحث ص ٣١ .

(٤) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم مرجع سابق ، ج ٢ / ص ١٨٦ .

(٥) سورة الصافات آية (٩٧ - ٩٨) .

(٦) ابن كثير - قصص الأنبياء ، تحقيق ودراسة أكرم السيد جبريل وعادل أبو المعاطي ط (ب . ت) [القاهرة :

دار الروضة (د . ن)] ص ١١٤ .

(٧) سورة العنكبوت آية : (٢٦) .

(٨) سورة القصص آية : (٣٩) .

بهم بأمر الله قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ، فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ، وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴾ (١) .

ج - ومنذ أن أعلن النبي محمد ﷺ الدعوة في مكة ، ظل يتعرض هو وصحابته - رضوان الله عليهم - لصنوف من الأذى ، وألوان من العنت ، - خصوصاً بعد وفاة عمه أبي طالب ، فعن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال : " ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب " (٢) .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد أخفت في الله ، وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله ، وما يؤذى أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ، وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد ، إلا شيء يواريه إبط بلال » (٣) .

وقد اتخذ أذى الكفار لرسول الله ﷺ صوراً شتى منها :

- ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ، يشتمون

(١) سورة الشعراء آية : (٥٢ - ٥٦) .

(٢) الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء والمرسلین ، کتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة ، ج ٢ / ص ٦٧٩ رقم ٤٢٤٣ قال عنه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

(٣) الترمذي - سنن الترمذي - كتاب صفة القيامة .

وانظر : الألباني - صحيح سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة ، باب صفة الحوض ج ٢ / ص ٣٠١ رقم ٢٠١٢ وقال عنه صحيح (ك أبواب صفة القيامة ب ١٥ ح ٢٠١٢) .

مذمماً ، ويلعنون مذمماً ، وأنا محمد» (١) .

- وعن عكرمة - رضي الله عنه - قال : قال ابن عباس - رضي الله عنهما -
قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ النبي
ﷺ فقال : لو فعله لأخذته الملائكة» (٢) .

- وعن ربيعة بن عباد الديلي قال : رأيت النبي ﷺ في الجاهلية بسوق ذي
المجاز وهو يقول : يا أيها الناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، والناس مجتمعون
عليه ، ووراءه رجل وضيء الوجه ، أحول ، ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب
يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه ، فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ ، وقالوا لي :
هذا عمه أبو لهب» (٣) .

- وعن عروة بن الزبير قال : سألت ابن عمرو بن العاص ، أخبرني بأشد شيء صنعه
المشركون بالنبي ﷺ قال : بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فوضع
ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي ﷺ وقال : ﴿
أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ (٤) (٥) .

لذا كان الرسول ﷺ يفكر دائماً في طلب الحماية خارج مكة حينما استعصت

(١) البخاري - صحيح البخاري - كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ج ٤ / ص ١٩٦ رقم ٣٥٣٣ (ك ٦١ ب ١٧ ج ٣٥٣٣) .

(٢) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ ج ٦ / ص ١٠٨ رقم ٤٩٥٨ (ك ٦٥ ب ٥ ح ٤٩٥٨) .

(٣) الإمام أحمد - المسند ، ج ٤ / ص ٣٤١ رقم ١٩٠٢٦ .
(٤) سورة غافر ، آية : (٢٨) .

(٥) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ج ٤ / ص ٢٨٩ - ٢٩٠ (ك ٦٣ ب ٢٩ ح ٣٨٥٦) .

عليه ، وقد اتجه ﷺ إلى الطائف ، ولكن أهله لم يستجيبوا له ، ولم يردوه ردًا كريماً ، بل كان ﷺ هدفاً للسفهاء منهم ، والصبية فيهم ، يقذفونه بالحجارة ، ويسمعونه بذيء القول ، وعاد الرسول ﷺ بعدها إلى مكة ، ولم يستطع دخولها إلا في جوار أحد المشركين - المعظم بن عدي - وعندما استبد بأولئك القوم ضلالهم ، وأحكموا تدبيرهم ، كان أمر الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى القوم الذين آمنوا به ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

ثم إن الفتنة والأذى ليست مقصورة على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فحسب ، بل إنها ممتدة لأتباع الدعوة والرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولقد فتن المسلمون في دينهم منذ أول يوم قامت فيه دعوة الله على الأرض ، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم بسبب هذه الدعوة ، قال تعالى عن قوم موسى : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ (١) .

ولقد لقي المسلمون من أصحاب النبي ﷺ في مكة صنوفاً من الأذى ، كما قال تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي ﴾ (٢) وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ (٣) وقوله : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ (٤) فصارت كل قبيلة تعذب من دان منها بالإسلام .

(١) سورة الأعراف آية : (١٢٩) .

(٢) سورة آل عمران آية : (١٩٥) .

(٣) سورة النحل آية : (٤١) .

(٤) سورة الحشر آية : (٨) .

قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : " كان الإسلام قليلاً ، فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه ، وإما يعذبوه ، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة " (١)

فنگل الكفار بالمسلمين ؛ ليفتنوهم عن دينهم ، ولم يسلم من ذلك الأذى حتى ذوي المكانة منهم :

فقد تعرض أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لأذى الكفار ، فخرج مهاجراً إلى الحبشة فراراً بدينه .

فعن عروة بن الزبير عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة ، وهو سيد القارة ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال : أبو بكر : أخرجني قومي ، فأريد أن أسيح في الأرض ، وأعبد ربي ، قال ابن الدغنة : فإن مثلك لا يخرج ، ولا يخرج ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فأنا جار لك ، ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع " (٢) .

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ج ٥ / ص ١٨٤ - ١٨٥ رقم ٤٥١٤ (ك ٦٥ ب ٣٠ ح ٤٥١٤) .

(٢) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه المدينة ج ٤ / ص ٣٠٦ - ٣٠٩ رقم ٣٩٠٥ (ك ٦٣ ب ٤٥ ح ٣٩٠٥) .

وانظر : الإمام أحمد - المسند ج ٦ / ص ١٩٨ رقم ٢٥٦٦٧ .

- ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٢٤ - ٢٥ .

كما تعرض لأذى الكفار كذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعد إسلامه ، وحاولوا قتله لولا أن الله تعالى نجاه بالعاص بن وائل .

فعن عبد الله بن عمر ، عن أبيه - رضي الله عنهما - قال : " بينما هو في الدار خائفاً إذ جاءه العاصُ بن وائل السهمي أبو عمرو وعليه حلة حبرة ، وقميص مكفوف بحرير - وهو من بني سهم ، وهم حلفاؤنا في الجاهلية - فقال : ما بالك ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت ، قال : لا سبيل إليك . بعد أن قالها أمنت ، فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادي ، فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ ، قال : لا سبيل إليه . فكرَّ الناس " (١) .

أما المستضعفون من المسلمين فقد تفتنَّ الكفار في إيذائهم وتعذيبهم ، وسلطوا عليهم أنواعاً من الأذى ؛ لفتنتهم عن دينهم ، مما جعل هؤلاء المستضعفين يشكون إلى رسول الله ﷺ ما هم فيه من البلاء والفتنة .

فعن خباب بن الأرت - رضي الله عنه - قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ - وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة - قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ؟ قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالميشار

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج ٤ / ص ٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٣٨٦٤ - ٣٨٦٥ (ك ٦٣ ب ٣٥ ح ٣٨٦٤ - ٣٨٦٥) .
وانظر : ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٧٥ .
- محمد بن إسحاق - سيرة ابن إسحاق ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٦٤ .

فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ، أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون " (١) .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : كان أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد ، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون ، وألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان عليه قومه ، فأخذوه ، فأعطوه الولدان ، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد " (٢) .

وعن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس - رضي الله عنهما - : يا أبا عباس ، أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ فقال : نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ، ويجيعونه ، ويعطشونه ، حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به ، حتى إنه ليعطيهم ما

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ج ٤ / ص ٢١٧ رقم ٣٦١٢ (ك ٦١ ب ٢٥ ح ٣٦١٢) .

(٢) الإمام أحمد - المسند ، ج ١ / ص ٤٠٤ رقم ٣٨٣٢ قال عنه العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح ج ٥ / ص ٣١٩ .

سألوه من الفتنة ، وحتى يقولوا: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول :
نعم، وحتى إن الجُعل ليمر بهم فيقولون : أهذا الجُعل إلهك من دون الله؟
فيقول : نعم أفتداءً منهم لما يبلغون من جهده " (١) .

قال ابن كثير - رحمه الله :-

" وفي مثل هذا أنزل الله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴾ (٢) ، (٣) .

ونتيجة لهذا الإيذاء الذي وقع على المسلمين الأولين ، فقد أمر رسول الله
ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم وعقيدتهم ، وتخلصاً من الفتنة
والأذى ، وتعاوناً على المحافظة على الدين في مجتمع آمن ، وكانت هجرة
المسلمين إلى الحبشة على مرحلتين عُرفتا بهجرتي الحبشة الأولى والثانية ، فكانتا
أول هجرتين في الإسلام (٤) .

فعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : لما ضاقت علينا مكة ، وأوذي
أصحاب رسول الله ﷺ ، وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ،

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٤٧ .

وانظر : محمد بن إسحاق - سيرة ابن إسحاق ، مرجع سابق ج ٤ / ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) سورة النحل آية : (١٠٦) .

(٣) ابن كثير - البداية والنهاية ج ٣ ط ١ [بيروت : مكتبة المعارف ١٩٦٦ م] ص ٥٩ .

(٤) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٧٢ وسيأتي ذكرها في الباب الثاني ص
١٦٤ وما بعدها .

وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه ، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلادته حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه ، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار ، أمنا على ديننا ، ولم نخش منه ظمماً " (١) وخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً بالدين ، فكانت هذه الهجرة أول هجرة في الإسلام ، وتلك هي الغاية السامية التي كان يسعى إليها المؤمنون - رضي الله عنهم - في العهد المكي ، كما جاء عن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : « يارسول الله ائذن لي أن آتي أرضاً أعبد الله فيها لا أخاف أحداً » (٢) .

" إن على الداعية إذا وجد جماعته في خطر على حياتهم أو معتقداتهم من الفتنة ، أن يهيئ لهم مكاناً يأمنون فيه من عدوان المبطلين . . فإنهم إذا كانوا قلة استطاع المبطلون أن يقضوا عليهم قضاء

(١) سبقت الإشارة إليه من هذا البحث : ص ٣٤ .

(٢) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي - حياة الصحابة ج ١ ط ٣ [بيروت : دار الكتاب العربي ١٤١٢هـ] ص ٣٢٥ .

مبرماً ، فيتخلصون من دعوتهم ، وفي وجودهم في مكان آمن ضمان
لاستمرار الدعوة وانتشارها " (١) .

ولما بايع الرسول ﷺ الأنصار في العقبة ، أشار ﷺ لأتباعه من المؤمنين
المضطهدين ممن بقي في مكة بالمهاجرة إلى المدينة ، إلى دار يأمنون فيها ، ويجدون
تربة خصبة لدعوتهم ، وأعوأنا لدين الله جل وعلا ، فهاجر عند ذلك المسلمون
تاركين ديارهم وأموالهم ، فكانت هجرتهم أماناً من الفتنة ، وإعزازاً لدين الله ،
وإذلالاً للشرك وأهله ، فعوضهم الله تعالى عن ذلك كله بما أرضاهم واسترضاهم
به ، كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) ولم يبق منهم بمكة إلا من حبسته حاجة ، أو من تنبه له
المشركون فحبسوه عن الخروج بالقهر والغلبة ، أو مفتون ، ثم تلا تلك الهجرة
هجرتة ﷺ ، وهكذا خرج عليه الصلاة والسلام من مكة بعد أصحابه ، بعد أن
مكث بها ثلاثة عشر عاماً بعد البعثة ، لقي فيها من عنت المشركين ، وأذاهم ،
وتكذيبهم ، وافترائهم ما لا يحتمله إلا أولو العزم من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - .

(١) د. مصطفى السباعي - السيرة النبوية دروس وعبر ط ٩ [بيروت : المكتب الإسلامي ١٤٠٦ هـ -
ص ٥٠-٥١ .

(٢) سورة التوبة آية : (١٠٠) .

(٢) - التهديد :

وهو أحد صور الفتنة التي يلجأ إليها أعداء الدعوة ضد حملتها وأتباعهم .
إن عداة الكفار للدعوة وحملة لواء نشرها وأتباعهم لا يتوقف فقط على الأذى المادي والمعنوي ، بل إنه يتعدى ذلك إلى استخدام القوة معهم ، والتهديد بالضرب ، والرجم ، والسجن ، والحبس ، والإخراج من الوطن ، إمعاناً في العداة ، وإيقاعاً للأذى الشديد بهم ، " وقد جرت العادة بأن المبطل إذا أفحم بالدليل لجأ إلى ما عنده من القوة ليستعملها ضد الحق " (١) .

وبالنظر في تاريخ الدعوة الإسلامية يجد المطلع نماذج كثيرة ، وصوراً عديدة من حياة الأنبياء والرسل الذين وقفت منهم مجتمعاتهم وأقوامهم هذا الموقف ومنها :

أ - التهديد بالرجم والضرب :

قال تعالى عن قوم نوح : ﴿ قَالُوا لَنْ لَمُ تَنْتَه يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (٢)
وقال تعالى عن (آزر) والد إبراهيم : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمُ تَنْتَه لِأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ، عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ، أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ، كَلَّا لَنْ لَمُ يَنْتَه لَنْسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ، كَلَّا لَا تُطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ (٤) .

وعن عكرمة - رضي الله عنه - قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " قال

(١) محمد الأمين الشنقيطي - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج ٤ ط (ب . ت) [بيروت : عالم الكتب (د . ن)] ص ٥٨٨ .

(٢) سورة الشعراء آية : (١١٦) .

(٣) سورة مريم آية : (٤٦) .

(٤) سورة العلق الآيات : (٩ - ١٩) .

أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: لو فعله لأخذته الملائكة " (١) .

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: كان النبي ﷺ يصلي، فجاءه أبو جهل، فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ فزبره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (٢) قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: "والله لو دعا نادية لأخذته زبانية الله" (٣) .

ب - التهديد بالسجن والحبس :

جاء في القرآن الكريم تهديد فرعون مصر لموسى - عليه السلام - بالسجن ، قال الله جل وعلا حاكياً هذا التهديد : ﴿ قَالَ لئن اتَّخَذتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (٤) .

كما هدد الكفار في مكة رسول الله ﷺ بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرِجُوكَ ﴾ (٥) .

ومعنى (لِيُثْبِتُوكَ) كما قال المفسرون - رحمهم الله - : أي ليحبسوك ، قال السدي : الإثبات هو الحبس والوثاق (٦) .

(١) سبقت الإشارة إليه في هذا البحث ص ٤٩ .

(٢) سورة العلق آية : (١٧- ١٨) .

(٣) الترمذي - سنن الترمذي ، أبواب تفسير القرآن ، باب سورة ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ .

وانظر : الألباني - صحيح سنن الترمذي ج ٣ / ص ١٣٢ رقم ٢٦٦٨ (أبواب تفسير القرآن ب ٨٤ ح ٢٦٦٨) .

(٤) سورة الشعراء آية : (٢٩) .

(٥) سورة الأنفال آية : (٣٠) .

(٦) الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٩ / ص ٢٢٦ .

وانظر : - القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ج ٧ / ص ٣٩٧ .

- ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٣٤ .

- الشوكاني - فتح القدير ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٠٣ .

كما تعرض للسجن والحبس أكثر المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ في مكة ، كما قال ابن سعد - رحمه الله - :

"لما كثر المسلمون ، وظهر الإيمان ، وتحدث به ، ثار ناس كثير من المشركين من كفار قريش على من آمن من قبائلهم ، فعذبوهم وسجنوهم ، أرادوا فتنهم عن دينهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : تفرقوا في الأرض فقالوا : أين نذهب يارسول الله؟ قال : ها هنا ، وأشار إلى الحبشة (١) .

ج - التهديد بالإخراج من الوطن :

وهو أحد وسائل المشركين لفتنة المسلمين عن دينهم عند عجزهم عن إعاقة الدعوة .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ (٢) .

وقال جل جلاله عن قوم نبي الله شعيب - عليه السلام - : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ (٣) .

وقال الله جل وعلا عن قوط لوط : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾ (٤) .

وقال الله تعالى عن مشركي مكة : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ

(١) ابن سعد - الطبقات الكبرى ج ١ ط (ب . ت) [بيروت : دار صادر ١٩٦٠م] ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) سورة إبراهيم آية : (١٣) .

(٣) سورة الأعراف آية : (٨٨) .

(٤) سورة النمل آية : (٥٦) .

لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴿ (١) وقوله : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ (٢) .

قال المفسرون - رحمهم الله - : والمراد بالإخراج هنا : الإخراج من مكة (٣) .

وهذا الأسلوب قديم قدم الدعوة ، درج عليه أعداء الدعوة ، كما جاء في حديث ورقة عندما سأله الرسول ﷺ أو مخرجي هم ؟ فقال ورقة : ما بعث الله نبياً بمثل ما بعثت به إلا أخرجه قومه « (٤) وقد وقع للنبي ﷺ ما أخبر به ورقة ، فقد خرج عليه الصلاة والسلام مهاجراً ومن معه من المؤمنين إلى المدينة المنورة .

إن عداة الكفار للدعوة ينشأ عنه الإخراج ، ومحاولة إقصاء كل مسلم وإخراجه من وطنه ، خصوصاً حملة لواء الدعوة ، وإبعادهم عن أوطانهم ومجتمعاتهم حتى يصفوا الجو للكفار ، ليمارسوا نشاطهم بعيداً عن الدين والأخلاق ، وهذا ما ظهر جلياً في الضغوط التي مارسها الكفار في مكة ليضطروا المسلمين وعلى رأسهم الرسول ﷺ حتى يتركوا مكة .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : وقف النبي ﷺ على الحزورة فقال : « علمت أنك خير أرض الله ، وأحب الأرض إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » (٥) .

(١) سورة الإسراء آية : (٧٦) .

(٢) سورة الأنفال آية : (٣٠) .

(٣) الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٩ / ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

وانظر : القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ج ٧ / ص ٣٩٧ .

- ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

- الشوكاني - فتح القدير ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٠٣ .

(٤) سبقت الإشارة إليه في هذا البحث ص ٣١ .

(٥) الإمام أحمد - المسند ج ٤ / ص ٣٠٥ رقم ١٨٧٣٩ .

وانظر : الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ج ٣ / ص ٧ رقم ٤٢٧٠ وقال : حديث صحيح على شرط

الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

٣ - إصدار حكم القتل :

إن أعداء الدعوة متى وجدوا أنهم غير قادرين على مقاومة الدعوة، وأن وسائلهم كلها قد باءت بالفشل، فإنهم يلجؤون إلى أساليب البطش والقتل، ويصبون جام غضبهم على حملة لواء نشرها وأتباعهم .

ولقد تعرض كل من إبراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لذلك من قبل إعدادهم، قال تعالى عن إبراهيم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ (١) .

وقال تعالى حاكياً عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ (٢) .

وقال جل جلاله عن موقف فرعون مع أتباع موسى حين آمن السحرة: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ، قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (٣) .

وقد كان الرسول ﷺ هدفاً لقريش، فقامت بعدة محاولات عملية فردية وجماعية؛ لقتله واغتياله عليه الصلاة والسلام .

فمن المحاولات الفردية - على سبيل المثال لا الحصر :

محاولات عدو الله أبي جهل المتكررة لقتل النبي ﷺ، وقد مر بعضها (٤) .

(١) سورة العنكبوت آية : (٢٤) .

(٢) سورة غافر آية : (٢٦) .

(٣) سورة الأعراف الآيات : (١٢٤ - ١٢٥) .

(٤) سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك في البحث ص ٤٨ - ٥٠ .

ومنها محاولات عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قبل إسلامه :

" فقد خرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين - رضي الله عنهم - ممن أقام مع رسول الله ﷺ ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقية نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر ؟ قال : أريد محمداً هذا الصابي الذي فرّق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أتري بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم .. " (١) .

وأما المحاولات الجماعية فمنها :

أن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب أبي خذلان رسول الله ﷺ وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشى إليه جماعة منهم بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد ، أنهد فتى في قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، اتخذه ولدأ ، فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك ، هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرّق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله ، فإنما هو رجل برجل ، فقال : والله بشئ ما تسومونني ! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ! هذا والله لا يكون أبداً .. " (٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : " قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم إن

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

وانظر : محمد بن إسحاق سيرة ابن إسحاق ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٦٠ .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٠٠ .

المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية ، فلما رأى أبو طالب عمل القوم ، جمع بني عبد المطلب ، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبيهم ، وأمرهم أن يمنعوهم ممن أرادوا قتله ، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيماناً و يقيناً " (١) .

وكانت آخر هذه المحاولات الظالمة اتفاهم على قتله ﷺ في اجتماعهم بدار الندوة . قال تعالى مبيناً ذلك : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٢) .

تلك عقبات وصد عن سبيل الله قامت في سبيل إبلاغ الرسالة ، واستشرت بأساليبها في الكيد والصد والإعراض .

وإذا كان موقف الكفار من حملة الدعوة والمؤمنين بها كذلك (الأذى - التهديد - محاولة القتل) فإنه لا بد في المقابل من موقف مناسب للحال تسلم به الدعوة ، ويأمن به أتباعها ، وعندما تبلغ الدعوة هذه المرحلة - التي يصبح فيها أتباعها لا يمكنهم الحفاظ على أنفسهم ، وأعداؤهم يتربصون بهم فهناك - تدخل الدعوة مرحلة البراءة والهجرة ، وعلى أتباع هذه الدعوة أن يعلنوا انفصالهم عن تلك البيئة ، ويخرجوا مهاجرين إلى بيئة أخرى ، وموطن آمن ، يمكنهم فيه أن يعيشوا وفق عقيدتهم ، ويستطيعوا البقاء والمحافظة على إيمانهم .

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٨٤ .

(٢) سورة الأنفال آية : (٣٠) ، وسيأتي إيضاح ذلك في الباب الثاني - الفصل الثاني إن شاء الله تعالى صفحة : ١٤٠ ، وما بعدها .

المطلب الثاني : نشر الدعوة وتبليغها

وهذا النوع من الدوافع من أعظم دوافع الهجرة ، ومن أعظمها منزلة في الجزاء والثواب ، وهو أن يهجر المسلم بلده إلى بلد آخر رغبة في نشر الدعوة ، وبحثاً عن موطن مناسب لها ، ومجتمع يستجيب لها .

إن الدافع في الهجرة ليس مقصوراً على طلب الأمن والنجاة فحسب ، وليس هروباً من إيذاء المعارضين ، وخوف مواجهة الظلم ، وانسحاباً من المجتمع ، إثارة للراحة ، وطلباً للعافية ، بل مع ذلك كله تهدف إلى إبلاغ دعوة الله ونشر دينه .

إن الدافع للهجرة - إضافة لما سبق - هو رغبة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - والدعاة من بعدهم - في إظهار الدين ، ونشر الدعوة ، وإيصالها للمدعوين ، وحرصهم على سلامة سيرها ، وانطلاقها ، وإيجاد قاعدة آمنة لها ، وتنقيب عن أرض جديدة تحميها ، ومجتمع يستجيب لها ، ويكفل لها الحرية التي لم تكن متيسرة في مجتمعها الأول حيث الأذى والاضطهاد والفتنة ، ويتيح الفرصة أمام حملة الدعوة كي يؤدوا الأمانة ، ويبلغوا دين الله تحقيقاً لمسؤولية المسلم في عملية البلاغ المبين ، وثمره لعالمية الدعوة كما قال تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (١) وقوله جل جلاله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ .

إن بقاء الدعوة الإسلامية في بيئة محصورة ، يعني احتجابها عن المدعوين ممن يمكن أن يكونوا أكثر قبولاً لها ، وإقبالاً عليها ، كما يعرض الدعوة لخطر الزوال ،

(١) سورة الأنعام آية : (٩٢) .

(٢) سورة سبأ آية : (٢٨) .

وأتباعها للإبادة ، وبقاء الدعوة في بيئة تعاني فيها الظلم والتكذيب ،
وأتباعها الاضطهاد والتنكيل ، ضرب من الجهد الضائع ، والداعية فيها
كمن يصرخ في وادٍ أو ينفخ في الرماد ، لذا كان على حملة لواء
الدعوة ، والمؤمنين بها الانتقال والمهاجرة بها لتأمين ومتابعة عملية
البلاغ والنشر .

ولذا «فإن أي دعوة من الدعوات إذا لم تستطع تأمين عملية
استمرار التبليغ والإقناع تجمد ، ثم تنحصر ثم تموت ، وأي دعوة من الدعوات
لا تتخذ الموقف المناسب من الخصم تضرب ضربة ساحقة ثم تزول » (١) .

إن من أبرز صور الهجرة لنشر الدعوة الإسلامية وتبليغها -
إضافة لهجرات الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام - هجرة الرسول ﷺ حين
تحقق له تعذر وتعسر ما تمناه في مكة المكرمة ، حينما كانت بأوضاعها لا تشجع
على بقاء الدعوة - حيث الأذى والاضطهاد - ، ولقد فكر ﷺ في أن يتخذ
موطناً ومكاناً آخر للدعوة غير مكة ، فأخذ يبحث عن الأرض التي تستقبل
الدعوة ، والأمة التي تظهر عليها علامات الاستجابة ، وأقدم على عدة خطوات
لتحقيق هذا الهدف ، فاتصل بالأفراد اتصالاً شخصياً ، وأخذ يعرض نفسه على
قبائل العرب ، وكان من ثمرات ذلك التحرك ، ودعوة الناس إلى الدين الحق بيعتنا
العقبة اللتان فتحتا الآفاق للدعوة الإسلامية ، فكانت الهجرة النبوية المباركة إلى
المدينة (٢) .

إن على أتباع الدعوة وحملتها خصوصاً إذا ادلهم الأمر ، وأجذبت النفوس

(١) سعيد حوى - الرسول ﷺ ، ط ٢ [القاهرة : دار السلام ١٤١٠ هـ] ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٢) انظر مزيداً من التفاصيل في هذه الدراسة ص ١٣٣ وما بعدها .

في موطن من المواطن ، وفترة من الزمن ، أن يتطلعوا إلى موطن آخر رغبة في نشر الدعوة وإبلاغها ، وإقامة الحججة على المعاندين .

" فالرسول ﷺ لم يكن ينشد الهجرة إلا لغاية سامية ، ولم يكن يهدف إليها إلا من أجل الحرص على الدين الإسلامي في أن يكسب موقع انطلاق ووثوب جديد . بعد أن بحث موقف الإسلام في مكة ثلاث عشرة سنة ، ولم ير من المكين تفاعلاً معه ، ولا إقبالاً شديداً عليه ، بل على العكس من ذلك رأى تعصبهم عليه ، والتصدي له ولأتباعه ، حتى لا يكسب موقفاً ولا يحرز أنصاراً ، لأنهم رأوا فيه خطراً هائلاً على مصالحهم وكياناتهم ، فوقفوا يصدون عنه ، ويؤذون أتباعه ما وسعهم إلى ذلك الإيذاء ، حتى عرض ﷺ على أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة التجاءً إلى مأمّن ، وفراراً من الأذى ، وخوفاً من فتنة ، ولكنه لم ير ولم يشأ أن يهاجر معهم إلى الحبشة ، وبقي ينافح الشرك ويكافحه ، ويعرض نفسه على القبائل حتى قبض الله له الأنصار في المدينة ، فأمّنوا به وبايعوا الرسول ﷺ على العزة والمنعة " (١) .

وهكذا كانت الهجرة طريقاً إلى نشر الدعوة الإسلامية وانتشارها ، وإبلاغها وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٢) وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٣) وقوله جل جلاله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٤) .

ويتضح مما سبق أنه إذا توافرت دوافع الهجرة وبواعثها ، انطلق المسلم مهاجراً

(١) د . سعد ظلام - من دروس الهجرة ط (ب . ت) [القاهرة : دار المعارف (د . ن)] ص ٣١ .

(٢) سورة آل عمران آية : (١٩) .

(٣) سورة سبأ آية : (٢٨) .

(٤) سورة الأعراف آية : (١٥٨) .

إلى الله حفاظاً على دينه ، ليدفع عن نفسه الفتنة والظلم ، وليسهم في نشر الدعوة وإبلاغها ، ولقد فهم المهاجرون الأولون هذه الأهداف السامية ، والأغراض النبيلة للهجرة ، فانطلقوا بالدعوة إلى حيث الأمن والأمان ، قال تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإَيَّيَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) وقال جل وعلا : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسِعَةً ﴾ (٢) .

(١) سورة العنكبوت آية : (٥٦) .

(٢) سورة النساء آية : (١٠٠) .

الفصل الثالث

أحكام الهجرة

المبحث الأول : أحكام الهجرة الواجبة

المبحث الثاني : الهجرة المستحبة

المبحث الثالث : سقوط الهجرة

المبحث الرابع : استحباب البقاء في دار

الكفر و كراهية الهجرة لمقصد

شرعي

المبحث الأول

أحكام الهجرة الواجبة

تجب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام في الأحوال التالية :

الحالة الأولى : وهي الأشهر:

عند خوف المسلم الفتنة في دينه ، وعجزه عن إظهاره والقيام بشرائعه وواجباته ، مع استطاعته على الهجرة وامتلاك أسبابها .

وقد أجمع العلماء على وجوب الهجرة من دار الكفر لمن فتن عن دينه ، وعجز عن إظهاره والقيام بشرائعه مع استطاعته ، ومن ذكر إجماع العلماء ابن كثير ، وبدر الدين العيني ، وعلاء الدين المرداوي ، - رحمهم الله - (١) .

ومما يؤكد وجوب الهجرة ، وفرضيتها في هذه الحال ما يلي :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةَ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٢) .

قال الشوكاني - رحمه الله - : " وقد استدل بهذه الآية على أن الهجرة واجبة

(١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٤٦٢ ، وقد سبقت الإشارة إليه في هذا المبحث ص : ١٨ .

وانظر : بدر الدين العيني - عمدة القارى بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٩ .

- ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٤ / ص ٣٢٠

- علاء الدين المرداوي - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجلد أحمد بن حنبل ج ٤ ط ٢ [بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٦ هـ] ص ١٢١ .

- ابن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٦ / ص ١٩٠ .

(٢) سورة النساء آية : (٩٧) .

على كل من كان بدار الشرك ، أو بدار يعمل فيها بمعاصي الله جهاراً ، إذا كان قادراً على الهجرة ، ولم يكن من المستضعفين ؛ لما في هذه الآية الكريمة من العموم ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وظاهره عدم التفريق بين مكان ومكان ، وزمان وزمان " (١) .

وقال الزمخشري - رحمه الله - : " وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب - والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر - أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله ، وأدوم على العبادة ، حقت عليه المهاجرة " (٢) .

وقال الشوكاني - رحمه الله - : " قيل المراد بهذه الأرض : المدينة ، والعموم أولى ؛ لأن الاعتبار به لا بخصوص السبب ، كما هو الحق ، فيراد بالأرض كل بقعة من بقاع الأرض التي تصلح للهجرة إليها " (٣) .

كما أن الوعيد الوارد في الآية يدل على وجوب الهجرة . قال ابن قدامة - رحمه الله - : " هذا وعيد شديد يدل على الوجوب ؛ ولأن القيام بالواجب واجب على من قدر عليه ، والهجرة من ضرورة الواجب ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " (٤) .

وعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا

(١) الشوكاني - فتح القدير ، مرجع سابق ج ١ ص ٥٠٤ وقد سبقت الإشارة إليه في هذا الحديث ص ١٨ .

(٢) الزمخشري - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل ج ١ ط ٣ [بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ] ص ٥٥ .

(٣) الشوكاني - فتح القدير ، مرجع سابق ج ١ ص ٥٠٤ - ٥٠٥ .

وانظر : صديق بن حسن البخاري - العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة ط ٢ [بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ] ص ٢١٦ .

(٤) ابن قدامة - المغني ، مرجع سابق ج ٨ / ص ٤٥٧ .

بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، قالوا يا رسول الله : ولم ؟ قال : « لا تراءى ناراهما » (١) .

قال الشوكاني - رحمه الله - : ومعنى « لا تراءى ناراهما » يعني لا ينبغي أن يكون بموضع بحيث تكون نار كل واحد منهما في مقابلة الأخرى على وجه لو كانت متمكنة من الإبصار لبصرت الأخرى ، فإثبات الرؤية للنار مجاز " (٢) .

وقال الصنعاني - رحمه الله - : " والحديث دليل على وجوب الهجرة من ديار المشركين من غير مكة ، وهو مذهب الجمهور ؛ لحديث جرير ، ولما أخرجه النسائي عن طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقبل الله من مشرك أشرك بعد ما أسلم عملاً حتى يفارق المشركين إلى المسلمين » (٣) ، ولعموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (٤) (٥) .

وقال علاء الدين المرادوي - رحمه الله - : " وتجب الهجرة على من يعجز عن إظهار دينه في دار الحرب بلا نزاع في الجملة " (٦) .

(١) سبقت الإشارة إليه في هذا البحث ، ص : ١٣ .

(٢) الشوكاني - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار ج ٨ ط (ب . ت) [بيروت : دار القلم (د . ن)] ص ٢٧ .

(٣) ابن ماجه - سنن ابن ماجه ، كتاب الحدود ، باب المرتد عن دينه .

وانظر : الألباني - صحيح سنن ابن ماجه ج ٢ / ص ٧٨ رقم ٢٥٣٦ (ك ٢٠ ب ٢ ح ٢٥٣٦) .

(٤) سورة النساء آية : (٩٧) .

(٥) الصنعاني - سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، ج ٤ ط ٣ [الرياض : مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٥ هـ] ص : ٨٩ - ٩٠ .

(٦) علاء الدين المرادوي - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المحلل أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ج ٤ / ص ١٢١ .

وانظر : منصور البهوتي - شرح منتهى الإرادات ج ٢ ط (ب . ت) ، [بيروت : دار الفكر ، (د . ن)] ص ٩٤ .

وقال النووي - رحمه الله - : " المسلم إن كان ضعيفاً في دار الكفر ، لا يقدر على إظهار الدين ، حرم عليه الإقامة هناك ، وتجب عليه الهجرة إلى دار الإسلام " (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " والمقيم بها إن كان عاجزاً عن إقامة دينه ، وجبت الهجرة عليه " (٢) .

ولذا كما يقول ابن القيم - رحمه الله - : " منع رسول الله ﷺ من إقامة المسلم بين المشركين إذا قدر على الهجرة من بينهم ، وقال :

" أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، قيل يا رسول الله : ولم ؟ قال : لا تراءى ناراهما " (٣) (٤) .

وعن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » (٥) .

قال محمد شمس الحق عظيم آبادي - رحمه الله - : " وفيه وجوب الهجرة على من قدر عليها ، ولم يقدر على إظهار الدين ، أسيراً كان أو حربياً ، فإن المسلم مقهور مهان بينهم ، وإن انكفوا عنه ، فإنه لا يأمن بعد ذلك أن يؤذوه أو

(١) النووي - روضة الطالبين وعمدة المفتين ج ١٠ ط ٢ [بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ] ص ٢٨٢ .

(٢) ابن تيمية - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ج ٢٨ ط (ب . ت) [الرباط : مكتبة المعارف ، (د . ن) ص ٢٤٠ .

(٣) سبقت الإشارة إليه من هذا البحث ص : ١٣ .

(٤) ابن القيم - زاد المعاد في هدي خير العباد ج ٣ ط ١٥ [بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ] ص ١٢٢ .

(٥) الألباني - صحيح سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب في الإقامة بأرض الشرك ج ٢ / ص ٥٣٦ رقم ٢٤٢٠ وقال : إسناده صحيح (ك ٨ ب ١٨٢ ح ٢٤٢٠) . .

يفتنوه عن دينه " (١) .

وهذا الوجوب باق ما بقيت موجباته .

قال ابن حجر - رحمه الله - : " وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر ، وقدر على الخروج منها " (٢) .

الحالة الثانية :

عند طلب الإمام الهجرة تقوية لسلطانه (٣) :

وتجب الهجرة من دار الكفر عند طلب إمام المسلمين ذلك ، تقوية لسلطانه ، وحماية للدولة المسلمة ، ونصرتها ، وتكثيراً للمسلمين ، وإضعافاً لشوكة الكفار .

ومما يؤكد على ذلك : أن الهجرة في أول الإسلام كانت فرضاً على المسلمين إلى المدينة . قال ابن حجر - رحمه الله - : « قال الخطابي وغيره : كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم ، لقلّة المسلمين بالمدينة ، وحاجتهم إلى الاجتماع ، فلما فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة ، وبقي فرض الجهاد ، والنية على من قام به أو نزل به عدو " (٤) .

وقال ابن العربي - رحمه الله - : " الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام ، وكانت فرضاً في أيام النبي ﷺ " (٥) .

(١) محمد شمس الحق عظيم آبادي - عون المعبود شرح سنن أبي داود ، مرجع سابق ج ٧ / ص ٣٣٨ .

(٢) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٦ / ص ٣٩ .

(٣) الشوكاني - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتهى الأخيار مرجع سابق ج ٨ / ص ٢٧ .

(٤) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٦ / ص ٣٨ .

(٥) ابن العربي - أحكام القرآن ، مرجع سابق ج ١ / ص ٤٨٤ .

وقال ابن حجر- رحمه الله- : قال الخطابي " كانت الهجرة إلى النبي ﷺ في أول الإسلام مطلوبة ، ثم افترضت لما هاجر إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه ، وتعلم شرائع الدين ، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع المواالات بين من هاجر ومن لم يهاجر ، فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ (١) ، فلما فتحت مكة ، ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة ، وبقي الاستحباب في زمنه ﷺ " (٢) .

وقال الفخر الرازي- رحمه الله- : " لو اتفق في بعض الأزمان كون المؤمنين في بلد ، وفي عددهم قلة ، ويحصل للكفار بسبب كونهم معهم شوكة ، وإن هاجر المسلمون من تلك البلدة ، وانتقلوا إلى بلدة أخرى ضعفت شوكة الكفار ، فهاهنا تلزمهم الهجرة على ما قاله الحسن ؛ لأنه قد حصل فيهم مثل العلة في الهجرة من مكة إلى المدينة " (٣) .

كما ذكر ذلك الشيخ محمد رشيد رضا- رحمه الله- فقال :

" وأما المتعلق بجماعة المسلمين ، فهو أنه يجب على مجموع المسلمين أن تكون لهم جماعة أو دولة قوية تنشر دعوة الإسلام ، وتقيم أحكامه وحدوده ، وتحفظ بيضته ، وتحمي دعائه وأهله منبغي الباغين ، وعدوان العادين ، وظلم الظالمين ، فإذا كانت هذه الجماعة أو الدولة أو الحكومة ضعيفة ، يخشى عليها من إغارة الأعداء وجب على المسلمين أينما كانوا وحيثما حلوا أن يشدوا أزرها ، حتى تقوى ، وتقوم بما يجب عليها ، فإذا توقف على ذلك هجرة البعيد عنها إليها ، وجب عليه ذلك وجوباً قطعياً لا هوادة فيه ، وإلا كان راضياً بضعفها ، أو معيناً

(١) سورة الأنفال ، آية : (٧٢) .

(٢) ابن حجر العسقلاني- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٧ / ص ٢٢٩ .

(٣) الفخر الرازي- التفسير الكبير ، مرجع سابق ج ١٥ / ص ٢٢٠ .

لأعداء الإسلام على إبطال دعوته وخفض كلمته " (١) .

الحالة الثالثة :

وجوب الهجرة من دار الفسق والبغي :

حيث يرى بعض العلماء أن الهجرة واجبة من دار الفسق والبغي ، وهي الدار التي يشيع فيها الحرام ، والظلم ، والباطل ، والفتنة .

قال الونشريسي - رحمه الله - : " إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة ، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة ، قال عليه السلام : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن » (٢) (٣) .

وقال القرطبي - رحمه الله - " عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةً ﴾ (٤) وفي هذه الآية دليل على هجران الأرض التي يعمل فيها بالمعاصي ، وقال سعيد بن جبير - رحمه الله - : إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرج منها ، وتلا : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةً ﴾ (٥) " (٦) .

(١) محمد رشيد رضا - تفسير المنار ، مرجع سابق ج ٥ / ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٢) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب من الدين الفرار من الفتن ج ١ / ص ١٢ رقم ١٩ (ك ٢ ب ١٢ ح ٩) .

(٣) أحمد بن يحيى الونشريسي - المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب ج ٢ ط (ب . ت) [بيروت : دار الغرب الإسلامي ١٤٠١ هـ] ص ١٢١ .

وانظر : ابن العربي - عارضة الأحوذى في شرح صحيح الترمذي ج ٧ ط (ب . ت) [بيروت : دار الكتاب العربي (د . ن)] ص ٨٨ .

الشيخ محمد أحمد عيش - فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك ج ١ ط (ب . ت) [بيروت : دار المعرفة (د . ن)] ص ٣٧٥ .

(٤) سورة النساء ، آية : (٩٧) .

(٥) سورة النساء آية : (٩٧) .

(٦) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ج ٥ / ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

وقال أيضاً بعد تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. ﴾ (١) :
" قال مالك : هذه الآية دالة على أنه ليس لأحد المقام بأرض يسب فيها السلف ،
ويعمل فيها بغير الحق " (٢) .

كما ذكر ابن العربي - رحمه الله - أن الخروج من أرض البدعة أحد أقسام
الهجرة الواجبة ، ثم قال : " قال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : لا يحل لأحد
أن يقيم ببلد يسب فيها السلف - ثم قال ابن العربي - وهذا صحيح ، فإن المنكر إذا
لم يقدر على تغييره نزل عنه ، قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا
فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى
مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) ، وقد كنت قلت لشيخنا الإمام الزاهد أبي بكر الفهري :
ارحل عن أرض مصر إلى بلادك ، فيقول : لا أحب أن أدخل بلاداً غلب عليها
كثرة الجهل وقلة العقل ، فأقول له : فارحل إلى مكة ، أقم في جوار الله وجوار
رسوله - ﷺ - فقد علمت أن الخروج عن هذه الأرض فرض لما فيها من البدعة
والحرام " (٤) .

وقد أشار إلى ذلك البهوتي - رحمه الله - فقال :

" وتجب الهجرة من بلد بغاة أو بدع مضلة كرفض واعتزال ، فيخرج منها إلى
دار أهل السنة وجوباً إن عجز عن إظهار مذهب أهل السنة فيها " (٥) .

قال القرطبي - رحمه الله - : " وذلك عند ظهور المعاصي ، وانتشار المنكر ،
وعدم التغيير ، وإذا لم يتغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك

(١) سورة النساء آية (١٠٠) .

(٢) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ج ٥ / ص ٣٤٨ .

(٣) سورة الأنعام آية : (٦٨) .

(٤) ابن العربي - أحكام القرآن ، مرجع سابق ج ١ / ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .

(٥) منصور البهوتي - كشف القناع عن متن الإقناع ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٤٣ - ٤٤ .

البلدة ، والهرب منها ، وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم ، كما في قصة السبت حين هجروا العاصين ، وقالوا : لا نساكنكم ، وبهذا قال السلف رضي الله عنهم " (١) .

فإن لم يجد المسلم بلداً تخلو من الحرام والظلم والفتنة ، كان عليه أن يختار أقل البلاد إثماً وظلماً .

قال ابن العربي - رحمه الله - : " فإن قيل : فإذا لم يوجد بلد إلا كذلك ؟ قلت : يختار المرء أقلها إثماً مثل أن يكون البلد فيه كفر ، فبلد فيه جور خير منه ، أو بلد فيه عدل وحرام ، فبلد فيه جور وحلال خير منه للمقام ، أو بلد فيه معاص في حقوق الله ، فهو أولى من بلد فيه معاصٍ في مظالم العباد " (٢) .

وأميل إلى ما رجحه الإمام الشوكاني - رحمه الله - من عدم وجوب الهجرة من دار الفسق ، حيث ردّ - رحمه الله - على القائلين بوجوب الهجرة من دار الفسق قياساً على دار الكفر فقال : « وهو قياس مع الفارق ، والحق عدم وجوبها من دار الفسق ، لأنها دار إسلام ، وإلحاق دار الإسلام بدار الكفر بمجرد وقوع المعاصي فيها على وجه الظهور ليس بمناسب لعلم الرواية ، ولا لعلم الدراية » (٣) .

ولا شك أن هذا الرأي هو الذي يتوافق مع نصوص الشريعة منطوقاً ومفهوماً .

= وانظر : منصور البهوتي - شرح منتهى الإرادات ، مرجع سابق ج ٢ / ص ١٩٤ .

(١) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ج ٧ / ص ٣٩٢ .

(٢) ابن العربي - عارضة الأحوذ في شرح الترمذي ، مرجع سابق ج ٧ / ص ٨٨-٨٩ .

وانظر : أحمد بن يحيى الونشريسي - المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقيا والأندلس

والمغرب ، مرجع سابق ج ٢ / ص ١٢١ .

(٣) الشوكاني - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتهى الأخبار ، مرجع سابق ج ٨ / ص ٢٧ .

المبحث الثاني

الهجرة المستحبة

تستحب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، ولا تجب لمن يقدر على الهجرة ويتمكن من إظهار الدين وإقامة الواجبات في دار الكفر .

وقد صرح العلماء - رحمهم الله - باستحباب الهجرة لمن أمن الفتنة ، وتمكن من إظهار الدين ، وترتب على إقامته مصلحة راجحة للمسلمين .

ومن العلماء الذين صرحوا بذلك مجد الدين أبو البركات ، حيث قال رحمه الله : " والهجرة مستحبة لمن أمكنه إظهار دينه بها - أي في دار الكفر - " (١) .

وقال علاء الدين المرادوي - رحمه الله - : " هذا المذهب ، وعليه جماهير الأصحاب (٢) - من الحنابلة رحمة الله عليهم - .

وقال الشيخ إبراهيم الضويان : " فإن قدر على إظهار دينه فمسنون : أي مستحب له الهجرة ؛ ليتمكن من الجهاد ، وتكثير عدد المسلمين " (٣) .

وقد بين ابن قدامة - رحمه الله - السبب في استحباب الهجرة ، وعدم وجوبها ، فقال : " ليتمكن - المسلم - من جهادهم ، وتكثير المسلمين ، ومعاونتهم ،

(١) عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية الحراني المحرر في الفقه ج ٢ ، ط ٢ [الرياض : مكتبة المعارف ١٤٠٤هـ] ص ١٧٠ .

(٢) علاء الدين المرادوي - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجلد أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ج ٤ / ص ١٢١ .

(٣) إبراهيم الضويان - منار السبيل في شرح الدليل لمرعي بن يوسف المقدسي ج ١ ط ٢ [الرياض : مكتبة المعارف ١٤٠٥] ص ٢٧١ .

وانظر : منصور البهوتي - شرح منتهى الإرادات ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٩٤ .

ويتخلص من تكثير الكفار ومخالطتهم ، ورؤية المنكر بينهم ، ولا تجب لإمكان إقامة واجب دينه بدون الهجرة» (١) .

كما ذكر محمد الخطيب الشربيني - رحمه الله - وجهاً آخر لاستحباب الهجرة فقال : " وهي مستحبة كذلك في حالة رجاء ظهور الإسلام بإقامته في دار الكفر ، أو من في إقامته في دار الكفر مصلحة من مصالح المسلمين ، فقد حكى ابن عبد البر وغيره أن إسلام العباس - رضي الله عنه - كان قبل بدر ، وكان المسلمون يثقون به ، وكان يحب القدوم على النبي ﷺ ، فكتب إليه النبي ﷺ : إن مقامك في مكة خير ، ثم أظهر إسلامه يوم فتح مكة » (٢) .

(١) ابن قدامة - المغني ، مرجع سابق ج ٨ / ص ٤٥٧ - ٤٥٨ .

وانظر : ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٦ / ص ١٩٠ .

(٢) محمد الخطيب الشربيني - مغني المحتاج ، مرجع سابق ، ج ٤ / ص ٢٣٩ .

وانظر : ابن الأثير - أسد الغاية في معرفة الصحابة ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٦١ .

المبحث الثالث

سقوط الهجرة

لما كانت الهجرة فراراً بالدين من الفتنة واجباً مقررأ على كل مسلم ، وكان المتخلف عنها عاصياً لله ، ومرتكباً لذنوب عظيم ، فقد اقتضت رحمة الله عز وجل أن يستثنى من العقاب الشديد في حق تاركي الهجرة أولئك المستضعفين ، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً .

فتسقط الهجرة عن المستضعفين الذين فقدوا صفة القدرة عليها ، يقول الله جل وعلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَتْ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ، إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢) ، وقال جل جلاله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٣) .

والمستضعفون جنس يشمل معدومي القدرة على الإتيان بهذا الواجب الشرعي ، ويدخل في المستضعفين كل من :

١- العاجز .

٢- الضعيف .

٣- المكره .

٤- الأسير .

وقد أبان علماء الإسلام الحكم الشرعي الذي ينطبق على هؤلاء المعذورين .

(١) سورة النساء الآيتان : (٩٧-٩٩) .

(٢) سورة البقرة ، آية : (٢٨٦) .

(٣) سورة التغابن آية : (١٦) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : " هذا عذر من الله لهؤلاء في ترك الهجرة ، وذلك أنهم لا يقدرّون على التخلص من أيدي المشركين ، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ، ولهذا قال : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ (١) (٢) .

قال الإمام الطبري - رحمه الله - : " والعجز عن الهجرة بالعسرة وقلة الحيلة ، وسوء البصر والمعرفة بالطريق من أرضهم أرض الشرك إلى أرض الإسلام " (٣) ؛ بحيث لو خرج هؤلاء لهلكوا .

والضعف المسقط للهجرة للرجال ، " يكون بالعلل ، وتكون بالعرج والعمى والشلل ، ونحوها . والنساء والولدان بالضعف الملازم لهم " (٤) .

وقال الشافعي - رحمه الله - : " دلت سنة رسول الله ﷺ على أن فرض الهجرة على من أطاقها ، إنما هو على من فتن عن دينه بالبلد الذي يسلم بها ؛ لأن رسول الله ﷺ أذن لقوم بمكة أن يقيموا بها بعد إسلامهم - العباس بن عبد المطلب وغيره - ، إذ لم يخافوا الفتنة " (٥) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - ، قال - " كنت أنا وأمي من المستضعفين ، أنا من الولدان وأمي من النساء " (٦) .

وعن ابن أبي مليكة أن ابن عباس - رضي الله عنهما - تلا قول الله تعالى : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ ﴾ (٧) ، قال : كنت أنا

(١) سورة النساء آية : (٩٩) .

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ١ / ص ٥٩٦ .

(٣) الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ / ص ٢٣٣ .

(٤) أبو بكر الجزائري - أسير التفاسير بكلام العلي الكبير ج ١ ط ٤ [جدة : راسم للدعاية والإعلان ١٤١٢هـ] ص ٥٣٠ .

(٥) الإمام الشافعي - الأم - ج ٤ ط ٢ [بيروت : دار المعرفة ١٣٩٣هـ] ص ١٦١ .

(٦) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب اللحد والشق في القبر ج ٢ / ص ١١٩ رقم ١٣٥٧ (ك ٢٣ ب ٧٨ ح ١٣٥٧) .

وانظر : ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ١ / ص ٥٧٦ .

(٧) سورة النساء آية : (٩٨) .

وأُمي ممن عذر الله عز وجل (١) .

وحيثما هاجر الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة ، وبقي بقية من أصحابه المستضعفين في مكة ، أخذ عليه الصلاة والسلام يدعو الله لهم بالنجاة من أذى المشركين ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة يقول : « اللهم انج عياش بن أبي ربيعة ، اللهم انج سلمة بن هشام ، اللهم انج الوليد بن الوليد ، اللهم انج المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف » (٢) .

قال ابن قدامة - رحمه الله - في سقوط الهجرة

" من لا هجرة عليه وهو : من يعجز عنها إما لمرض ، أو إكراه على الإقامة ، أو لضعف من النساء والولدان وشبههم ، فهذا لا هجرة عليه ، لقول الله تعالى : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٣) ، ولا توصف باستحباب ؛ لأنها غير مقدور عليها " (٤) .

فمتى عجز المسلم في بلاد الكفر عن الهجرة والفرار بدينه لعجزه وضعفه ، وكان بمثابة المريض ، أو المكروه على الإقامة (المحبوس) ، أو كان ضعيفاً ، أو مأسوراً ، ففي هذه الأحوال يرجى للقاعد العفو ، ويصير بمثابة المكروه على التلفظ بالكفر ، قال تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٥) .

(١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ١ / ص ٥٧٦ .

(٢) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب دعاء النبي ﷺ «اجعل عليهم سنين كسني يوسف» ج ٢ / ص ١٩ رقم ١٠٠٦ (ك ١٥ ب ٢ ح ١٠٠٦) .

(٣) سورة النساء الآيتان : (٩٨ - ٩٩) .

(٤) ابن قدامة - المغني ، مرجع سابق ، ج ٨ / ص ٤٥٧ .

(٥) سورة النساء آية : (٩٩) .

قال ابن حجر - رحمه الله - : " فإن حمل المستضعف على نفسه وتكلف الخروج منها - إلى دار الإسلام - أجر " (١) .

(١) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٦ / ص ١٩٠ .

المبحث الرابع

استحباب البقاء في دار الكفر و كراهية الهجرة لمقصد شرعي

استثنى العلماء من وجوب الهجرة في دار الكفر من كانت المصلحة العائدة ببقائه في دار الكفر ظاهرة بحيث يكون ذلك راجحاً على هجرته وفراره بدينه ، واشتروطوا لأجل ذلك الأمن من الفتنة ، والتمكن من إظهار الدين ، وإقامة الشرائع ، وذلك في الحالتين التاليتين :

أولاً : أن يكون بقاءه في دار الكفر من أجل الدعوة إلى الإسلام :

قال الشيخ محمد العثيمين - حفظه الله - مبيناً أقسام الإقامة في دار الكفر :
«أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه ، فهذا نوع من الجهاد ، فهي فرض كفاية على من قدر عليها بشرط أن تتحقق الدعوة ، وألاً يوجد من يمنع منها ، أو من الاستجابة إليها؛ لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين ، وهي طريقة المرسلين ، وقد أمر النبي ﷺ : «بلغوا عني ولو آية» (١)» (٢) .

ولذا «فإن إقامة المسلم في بلاد الكفار لغرض الدعوة إلى الله جائزة ، بل مندوبة؛ وذلك لأن ما يترتب على بقاءه من الخير سيتضاعف على ما يمكن أن يحصل له من الشر أو الضرر ، على أن يكون المقيم قادراً على إظهار دعوته وشعائره دينه» (٣) .

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ج ٤ / ص ١٧٥ رقم ٣٤٦١ (ك ٦٠ ب ٥٠ ح ٣٤٦١) .

(٢) الشيخ محمد العثيمين - مجموع فتاوى رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ط ٢ [الرياض : دار الثريا ١٤١٤هـ] ص ١٣٤ .

(٣) د/ عبد الله الطريقي - الولاء والبراء في علاقة المسلم بغير المسلم ط ١ [الرياض : دار الوطن ١٤١١هـ] ص ٥٩ .

ثانياً : القدرة على اعتزال أهل الحرب والامتناع من أذاهم :

قال محمد الخطيب الشربيني - رحمه الله - : " ولو قدر على الامتناع بدار الحرب والاعتزال ، وجب عليه المقام بها ؛ لأن موضعه دار الإسلام ، فلو هاجر لصار دار حرب ، فيحرم ذلك ، نعم إن رجا نصرة المسلمين بهجرته فالأفضل أن يهاجر ، قاله الماوردي ، ثم في إقامته يقاتلهم على الإسلام ، ويدعوهم إليه إن قدر وإلا فلا " (١) .

ويتضح مما سبق أن حكم الهجرة يختلف باختلاف أحوال الناس ، فيكون واجباً عند خوف الفتنة في الدين ، وعلى من يخشى تأثره بالكفر والمعاصي ، ويكون ممتنعاً على من يعلم قيامه بالدعوة مع امتناعه من أذى الكفار ، وجائزاً لمن كان قادراً على النهوض بواجباته الشرعية .

(١) محمد الخطيب الشربيني - مغني المحتاج ، مرجع سابق ، ج ٤ / ص ٢٣٩ .
وانظر : النووي - روضة الطالبين وعمدة المفتين ، مرجع سابق ج ١٠ / ص ٢٨٢ .

الباب الثاني

تطبيقات الهجرة وآثارها

الفصل الأول : الهجرة في دعوة الأنبياء
السابقين - عليهم الصلاة والسلام -
وآثارها.

الفصل الثاني : الهجرة في دعوة النبي محمد
ﷺ وآثارها.

الفصل الثالث : نماذج من هجرة السلف
الصالح وآثارها.

الفصل الأول

الهجرة في دعوة الأنبياء السابقين

عليهم الصلاة والسلام وآثارها

المبحث الأول: هجرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وآثارها.

المطلب الأول : نشأة إبراهيم عليه الصلاة والسلام -
ودعوته.

المطلب الثاني : هجرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث : آثار هجرات إبراهيم عليه الصلاة
والسلام .

المبحث الثاني : هجرة موسى عليه الصلاة والسلام وآثارها.

المطلب الأول : نشأة موسى - عليه الصلاة والسلام -

المطلب الثاني : دعوة موسى عليه الصلاة والسلام - وهجرته

المطلب الثالث : آثار هجرة موسى عليه الصلاة والسلام .

المبحث الأول

هجرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأثارها .

يشتمل المبحث على النقاط التالية :

أولاً : نشأة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ودعوته .

ثانياً : هجرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ثالثاً : آثار هجرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وتفصيل الكلام عن هذه القضايا حسب ترتيبها ما يلي :

المطلب الأول : نشأة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ودعوته.

١ - نشأته عليه السلام :

هو إبراهيم بن آزر على الصحيح من أقوال أهل العلم^(١) لقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢) وقوله ﷺ : «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة . . .»^(٣) قال ابن كثير - رحمه الله - :

(١) ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٧ / ص ٢٤٤ .

وانظر : الفخر الرازي - التفسير الكبير ، مرجع سابق ج ١٣ / ص ٣٩ - ٤٠ .

- ابن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٦ / ص ٣٨٩ .

(٢) سورة الأنعام آية : (٧٤) .

(٣) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى وَأَتَّخِذُ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وقوله : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ ج ٤ / ص ١٣٣ رقم ٣٣٥٠ (ك ٦٠ ب ٨ ح ٣٣٥٠) .

" ولد عليه السلام في أرض الكلدانيين في أرض بابل ، وهو المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار " (١) ، وكان مولده في عهد النمرود (٢) بن كوش قال الطبري - رحمه الله - : " قال عامة السلف من أهل العلم : كان مولد إبراهيم عليه السلام في عهد نمرود بن كوش « (٣) وعلى الرغم من أن البيئة التي نشأ فيها الخليل - عليه السلام - كانت بيئة فاسدة - إذ كان قومه يعبدون الأصنام من دون الله تعالى ، وكان لهم عدد كثير من هذه الآلهة ، ورثوا عبادتها عن آبائهم ، يشير إلى ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ، قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤) - إلا أنه عليه السلام لم يتأثر بما فيها من مفاسد ومظاهر شركية ، فقد عصمه الله جل وعلا من الشرك ، وألهمه الرشد قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٥) قال الشوكاني - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦) بالله كما تزعمه كفار قريش أنه كان على دينهم الباطل « (٧) .

وقال الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ (٨) قال ابن كثير - رحمه الله - : " يخبر الله تعالى عن خليله إبراهيم أنه آتاه رشده من قبل أي من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه (٩) .

- (١) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج ١ / ص ١٤٠ .
(٢) بالدال المهملة في آخره ، ويقال بالذال المعجمة وللاستزادة انظر :
الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٢٤ .
محمد الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير ج ٥ ط (ب . ت) [تونس : الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م] ص ٣٢ .
مجموعة من الباحثين - الموسوعة المسيرة ج ٢ ط (ب . ت) [بيروت : دار نهضة لبنان للطبع والنشر ١٤٠٦ هـ] ص ١٨٤٧ .
(٣) الطبري - تاريخ الطبري ج ١ ط (ب . ت) [بيروت : دار سويدان ١٣٨٧ هـ] ص ٢٣٣ .
(٤) سورة الأنبياء الآيتان (٥٢ - ٥٤) .
(٥) سورة النحل آية : (١٢٠) .
(٦) الشوكاني - فتح القدير ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٢٠٢ .
(٨) سورة الأنبياء آية : (٥١) .
(٩) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٢٠١ .

٢ - دعوة إبراهيم عليه السلام :

بعد أن بعثه الله جل وعلا إلى قومه ، أخذ عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله ووحدانيته ، وترك الشرك ، وعبادة الأوثان ، كما دعاهم إلى الإيمان بالرسالات ، والغيب ، والبعث بعد الموت .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) .

وقد تعددت أساليب دعوته - عليه السلام - ومرت بثلاث مراحل - أذكرها باختصار :

المرحلة الأولى : دعوة إبراهيم - عليه السلام - لأبيه : حيث بدأ عليه الصلاة والسلام بأقرب الناس إليه ، وأولاهم بنصحه وحرصه ، على هداية أبيه آزر ، فدعاه إلى التوحيد ، وحذره من الشرك ؛ مستخدماً عليه الصلاة والسلام في دعوته النصيح والإخلاص والترغيب ، وقد كان والده ممن يعبد الأصنام ، فما كان من آزر إلا أن ضاق به ذرعاً ، وهدده بأن يرحمه إذا استمر في دعوته ، ورغب عن آلهة قومه ، فما كان من الخليل إلا أن اعتزله رغبة في أن يراجع والده نفسه ، فيبحث عن الطريق الذي يرده إلى الصواب ، ووعدته أن يستغفر له .

قال الله تعالى : ﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ

(١) سورة العنكبوت الآيتان : (١٦-١٧) .

عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ، قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ، فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ، وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿١﴾ ولكن لما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، ولم يستغفر له بعد ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (٢) .

المرحلة الثانية : دعوة إبراهيم عليه السلام لعامة قومه :

اتجه الخليل عليه السلام إلى دعوة قومه بعد دعوته لوالده محذراً إياهم من الشرك ، وحثهم على ترك عبادة الأصنام ، محاوراً لهم ومجادلاً ، مقيماً الحجج على بطلان دعواهم وصدق دعوته بعدد من الأساليب بسبب كفرهم بالله ، وعبادة الأصنام ، لائماً ، متهكماً ، عائباً ، متبرئاً . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ، قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ، قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ، وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ، فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ، قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ، قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ، قَالُوا

(١) سورة مريم الآيات : (٤١ - ٥٠) .

(٢) سورة التوبة آية : (١١٤) .

أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَتَا يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ، فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ، ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ، قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ، أَفَلَكُمْ وَلِيمًا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ .

و حين أعيأ قومه شأنه عليه السلام ، قرروا التخلص منه ومن دعوته ، ولم يجدوا وسيلة لذلك إلا السعي في قتله وإحراقه ، قال تعالى مصوراً ذلك ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (٢) وقال جل جلاله : ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ (٣) قال القرطبي - رحمه الله - : " قال ابن إسحاق : وجمعوا الحطب شهراً ، ثم أوقدوها ، فاشتعلت النار واشتدت ، حتى إن كان الطائر يمر بجنباتها فيحترق من شدة وهجها ، ثم قيدوا إبراهيم - عليه السلام - ووضعوه في المنجنيق مغلولاً " (٤) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم - عليه السلام - حين ألقى في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إِنْ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٥) (٦) فنصر الله عبده ورسوله ﷺ ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٧) فخرج خليل الله سليمان معافى كما قال تعالى ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ (٨) .

(١) سورة الأنبياء الآيات : (٥١ - ٦٧) .

(٢) سورة الأنبياء آية : (٦٨) .

(٣) سورة الصافات آية : (٩٧) .

(٤) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ / ص ٣٠٣ .

(٥) سورة آل عمران آية : (١٧٣) .

(٦) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿ إِنْ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ ج ٥ / ص ٢٠٣ ح ٤٥٦٣ (ك ٦٥ ب ١٣) ح (٤٥٦٣) .

(٧) سورة الأنبياء آية : (٦٩) .

(٨) سورة الأنبياء آية : (٧٠) .

المرحلة الثالثة : دعوته عليه السلام للنمرود :

انتقل عليه السلام بعد أن نجّاه الله من النار إلى مرحلة أخرى جديدة من مراحل الدعوة ، حيث ناظر الملك الجبار (النمرود) .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : " ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم ونمرود بعد خروج إبراهيم - عليه السلام - من النار " (٢) .

وبعد أن أقام عليه السلام الحجج الدامغة الكثيرة على قومه ، ورأى أنه لا فائدة من البقاء في هذه البيئة القاحلة ، جاءه أمر الله بالهجرة إلى الأرض المباركة ، فترك بلده وعشيرته وقومه ﴿ فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) ، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ (٤) قال القرطبي - رحمه الله - : « أي مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي ، فإنه (سيهدين) فيما نويت إلى الصواب » (٥) . فكانت هجرته عليه السلام أول هجرة في تاريخ الدعوة (٦) ، وأصبحت منهجاً للمرسلين من بعده عليه الصلاة والسلام .

(١) سورة البقرة آية : (٢٥٨) .

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٣٦ .

(٣) سورة العنكبوت آية : (٢٦) .

(٤) سورة الصافات آية : (٩٩) .

(٥) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - مرجع سابق ج ١٥ / ص ٩٧ .

وانظر : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٦) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ج ١٥ / ص ٩٧ .

المطلب الثاني

هجرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام

تعددت هجرات الخليل - عليه السلام - ، وقد ذكر أهل السير والتاريخ أن لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ثلاث هجرات وهي على النحو التالي :

- أ- هجرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى الشام
 - ب- هجرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى مصر ثم عودته إلى الشام .
 - ج- هجرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى مكة المكرمة .
- وسأعرض لهذه الهجرات بشيء من التفصيل - إن شاء الله - :

أولاً : هجرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى الشام:

بعد أن أيقن إبراهيم - عليه السلام - أنه بلغ دعوة الله تعالى ، وأن جذور الشرك عميقة في قلوب وعقول قومه ، وبعد أن وقفوا من دعوته موقف العداء والمحاربة ، وأجمعوا على إحراقه ، قرر عليه السلام الخروج من بينهم أملاً في التمكن من العبادة ، ونشر الدين ، ودعوة الخلق إلى الله رب العالمين .

وقد هاجر عليه السلام تاركاً وطنه وأهله وعشيرته ، متجهاً إلى الشام يشاركه ويصحبه في الهجرة جماعة المسلمين يومئذ : زوجته سارة ، وابن أخيه لوط ، وأخوه ناحور ، وامرأة أخيه ملكا ، كما ذكر ذلك ابن كثير - رحمه الله - (١) .

وقد أقام عليه السلام بحران فترة من الزمن يدعو إلى الله ، وكان أهلها كفاراً

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٤٠ .

وانظر : ابن سعد - الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ج ١ / ص ٤٦ .

وانظر : ابن كثير - قصص الأنبياء ، مرجع سابق ص ١١٤ .

يعبدون الأوثان والكواكب ، فلما لم يستجيبوا لدعوته ، وأصروا على كفرهم خرج عليه السلام فواصل هجرته قاصداً أرض الكنعانيين ، وهي بلاد بيت المقدس ، وهي الأرض المباركة - كما نص على ذلك عدد من المفسرين (١) - التي قال الله عز وجل فيها : ﴿ وَنَجِّنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وقد أقام عليه السلام فترة من الزمن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ، ولم يطل المقام به هناك ، فقد شاءت إرادة الله تعالى أن يجتاح أرض الشام في تلك الفترة قحط وشدة ومجاعة ، الأمر الذي أدى إلى نزوح كثير من أهلها ، فرأى عليه السلام أن يهاجر إلى مصر لا خوفاً على الرزق ، ولا طلباً للميرة ، بل سعياً في المقام الأول إلى نشر الدعوة ، ثم الضرب في الأرض للأكل من رزق الله (٣) .

ثانياً : هجرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى مصر :

خرج عليه السلام مهاجراً إلى مصر بعد أن أجذبت أرض الشام كما سبق ذكره ، ومكث بها ما شاء الله أن يمكث ، ولم يطل به المقام هناك ، فقد شاءت إرادة الله جل وعلا أن يقع في تلك الهجرة الابتلاء لزوجته سارة ، ذلك أن ملك مصر في ذلك الزمان كان جباراً من الجبابرة ، ظالماً ، مولعاً بالنساء ، فلما قيل له : إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس ، أرسل إليه وسأله عنها فقال : من هذه؟ قال : أختي ، فأتى سارة فقال : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري

(١) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ج ١٥ / ص ٩٧ .

وانظر : الفخر الرازي - التفسير الكبير ، مرجع سابق ج ٢٢ / ص ١٩٠ .

- الألوسي - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج ١٧ ط (ب . ت) [بيروت : دار الفكر ١٤٠٨ هـ] ص ٧٠ .

- عبد الرحمن السعدي - تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان مرجع سابق ج ٥ / ص ٢٤٥ .

(٢) سورة الأنبياء آية : (٧١) .

(٣) أحمد البراء الأميري - إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم ط ١ [جدة : دار المنارة ١٤٠٦ هـ]

ص ٥١ .

وغيرك ، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي ، فلا تكذبيني ، وحين أرسل إليها ، ودخلت عليه ، أراد أن يعتدي عليها فأذله الله ، وحفظ عرض سارة زوج خليله - عليه السلام - ، فردها إليه ، ولم يمسه بسوء وأخدمها هاجر (١) .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله قوله ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ وقوله ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ وواحدة في شأن سارة ، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة ، وكانت أحسن الناس ، فقال لها : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختي ، فإنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك ، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار أتاه فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك ، فأرسل إليها فأتي بها ، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة ، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها ، فقبضت قبضة شديدة فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت ، فعاد فقبضت أشد من القبضة الأولى ، فقال لها مثل ذلك ففعلت فعاد ، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين فقال : ادعي الله أن يطلق يدي ، فلك الله أن لا أضرك ففعلت وأطلقت يده ، ودعا الذي جاء بها فقال له : إنك إنما أتيتني بشيطان ولم تأتيني بإنسان ، فأخرجها من أرضي ، وأعطها هاجر قال : فأقبلت تمشي ، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف فقال لها : مهيم؟ قالت خيراً ، كف الله يد الفاجر وأخدم خادماً . قال أبو هريرة رضي الله عنه : فتلك أمكم يا بني ماء السماء « (٢) .

ومكث إبراهيم عليه السلام في مصر ما شاء الله أن يمكث ، ثم غادرها راجعاً إلى الشام (أرض التيمن) ، ومعه عبيد ومال جزيل ، وصحبتهم هاجر التي

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٥٢ .

(٢) الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ج ٤ / ص ١٨٤٠ رقم ٢٣٧١ (ك ٤٣ ب ٤١ ح ٢٣٧١) .

أخدمها الملك الظالم لسارة بعد أن رأى منها ما رأى .

قال ابن كثير - رحمه الله - : " ثم إن الخليل عليه السلام رجع من بلاد مصر إلى أرض التيمن ، وهي الأرض المقدسة التي كان فيها ، ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل ، وصحبتهم هاجر القبطية المصرية " (١) .

ثالثاً : هجرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى مكة المكرمة :

تعددت وتنوعت هجرات إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - إلى مكة المكرمة ، وقد جاءت على النحو التالي :

١ - هجرته عليه السلام بهاجر وإسماعيل إلى مكة ، وتركهما هناك ، ثم عودته إلى الشام .

٢ - هجرته عليه السلام إلى مكة لتنفيذ أمر الله تعالى لذبح ولده إسماعيل عليه السلام .

٣ - هجرته عليه السلام إلى مكة لزيارة ابنه وأمره بمفارقة زوجته .

٤ - هجرته عليه السلام إلى مكة لزيارة ابنه وأمره بإمساك زوجته .

٥ - هجرته عليه السلام إلى مكة لبناء البيت العتيق (٢) .

وسأعرض - إن شاء الله - لهذه الهجرات بشيء من التفصيل على النحو التالي :

أولاً : هجرته عليه السلام بزوجه هاجر وابنه إسماعيل إلى مكة ، وتركه لهما هناك ، ثم عودته إلى مهاجره بالشام :

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٥٢ .

(٢) عبد الله بن علي أبو سيف - الخليل إبراهيم عليه السلام في الكتاب والسنة (دعوته وهجراته ورد شبه المستشرقين) رسالة ماجستير غير مطبوعة ص ٥٠ - ٥١ .

مكث إبراهيم - عليه السلام - في مهاجره بالشام بعد عودته من مصر عشرين سنة ، كما ذكر ذلك بعض المؤرخين (١) ، وفي تلك الفترة لم يشأ الله جلت قدرته أن يرزقه بالولد من زوجه سارة ، إذ أنها كانت امرأة كبيرة قد تقدمت في السن ، وكانت عقيماً لا يرجى أن ترزق بولد ، وكانت نفس الخليل عليه السلام ترغب في ولد ، فدعا الله أن يهبه ولدًا صالحًا ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) فوهبت سارة جاريتها هاجر له - عليه السلام - لعل الله أن يرزقه بالولد ، وحين دخل بها عليه السلام وتزوجها أكرمها الله فولدت له إسماعيل عليه السلام ، ولأمر يريد الله سبحانه أخذها عليه السلام وولدها ، وخرج بهما إلى مكة ، فوضعهما هناك عند دوحه قرب زمزم .

إن هجرة إبراهيم - عليه السلام - بزوجه وابنه إلى مكة ، وتركهما في مكان مقفر ، وواد غير ذي زرع ، لم يكن باجتهاده عليه السلام ؛ بل لأمر يريد الله سبحانه حيث استودع الله ابنه إسماعيل وزوجه هاجر ، ثم عاد مرة أخرى إلى بيت المقدس .

وقد امتثلت هاجر لأمر الله سبحانه ، وتحملت بالصبر ، ورضيت بالحياة في هذا الوادي غير ذي الزرع تنفيذاً لأمر الله تعالى . " إن ترك الخليل لهاجر وإسماعيل عليه السلام - في هذا المكان الموحش - أمر يصعب أن يصدر من اجتهاد الخليل عليه السلام ، ومن ثم اعترضت هاجر خشية أن يكون إنزاله إياها وولدها باجتهاده : إلى من تكلنا في الأرض التي لا أنيس فيها - فلم يلتفت إليها ، فلما كررت ثلاثاً قال إلى الله ، فقالت : إذن لا يضيعنا ، وعادت وبنت لها ولوليدها إسماعيل عريشاً ، وعلى هذا فقد كان إنزال الخليل عليه السلام هاجر وولدها في مكة

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٥٣ .

(٢) سورة الصافات آية : (١٠٠) .

بأمر من الله تعالى (١) .

عن سعيد بن جبير قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاءً فيه ماء ثم قضى إبراهيم منطلقاً ، فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء؟ ، فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : الله أمرك بهذا؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه ، فقال كما أخبرنا الله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٢) وجعلت أم إسماعيل ، ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال : يتليط ، - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليه ، فنظرت هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « فذلك سعي الناس بينهما . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً

(١) أ . د . مصطفى صميده - خليل الرحمن في ضوء السنة والقرآن ط ١ [القاهرة : مطبعة الحسين

الإسلامية ١٩٩٠ م] ص ٦٢ .

(٢) سورة إبراهيم آية (٣٧) .

فقلت : صه - تريد نفسها - ، ثم سمعت أيضاً فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعد ما تغرف ، قال ابن عباس قال النبي ﷺ : يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم - أو قال لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً ، قال : فشربت ، وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإنها هنا بيت الله ، يبني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائراً عائفاً فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا - قال وأم إسماعيل عند الماء - فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم . قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : قال النبي ﷺ : فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم . . « (١) .

ثانياً : هجرته عليه السلام إلى مكة لتنفيذ أمر الله تعالى لذبح ولده إسماعيل عليه السلام :

رأى الخليل إبراهيم عليه السلام في المنام أن الله عز وجل يأمره بذبح ولده البكر إسماعيل (٢) ، ورؤيا الأنبياء حق ، كما جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « رؤيا الأنبياء حق » (٣) .

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب يزفون : النسلان في المشي ج ٤ / ص ١٣٧ - ١٣٨ . (ك ٦٠ ب ٩ ح ٣٣٦٤) .

(٢) ابن القيم - زاد المعاد في هدي خير العباد ج ١ ط ١٥ [بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٧ هـ] ص ٧١ وما بعدها .

وانظر : ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - مرجع سابق ج ٤ / ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب التخفيف في الوضوء ج ١ / ص ٥٠ ح ١٣٨ (ك ٤ ب ٥ ح ١٣٨) .

وقد هاجر عليه السلام إلى مكة لتنفيذ ما أمره الله به ، مستسلماً لله رب العالمين ، لم يشنه عزمه أن إسماعيل ابنه الوحيد ، وأنه - عليه السلام - أصبح شيخاً كبيراً ، وحين جاء عرض على ابنه رؤياه ليمتحن إيمانه ، وليكون ذلك أطيب لقلبه ، وأهون عليه ، وكانت الحكمة في عرض إبراهيم عليه السلام ذلك لابنه كما يقول الفخر الرازي - رحمه الله - :

من أجل " أن يطلع ابنه على هذه الواقعة ، ليظهر له صبره في طاعة الله ، فتكون فيه قرة عين لإبراهيم ، حيث يراه قد بلغ في الحلم إلى هذا الحد العظيم ، وفي الصبر على أشد المكاره إلى هذه الدرجة العالية ، ويحصل للابن الثواب العظيم في الآخرة والثناء الحسن في الدنيا " (١) .

لذلك أجابه إسماعيل - عليه السلام - مستسلماً لأمر الله ، مستجيباً لرسول الله عليه السلام فقال : يا أبت افعل ما أمرك الله به ، وستجدني إن شاء الله من الصابرين .

وقد ذكر الله جل وعلا ذلك في قوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ، وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ، وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) وحين استعد الخليل عليه السلام لتنفيذ ما أمره الله به من ذبح إسماعيل كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ (٣) عرض لهما الشيطان عند الجمرات ، فرماه الخليل عليه السلام حتى

(١) الفخر الرازي - التفسير الكبير - مرجع سابق ، ج ٢٦ / ص ١٥٧ .

(٢) سورة الصافات الآيات : (١٠٢ - ١١٠) .

(٣) سورة الصافات آية : (١٠٣) .

ذهب ، ثم تله للجبين ، كما جاء ذلك مروياً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : إن إبراهيم لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة ، فعرض له شيطان - قال يونس : الشيطان - فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات قال : قد تله للجبين - قال يونس : وثم تله للجبين - وعلى إسماعيل - عليه السلام - قميص أبيض ، وقال : يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره فاخلعه حتى تكفني فيه ، فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ (١) فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين ، قال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش ، قال : ثم ذهب به جبريل إلى الجمرة القصوى ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم ذهب به جبريل إلى منى . . . » (٢)

وقال تعالى : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

" أي هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ، ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٤) (٥) .

(١) سورة الصافات الآيتان (١٠٤ - ١٠٥) .

(٢) الإمام أحمد - المسند ج ١ / ص ٢٩٧ - ٢٩٨ رقم ٢٧٠٧ قال عنه العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح ج ٢ / ص ٢٤٧ .

وانظر : الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، کتاب التفسیر ، تفسير سورة الصافات ج ٢ / ص ٤٦٨ رقم ٣٦١٢ وقال عنه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٤ / ص ١٧ .

(٣) سورة الصافات الآيات : (١٠٧ - ١١٠) .

(٤) سورة الطلاق : الآيتان (٢ - ٣) .

(٥) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٤ / ص ١٨ .

ثالثاً : هجرته عليه السلام إلى مكة لزيارة ولده إسماعيل عليه السلام في المرة الأولى :

لبث الخليل إبراهيم عليه السلام مدة من الزمن في الشام ثم هاجر إلى مكة ليطمئن على زوجته وولده ، وليطالع تركته ، فلما بلغ مكة ، وجد أن زوجته هاجر قد ماتت ، وأن ابنه قد كبر ، وتزوج من جرهم ، فلم يجد ابنه إسماعيل - عليه السلام - لخروجه يبتغي الرزق لأهله ، فسأل الخليل - عليه السلام - زوج ابنه إسماعيل عن عيشتهم وهيئتهم فشكت إليه ، وتضجرت مما هم فيه ، فطلب منها إذا عاد إسماعيل أن تقرأ عليه السلام ، وأن تذكره بأن يغير عتبة بابه ، وهذا كناية عن تطليقها لسوء خلقها .

رابعاً : هجرته عليه السلام لزيارة ولده إسماعيل عليه السلام في المرة الثانية:

كما عاد الخليل عليه السلام مرة أخرى لزيارة ابنه فلم يجده ، ووجده قد تزوج امرأة أخرى وبنى بها ، وحين سألها عليه السلام ، ووصفت حالهم وأنهم في خير حال ، أوصاها عليه السلام لولده إسماعيل أن تقرأ عليه السلام ، وأن يثبت عتبة بابه ، وذلك كناية عن إمساكها .

وقد جاءت الإشارة إلى هاتين الهجرتين في الحديث السابق ذكره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وفيه :

« . . . وشب الغلام ، وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجته امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشتهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بشر ، نحن في ضيق وشدة ، فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له يغير عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشتنا؟ فأخبرته أنا

في جهد وشدة، قال فهل أوصاك بشيء؟ قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول : غير عتبة بابك ، قال : ذاك أبي ، قد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك فطلقها : وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته ، فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ، قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله عز وجل ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء ، قال النبي ﷺ : «ولم يكن لهم يومئذ حب» ، ولو كان لهم دعا لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة - وأثنت عليه - فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال : فأوصاك بشيء؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . . .» (١) .

رابعاً : هجرة إبراهيم عليه السلام لبناء البيت العتيق :

لبث الخليل عليه السلام في مهاجره في الشام ما شاء الله أن يلبث إلى أن أمره الله بالهجرة مرة أخرى إلى مكة ليبنى البيت الحرام ، فاستجاب عليه السلام لأمر الله ، ولما قدم مكة وجد إسماعيل - عليه السلام - يبني نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ، وبعد أن تعانقا عليهما السلام قال لابنه : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، أمرني أن أبني ها هنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، وشرعا - عليهما السلام - في تنفيذ أمر الله كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ

(١) سبقت الإشارة إلى تخريج هذا الحديث في هذا البحث ص ١٠٠ .

أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١﴾ وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢) .

كما جاءت الإشارة إلى ذلك في الحديث السابق ذكره ، وفيه أنه ﷺ قال مخبراً عن إبراهيم عليه السلام :

«ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يبيري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً - وأشار - إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - قال : فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣) قال : فجعلا بينان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٤) .

ولما فرغ عليه السلام من بناء البيت ، أمره الله سبحانه أن يؤذن في الناس بالحج حيث قال : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (٥) . فأذن إبراهيم بالحج ، ولبي الناس نداءه ، وأصبح البيت الحرام من ذلك الحين مثابة للناس وأمناً ، يقصده المسلمون

(١) سورة الحج آية : (٢٦) .

(٢) سورة البقرة آية : (١٢٧) .

(٣) سورة البقرة آية : (١٢٧) .

(٤) سبقت الإشارة إليه في هذا البحث ص ١٠٠ .

(٥) سورة الحج الآيتان : (٢٧-٢٨) .

للحج من كل مكان ، وفي كل زمان ، مشاة ، وركباناً .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال :
رب قد فرغت فقال : (أذن في الناس بالحج) قال : رب وما يبلغ صوتي ؟ قال :
أذن وعليّ البلاغ قال : رب كيف أقول ؟ قال : قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج
حج البيت العتيق ، فسمعه من بين السماء والأرض ، ألا ترى أنهم يجيئون من
أقصى الأرض يلبون « (١) .

وهكذا يتضح أن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - قد هاجر وترك وطنه وأهله
وعشيرته مهاجراً إلى الشام ومصر ، ومكة المكرمة رغبة في نشر الدعوة محافظاً
على دينه ، ومنفذاً أوامر ربه سبحانه وتعالى بالهجرة ، وكانت تلك الهجرات منه
- عليه الصلاة والسلام - أولى الهجرات في تاريخ الرسل - عليهم الصلاة والسلام - .

(١) الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، کتاب التفسیر ، تفسير سورة الحج ج ٢ / ص ٤٢١ رقم ٣٤٦٤
وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

المطلب الثالث

آثار هجرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام

أثمرت هجرات إبراهيم - عليه السلام - آثاراً بارزة في حياته - عليه السلام - وفي حياة ذريته من بعده ، ومن أبرز تلك الآثار - حسبما ظهر للباحث - ما يلي :

أولاً : أن الله تبارك وتعالى اختاره لخلته ، وجعل النبوة في ذريته :

قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (١) .

وعن جندب - رضي الله عنه - قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا » (٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٣) " وإنما سمي - الخليل - خليل الله لشدة محبته لربه عز وجل لما قام به من الطاعة التي يحبها ويرضاها " (٤) .

" ولعل من أهم الأسباب التي اتخذ الله بها إبراهيم خليلًا أنه عليه الصلاة والسلام جاد بنفسه لله ، كما جاد بابنه لربه بدون تردد ، وذلك غاية في الانقياد والمحبة لله ، فكان جديرًا أن يكافأ من أكرم الأكرمين بهذه المكافأة العظيمة " (٥) .

وقد أكرمه الله تعالى حين ترك بلده وقومه وهاجر باحثًا عن وطن وبلد

(١) سورة النساء آية : (١٢٥) .

(٢) الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها ج ١ / ص ٣٧٧ رقم ٥٣٢ (ك ٥ ب ٣ ح ٥٣٢) .

(٣) سورة النساء آية : (١٢٥) .

(٤) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ١ / ص ٦١٧ .

(٥) محمد الدرعي - منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله في ضوء القرآن ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ص ١١٧ .

يتمكن فيه من عبادة الله ودعوة الخلق إليه بالذرية الصالحة ، وجعل النبوة والرسالة في ذريته وعقبه ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ، وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) .

قال الفخر الرازي - رحمه الله - :

" اعلم أنه ما خسر على الله أحد (٣) ، فإن إبراهيم عليه السلام لما اعتزلهم في دينهم وفي بلدهم واختار الهجرة إلى ربه حيث أمره لم يضره ذلك ديناً ودنياً بل نفعه فعوضه أولاداً أنبياء ، ولا حالة في الدين والدنيا للبشر أرفع من أن يجعل الله له رسولاً إلى خلقه ، ويلزم الخلق بطاعته والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة في الآخرة ، فصار جعله تعالى إياهم أنبياء من أعظم النعم في الدنيا والآخرة " (٤) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ

(١) سورة مريم الآيتان : (٤٩-٥٠) .

(٢) سورة العنكبوت الآيتان : (٢٦-٢٧) .

(٣) أقول : إن هذا كلام مجمل يجب أن يقيد بأن يقال : أنه ما خسر على الله أحد ممن أخلص له دينه .

(٤) الفخر الرازي - التفسير الكبير ، مرجع سابق ج ٢١ / ص ٢٣١ .

فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١﴾ " فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته ، ولا كتاب إلا على ذريته حتى ختموا بابنه محمد ﷺ وعليهم أجمعين ، وهذا من أعظم المناقب والمفاخر أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والفلاح والفوز في ذريته ، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون ، وآمن المؤمنون ، وصلح الصالحون " (٢) .

ثانياً - أن الله تعالى فتح لدعوته أبواباً واسعة ، وآفاقاً بعيدة ، وظهرت ظهوراً عظيماً في حياته عليه السلام وبعد مماته ، وقد تمثل ذلك في أمور منها :

١ - أنه عليه الصلاة والسلام لم يتضاءل أمام عدوه لحظة واحدة حتى توفاه الله .

٢ - أن أعداءه اعترفوا بهزيمتهم أمام الحق الذي جاء به عليه السلام قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانَا يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ، فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ، ثُمَّ نَكَسُوا عَلَيَّ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (٣) .

٣ - ما شهدته المعمورة من انتشار دعوة التوحيد الخالص في أنحاء العالم قبل وبعد بعثة محمد ﷺ ، وظهرت هذه الدعوة بثوبها القشيب في أرض الحرمين الشريفين ، ولا زالت وستظل - إن شاء الله - باقية في صفائها ونقاؤها وعزتها ، مما يدعو كل مسلم إلى أن يعرض عليها بالنواجذ حتى يحقق بهذه الدعوة خيري الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٤) .

٤ - لقد ظهرت دعوته - عليه السلام - في جلاء ووضوح في دعوة نبينا

(١) سورة العنكبوت آية : (٢٧) .

(٢) عبد الرحمن السعدي - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مرجع سابق ج ٦ / ص ٨١ .

(٣) سورة الأنبياء الآيات : (٦٢ - ٦٥) .

(٤) سورة الحج آية : (٧٨) .

محمد ﷺ حين بعث والذي قامت دعوته ﷺ على أصول دعوة إبراهيم عليه السلام ، وسار في أسلوبه في الدعوة على ما كان عليه إبراهيم عليه السلام .

ثالثاً - انتصاره عليه الصلاة والسلام على خصومه وهزيمة أعدائه :

ذلك أنه عليه السلام استطاع أن يخرج بدعوته من البلاد التي كانت تُحارب فيها ، وترمي إلى الإجهاز عليها ، فهاجر عليه السلام لنشر الدعوة ، وهذا بلا شك دليل على التوفيق العظيم من الله ، على أن الخليل بعيد النظر ، قوي الثقة بربه ، مؤمن بأن وعد الله بنصر دعوته حق لن يتخلف ، وعلى إثر ذلك سار عليه السلام في الآفاق يبحث عن الأرض التي تنمو فيها دعوته ، ويأمن من أعدائها ، وتجد الجو الذي تستطيع أن تتحرك فيه كما ينبغي لها حتى تظهر بمظهر القوة والعزة (١) .

رابعاً - أن الله سبحانه منحه القوة على تحمل أعباء الدعوة وتكاليفها الشاقة ، حيث واجه عليه الصلاة والسلام المصاعب التي تعرض لها أثناء قيامه بواجب الدعوة والتي منها :

١ - وقوفه عليه السلام في مواجهة قومه بعزيمة لا تلين .

٢ - صبره على شدة الإيذاء ووثوقه بالله تعالى .

٣ - تحمله للمصيبة الكبرى ، والامتحان العصيب ، والابتلاء بذبح ولده إسماعيل عليه السلام (٢) .

خامساً - بقاء الذكر الحسن في العالمين :

حيث أصبح عليه الصلاة والسلام علماً يقتدى به في كل خصال الخير قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في هجرته عليه السلام ص : ٩٤ - ٩٧ .

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك في هجرته عليه السلام ص : ٩٠ وما بعدها .

وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ، ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ وقال جل جلاله : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ وقال سبحانه : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿٣﴾ .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا خير البرية ؟ فقال رسول الله ﷺ : ذاك إبراهيم عليه السلام « (٤) .

سادساً - القدوة :

حيث أصبح عليه السلام قدوة لمن بعده من النبيين والمرسلين في دعوته وهجرته ، حتى ختموا بنبينا محمد ﷺ ، وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بأن يقتدي بإبراهيم مما يدل على تكامل صفات الداعية في شخص إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴿٥﴾ وقوله : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴿٦﴾ .

سابعاً - أن الله تعالى خصه بتكليفه ببناء البيت العتيق ورفع قواعده ، قال تعالى ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٧﴾ :

(١) سورة النحل الآيات : (١٢٠-١٢٣) .

(٢) سورة البقرة آية : (١٢٤) .

(٣) سورة النساء آية : (١٢٥) .

(٤) الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب الفضائل من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ ج ٤ / ص ١٨٣٩ رقم

٢٣٦٩ (ك ٤٣ ب ٤١ ح ٢٣٦٩) .

(٥) سورة الممتحنة آية : (٤) .

(٦) سورة النحل آية : (١٢٣) .

(٧) سورة الحج آية : (٢٦) .

ولقد كان لبناء البيت آثاره العظيمة في الدعوة إذ أصبح المسلمون على امتداد التاريخ يتوجهون إليه في صلواتهم وحجهم؛ ليعبدوا الله وحده لا شريك له ، وهذا التوجه يعني توجه القلوب إلى الله للإذعان لأوامره ومناهيه . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

كما وكل سبحانه وتعالى إلى خليله عليه السلام الأذان بالحج بعد بنائه حيث أمره بقوله : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢) .

كما تبدو آثار هجرة إبراهيم عليه السلام إلى مكة في من الله تعالى على البشرية ببئر زمزم ، وعلى المسلمين بنسك الصفا والمروة ، وعمارة مكة ، ونقل النبوة من أرض النبوات في الشام إلى قلب الجزيرة بمكة .

وهكذا يتضح أن آثار هجرات إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - زاد لكل داعية يقوم بالدعوة إلى الله يتعلم من خلالها أن من نصر الخليلين - عليهما السلام - قد تكفل بنصر من اقتفى أثرهما ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٣) .

(١) سورة الأنعام الآيتان (١٦٢ - ١٦٣) .

(٢) سورة الحج آية : (٢٧) .

(٣) سورة الحج آية : (٤٠) .

المبحث الثاني

هجرة موسى عليه الصلاة والسلام وآثارها

يشتمل المبحث على النقاط التالية :

أولاً : نشأة موسى عليه الصلاة والسلام .

ثانياً : دعوة موسى عليه الصلاة والسلام وهجرته .

ثالثاً : آثار هجرة موسى عليه الصلاة والسلام .

وتمام الحديث عن هذه النقاط حسب ترتيبها ما يلي :

المطلب الأول : نشأة موسى عليه الصلاة والسلام :

فهو موسى بن عمران ، ويتهي نسبه إلى الخليل عليه السلام^(١) مصداقاً لقول الله جل جلاله : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾^(٢) .

وقد ولد عليه الصلاة والسلام في عهد فرعون الذي ادعى الربوبية ، وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - : « أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في وقت يأمر فيه عدو الله فرعون بقتل كل مولود ذكر من بني إسرائيل »^(٣) ، فلما ولدته أمه خافت

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٣٧ .

وانظر : ابن جرير الطبري - تاريخ الأمم والملوك ج ١ ط (ب . ت) [بيروت : دار سويدان (د . ن)] ص ٣٨٥ .

(٢) سورة العنكبوت آية : (٢٧) .

(٣) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٤١٩ .

وانظر : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

عليه واتخذت تابوتاً تضع فيه مولودها، ثم تلقيه في البحر بإلهام من الله، وشاء الله تعالى أن ينطلق هذا التابوت ويدخل قصر فرعون، فالتقطه الجوارى إلى امرأة فرعون، فلما فتحته رأت الغلام، فألقى الله تعالى محبته في قلبها مما جعلها تطلب من فرعون أن يتركه لها، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ، وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١) .

قال ابن كثير - رحمه الله - في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ ﴾ (٢) : " قال : أمالك فنعم ، وأمالي فلا ، فكان كذلك ، وهداها الله بسببه وأهلكه الله على يديه " (٣) .

وشاء الله تعالى أن يتربى موسى عليه السلام في بيت فرعون، وكنفه، وأن يقوم على تربيته وخدمته، وظل الأمر على ذلك حتى بلغ عليه السلام مبلغ الرجال، وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ، إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ، أَنْ اقْذِيفِي فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِيفِي فِي الْيَمِّ فليُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ، إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (٤) .

(١) سورة القصص الآيات : (٧-٩) .

(٢) سورة القصص آية : (٩) .

(٣) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٤٢٠ .

(٤) سورة طه الآيات : (٣٧-٤٠) .

المطلب الثاني

دعوة موسى عليه الصلاة والسلام وهجرته

تمت له عليه الصلاة والسلام في حياته هجرتان :

١ - الهجرة الأولى قبل النبوة (١) .

٢ - الهجرة الثانية بعد النبوة .

أولاً : هجرته قبل النبوة فراراً بالنفس خوف القتل ، بعد قتله عليه السلام أحد الأقباط خطأ ، ذلك أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات يوم إلى المدينة ، ومر برجلين يقتتلان : أحدهما من قومه بني إسرائيل ، والآخر من قوم فرعون الأقباط ، فشرع عليه السلام بانتمائهم لقومه ، ودافع عن المظلوم من قومه ، فوكزه موسى ففضى عليه ، وفي اليوم التالي خرج عليه السلام فإذا هو بظالم آخر ، فلما همَّ أن يبطش به ظن الإسرائيلي أنه يريد به ، وعلم الناس بذلك ، وعلم فرعون ، ولما تيقن عليه السلام أنه ملاحق ، وأن مصيره القتل بعد نصيحة وجهت له ، قرر عليه السلام الهجرة ، فراراً بنفسه من المؤامرة ، والقتل .

قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ، فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ، فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ

(١) وقد ذكرت هذه الهجرة للفائدة .

تَقْتُلْنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ، وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

و حين خرج عليه الصلاة والسلام لم يكن يعلم إلى أين يتجه ، ولم يكن على علم بالطريق فكان يكثر الدعاء : ﴿ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢) ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) فهده الله تعالى فتوجه إلى مدين ، قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - : " قال سعيد بن جبير - رحمه الله - : خرج موسى من مصر إلى مدين وبينها وبينها مسيرة ثمان ليال ، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ، وخرج حافياً ، فما وصل إليها حتى وقع خف قدمه " (٤) .

وقال أيضاً - رحمه الله - : " عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خرج موسى متوجهاً نحو مدين ، وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه ، فإنه قال : ﴿ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٥) (٦) .

و حين ورد - عليه السلام - ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان ، فسقى لهما ، ثم توجه إلى الظل ليستريح ، وبعد فترة

(١) سورة القصص الآيات : (١٥ - ٢١) .

(٢) سورة القصص الآيات : (٢٢) .

(٣) سورة القصص الآيات : (٢١) .

(٤) ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٢٠ / ص ٥٣ .

(٥) سورة القصص آية : (٢٢) .

(٦) ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٢٠ / ص ٥٣ .

من الزمن دعته إحدى المرأتين إلى والدها ليكافئه ، فلما جاءه ، وقص عليه الخبر ، طمأنه وقال له : لا تخف فقد نجوت من القوم الظالمين ، واستأجره ثماني حجج على أن يزوجه إحدى ابنتيه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ، فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

- عودته عليه السلام إلى مصر واصطفاء الله له رسولاً :

لما قضى موسى عليه الصلاة والسلام الأجل ، وأمضى عشر سنوات في مدين ، عاد إلى مصر ومعه أهله ، وفي ليلة مباركة وفي طريق عودته ، وعند جبل الطور ، أكرمه الله ، فأوحى إليه بالرسالة وكلمه ، وأمره الله تعالى أن يذهب إلى فرعون ليبلغه الدعوة ، ويأمر قومه بعبادة الله وحده ، مؤيداً سبحانه رسوله - ﷺ - بالمعجزات قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿٢﴾ وقال سبحانه : ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٣﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا

(١) سورة القصص الآيات : (٢٣- ٢٥) .

(٢) سورة طه الآيات (١١- ١٤) .

(٣) سورة الأعراف آية : (١٤٤) .

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ومن هنا كانت البداية لدعوة موسى عليه السلام ، وصار نبياً داعياً إلى الله .

وبعد أن أكرمه الله بالرسالة ، وأعدّه لتحمل تكاليف الدعوة ، وامتن عليه بتأييده بأخيه هارون وزيراً ، وأيده بالمعجزات ، توجهها إلى فرعون بعد أن بين لهما سبحانه طبيعته ، وصفاته ، وأسلوب دعوته كما قال تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (٢) ، وقد امتثل موسى وهارون - عليهما السلام - منهج الدعوة كما قال تعالى في سورة النازعات : ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ . فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرَكَئِي ، وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ، فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ (٣) .

وحين عرضا - عليهما السلام - الدعوة على فرعون في أول لقاء بينهما ، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) وطلباً منه أن يرفع الأذى عن بني إسرائيل ليعبدوا الله وحده ، وقف من الدعوة موقف العناد والتكذيب ، ممعناً في الجحود ، مستعلياً ، مجادلاً في ربوبية الله تعالى ، مكذباً لرسوليه عليهما السلام .

وقد جرى بينهما لقاءات ، ومحاورات ، ومناظرات عديدة منها قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ، حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ، قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ

(١) سورة القصص الآيات : (٢٩ - ٣٠) .

(٢) سورة طه الآيات : (٤٣ - ٤٤) .

(٣) سورة النازعات الآيات : (١٧ - ٢٠) .

(٤) سورة الزخرف آية (٤٦) .

أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ، قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ، يَا تُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١﴾ كان موقف فرعون فيها موقف الجبروت والطغيان ، والقهر والتعذيب ، إمعاناً في الضلال والإضلال ، وكان موقف نبيي الله : موسى وهارون عليهما السلام والمؤمنين الصبر والمصابرة والتمسك بالحق .

وبعد أن أقام عليه الصلاة والسلام الحجج والبراهين والأدلة الواضحة على صدق دعوته ورسالته ، وعجز عدو الله عن إعاقة الدعوة لجأ إلى أسلوب التهديد بالسجن والقتل كما قال تعالى : ﴿ قَالَ لئن اتَّخَذتِ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ ﴿٢﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ ﴿٣﴾ وقوله جل جلاله : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْهَتَكَ قَالَ سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ ﴿٤﴾ ، عند ذلك أخذ عليه الصلاة والسلام يهيماء بني إسرائيل للهجرة من مصر إلى فلسطين ، وهو ما سنوضحه - إن شاء الله - في النقطة التالية

(١) سورة الأعراف آيات (١٠٤ - ١١٢) .

(٢) سورة الشعراء آية : (٢٩) .

(٣) سورة غافر آية : (٢٦) .

(٤) سورة الأعراف آية : (١٢٧) .

ثانياً : هجرة موسى عليه الصلاة والسلام بقومه فراراً بالدين

بعد أن قام عليه الصلاة والسلام بواجب البلاغ كما أمره الله ، وأقام على فرعون وقومه الحجج والبراهين الدامغة ، وأعرضوا عن دعوة الحق ، وأصروا على الباطل ، ووصل التهديد لموسى عليه الصلاة والسلام وقومه ذروته ، أوحى الله إلى نبيه عليه السلام بالهجرة من مصر والخروج بقومه ليلاً .

قال القرطبي - رحمه الله - : " لما كان من سنته تعالى في عباده إنجاء المؤمنين الصادقين من أوليائه ، المعترفين برسالة رسله وأنبيائه ، وإهلاك الكافرين المكذبين لهم من أعدائه ، أمر موسى - عليه السلام - أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً وسماهم عباده ، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل سحراً ، فترك الطريق إلى الشام على يساره ، وتوجه نحو البحر ، فكان الرجل من بني إسرائيل يقول له في ترك الطريق فيقول : هكذا أمرت " (١) .

وكانت الحكمة من ذلك كما يقول الإمام الفخر الرازي - رحمه الله - : " أحدها أن يكون لاجتماعهم لا بمشهد من العدو ، فلا يمنعهم عن استكمال مرادهم في ذلك ، وثانيها : ليكون عائقاً عن طلب فرعون فلا يهابونهم ومتبعيه ، وثالثها : ليكون إذا تقارب العسكران لا يرى عسكر موسى عسكر فرعون فلا يهابونهم " (٢) .

وعندما نما إلى فرعون هجرة موسى عليه السلام ببني إسرائيل ، أرسل جنوده وأعدائه إلى الأقاليم يجمعون الناس للخروج لاقتفاء أثر موسى وقومه بغياً وعدواناً ، وإدراكهم قبل أن يدخلوا الأرض المقدسة (فلسطين) .

(١) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ج ١٣ / ص ١٠٠ .

(٢) الفخر الرازي - التفسير الكبير ، مرجع سابق ج ٢٢ / ص ٩٢ .

قال القرطبي - رحمه الله - : " وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان ، في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان » (١) .

وحين وصل موسى عليه السلام وقومه البحر عند شروق الشمس ، وأدركهم فرعون بجنده ، شعر بنو إسرائيل بالخطر ، وأيقنوا بالهلاك ، واشتد البلاء بهم ، أوحى الله لنبيه عليه الصلاة والسلام أن يضرب بعصاه البحر ، فانفلق بإذن الله اثني عشر طريقاً يبساً على عدد أسباط بني إسرائيل . قال ابن كثير - رحمه الله - :
" قال ابن عباس : صار البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق " (٢) .

فسار موسى عليه السلام وقومه مسرعين مستبشرين حتى جاوزوا البحر ، فدخل فرعون وقومه في إثرهم ، ولم يكذب يجتمع جند فرعون في البحر حتى انطبق عليهم ، وغرقوا جميعاً ، فلم ينج منهم أحد ، وكانت الحكمة من إهلاك فرعون وقومه بالماء غرقاً كما يقول الألوسي - رحمه الله - :

" لما كان الغرق من أعسر الموتات وأعظمها شدة جعله الله نكالاً لمن ادعى الربوبية وقال أنا ربكم الأعلى ، وعلى قدر الذنب يكون العقاب ، ويناسب دعوى الربوبية والاعتلاء انحطاط المدعي وتغييبه في قعر الماء ، ولما افتخر فرعون بالماء كما يشير إليه قوله تعالى حكاية عنه : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٣) جعل الله هلاكه بالماء ، وللتابع حظ وافر من المتبوع " (٤) ، وأنجى الله سبحانه موسى ومن معه من بني إسرائيل .

ولقد سجل القرآن الكريم هجرة موسى بقومه وصور أحداثها فقال

(١) ابن جرير الطبري - تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ج ١ / ص ٤١٤ .

وانظر : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٧٠ .

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٣٧١ .

وانظر : ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٧٥ .

(٣) سورة الزخرف آية : (٥١) .

(٤) الألوسي - تفسير روح المعاني ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٥٦ .

تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى ، فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ، وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ، فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ، وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ، فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ، فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اصْرَبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ، وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ، وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

وقال جل جلاله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ، أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ، فَأَسْرَبِ بَعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ، وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ، كَمْ تَرَكَوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ، فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ، وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ، مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ، وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴾ (٣) .

وكانت نجاة موسى عليه الصلاة والسلام وقومه ، وهلاك فرعون وجنده في

(١) سورة طه الآيات : (٧٧-٧٩) .

(٢) سورة الشعراء الآيات : (٥٢-٦٨) .

(٣) سورة الدخان الآيات : (١٧-٣٣) .

يوم عاشوراء، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : « أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً - يعني يوم عاشوراء - فقالوا هذا يومٌ عظيم ، وهو يومٌ نجى الله موسى ، وأغرق آل فرعون ، فصام موسى شكراً لله ، فقال : أنا أولى بموسى منهم ، فصامه وأمر بصيامه » (١) .

- وفاته عليه الصلاة والسلام :

توفي عليه الصلاة والسلام في أرض التيه ، قال ابن كثير - رحمه الله - :

" لما كان مع قومه بالتية ، وحانت وفاته عليه السلام ، أحب أن يتقرب إلى الأرض التي هاجر إليها ، وحث قومه عليها ، ولكن حال بينهم وبينها القدر رمية بحجر " (٢) .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه عز وجل ، فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت . قال : ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة ، قال : أي رب ثم ماذا؟ قال : ثم الموت قال : فالآن . قال : فسأل الله عز وجل أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، قال أبو هريرة : فقال رسول الله ﷺ : فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر " (٣) .

(١) البخاري - صحيح ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وهل أتاك حديث موسى - وكلم

الله موسى تكليماً ﴾ ج ٤ / ص ١٥١ - ١٥٢ رقم ٣٣٩٧ (ك ٦٠ ب ٢٤ ح ٣٣٩٧) .

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٣) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب وفاة موسى - ﷺ - ج ٤ / ص ١٥٧ رقم

٣٤٠٧ (ك ٦٠ ب ٣١ ح ٣٤٠٧) .

المطلب الثالث : آثار هجرة موسى عليه الصلاة والسلام

تلخصت آثار هجرته عليه السلام بقومه فراراً بالدين إلى :

١ - أثر الهجرة في دعوة موسى عليه السلام .

٢ - أثر هجرة موسى على المدعوين .

٣ - أثر هجرة موسى على أعداء الدعوة .

وتمام الحديث عن هذه الآثار فيما يلي :

أولاً : أثر الهجرة في دعوة موسى عليه السلام :

إن من أبرز آثار هجرة موسى عليه السلام في الدعوة ما يلي :

١ - ظهور دعوة نبي الله موسى عليه السلام وانتشارها وزوال أكبر المعوقات بعد هلاك الطاغية فرعون ، فكانت هجرته نصراً للدعوة ، وفتحاً كبيراً لها ، يتضح ذلك :

أ - في ظهور حقيقة دعوة نبي الله موسى عليه السلام ، وأنها ربانية تحقق المصالح لمن اتبعها في العاجلة والآجلة .

ب - وضوح بطلان الكفر وسقوط دعاواه قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (١) فقد أنطق الله فرعون بالحق عندما أدركه الغرق قائلاً ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) كما أن إخراج جثة فرعون على ضفاف البحر نصر للدعوة حيث يشاهد المغرور بهم أنه لو كان فرعون إلهاً لأنقذ نفسه من الغرق والموت قال تعالى ﴿ قَالِيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (٣) .

(١) سورة الرعد آية (١٧) .

(٢) سورة يونس آية (٩٠) .

(٣) سورة يونس آية (٩٢) .

ج- أن الرسالات الإلهية جاءت يشهد بعضها لبعض بالصحة ، مما يوجب اتباع المرسلين ومخالفة المكذبين .

٢- نزول التوراة على موسى عليه السلام بعد الهجرة .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

قال الإمام الطبري - رحمه الله - : «والأولى بتأويل الآية ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وأبي العالية ومجاهد من أن الفرقان الذي ذكر الله أنه آتاه موسى في هذا الموضع هذا الكتاب الذي فرق به بين الحق والباطل وهو نعت للتوراة وصفة لها » (٢) .

وقال جل جلاله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣) وقال جل ذكره : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْبُوتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُدَّاءَ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٤) .

٣- توجيه الدعوة إلى بني إسرائيل خاصة بعد نجاتهم وهلاك عدوهم :

فقد قام عليه السلام بالدعوة خير قيام ، ولقي في سبيل الدعوة الأهوال والصعاب ، مما يوجب على الداعية الصبر على المدعوين ، وعدم اليأس من إيمانهم مهما عاندوا وكابروا .

قال الله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، قَالَ أَغْيِرْ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى

(١) سورة البقرة آية (٥٣) .

(٢) ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٨٥ .

(٣) سورة المائدة آية (٤٤) .

(٤) سورة الأعراف آية (١٤٥) .

العالمين ﴿ (١) .

وقال جل جلاله : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ، قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثْرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ، قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ، فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلِمْتُمْ بِرَبِّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا أَقْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ، قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٍ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ، أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ، قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ، قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ، أَلَا تَتَّبِعُنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ، قَالَ يَا بَنُوؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ، قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ، قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ، إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿ (٢) .

٤ - بدء مرحلة الجهاد :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ، قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا

(١) سورة الأعراف الآيات (١٣٨ - ١٤٠) .

(٢) سورة طه الآيات (٨٣ - ٩٨) .

وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ، قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾

٥ - أبرزت الهجرة شخصية المؤمن في قوة إيمانه ، ومضاء عزيمته ، وتوكله
على الله ، وظهرت مصداقية الكلمة ومعتقد القلب ، حينما ضحى موسى - عليه
السلام - وقومه بأوطانهم وما يملكون في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ، وإظهار
دينه ، قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَائِلًا أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ، قَالَ كَلَّا
إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٢﴾ .

٦ - ظهور المعجزات : قال الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْبَحْرَ فَاِنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٣﴾ ، والبحر والعصا معجزتان من
المعجزات التي امتن الله بها على نبيه موسى عليه السلام ، والتي أثبتت صحة
الرسالة له ، ولمن جاء قبله وبعده بالمعجزات المعنوية والحسية ، مما يوجب على
الأمة الإيمان والتصديق بها ، والاستفادة منها باعتقاد كمال قدرة الله عز وجل ،
وأن أمره سبحانه ماض متى شاء كما يشاء قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ
يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤﴾ .

٧ - أصبحت هجرة موسى عليه الصلاة والسلام معلماً بارزاً ، وأغموذجاً حياً
يحتذى في الدعوة ، فقد هاجر من بعده رسولنا محمد ﷺ وصحابته قال الله
تعالى : ﴿ سَنَةٌ مِّن قَدِّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِّن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٥﴾ .

(١) سورة المائدة الآيات (٢٠-٢٦) .

(٢) سورة الشعراء الآيات (٦١-٦٢) .

(٣) سورة الشعراء آية (٦٣) .

(٤) سورة يس : (٨٢) .

(٥) سورة الإسراء آية (٧٧) .

ثانياً: أثر هجرة موسى عليه الصلاة والسلام على المدعوين :

فقد ظهرت آثار هذه الهجرة على بني إسرائيل في نجاتهم ، وإهلاك عدوهم ، واستخلافهم في الأرض وتمكينهم .

فقد منَّ الله على بني إسرائيل بالنجاة من فرعون وجنوده (١) ، وأورثهم أرضهم وديارهم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٢) وقال جل جلاله : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٣) .

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في معنى الآية الأولى ملخصاً :

" أن الله سبحانه ينصر رسله والمؤمنين به في الحياة الدنيا ، وإن اختلفت صورة النصر ، فمنهم من يمكنهم الله سبحانه حتى يظهروا على عدوهم ويغلبوه ويتصروا عليه ، ومنهم من يعجل الله العذاب لأقوامهم المكذبين لهم ، ومنهم من يسلب عليهم بعد قتلهم أنبيائهم من ينتقم للأنبياء ويتنصر لهم " (٤) .

وقد استخلف الله بعد الهجرة بني إسرائيل في الأرض ، ومكَّن لهم ، وأبدلهم من الفتنة والذل أمناً وعزاً ، ومن الفقر غنى كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (٥)

قال الإمام الطبري - رحمه الله - : « يقول تعالى ذكره : وأورثنا القوم الذين

(١) الفخر الرازي - التفسير الكبير ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٧١-٧٦ .

(٢) سورة غافر آية : (٥١) .

(٣) سورة الصافات الآيات : (١٧١-١٧٣) .

(٤) ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٢٤ / ص ٧٤-٧٥ .

(٥) سورة الأعراف آية : (١٣٧) .

كان فرعون وقومه يستضعفونهم ، فيذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ،
ويستخدمونهم تسخييراً واستعباداً من بني إسرائيل ، مشارق الأرض الشام ،
وذلك ما يلي الشرق منها ، ومغاربها التي باركنا فيها ، التي جعلنا فيها الخير ثابتاً
لأهلها ، بمهلك من كان فيها من العمالقة « (١) تحقيقاً لوعده سبحانه ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ
نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٢) .

(١) ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٩ / ص ٤٣ .

(٢) سورة القصص آية : (٥) .

ثالثاً: أثر هجرة موسى عليه الصلاة والسلام على أعداء الدعوة :

كان لهجرة موسى عليه الصلاة والسلام بقومه - فراراً بالدين - إلى الأرض المقدسة آثار عظيمة على أعداء الدعوة أبرزها :

١ - في الدنيا : هلاك فرعون وجنوده في البحر غرقاً :

إن من أعظم الآيات التي يستفيد منها الدعوة إلى الله أن الله جلت قدرته جرت سنته بإنزال العذاب والهلاك بأعداء دعوته ورسالته ، وإن ملك أولئك الأعداء أسباب الغلبة والتمكين في الأرض ، ولقد كان هلاك فرعون وجنوده آية من تلك الآيات ، فقد دمر الله عليهم ، وأخذهم أخذاً أليماً شديداً ، ونبذهم في اليم ، وأغرقهم أجمعين ، قال الله تعالى : ﴿ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١) وقال جل جلاله : ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) وقال سبحانه : ﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ، وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً ﴾ (٤) وقال جل ذكره : ﴿ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ (٥) قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - : " وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيًا وغضبًا منا عليهم فختمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيئ " (٦) .

٢ - أما في الآخرة : فقد جاء في القرآن في عدة مواضع ما أعد الله لفرعون

(١) سورة الأعراف آية : (١٣٦) .

(٢) سورة الشعراء الآيتان : (٦٥ - ٦٧) .

(٣) سورة طه الآيتان : (٧٨ - ٧٩) .

(٤) سورة الإسراء آية : (١٠٣) .

(٥) سورة القصص آية : (٤٢) .

(٦) ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٢٠ / ص ٧٩ .

وجنده من العذاب : قال الله تعالى : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (١) .

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - : في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (٢) " ويوم القيامة لا ينصرهم من الله إذا عذبهم ناصر ، وقد كانوا في الدنيا يتناصرون فاضمحل تلك النصره يومئذ " (٣) .

وقال أيضاً في تفسير قوله الله جل جلاله : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ (٤) " يقول تعالى ذكره : هم من القوم الذين قبحهم الله فأهلكهم بكفرهم بربهم ، وتكذيبهم لرسوله موسى عليه السلام ، فجعلهم عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين " (٥) .

(١) سورة غافر الآيتان : (٤٥ - ٤٦) .

(٢) سورة القصص آية : (٤١) .

(٣) ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٢٠ / ص ٧٩ .

(٤) سورة القصص آية (٤٢) .

(٥) ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٢٠ / ص ٧٩ .

الفصل الثاني

الهجرة في دعوة النبي محمد ص وأثارها
المبحث الأول : مقدمات هجرة النبي محمد
ﷺ إلى المدينة .

المبحث الثاني : خطوات هجرة النبي محمد
ﷺ إلى المدينة .

المبحث الثالث : آثار هجرة النبي محمد ﷺ
إلى المدينة .

المطلب الأول : أثر هجرة النبي محمد ﷺ على
الدعوة الإسلامية

المطلب الثاني : أثر هجرة النبي محمد ﷺ
على المدعوين

المطلب الثالث : أثر هجرة النبي محمد ﷺ
على أعداء الدعوة.

المبحث الأول

مقدمات هجرة النبي محمد ﷺ إلى المدينة

سبقت الهجرة النبوية إلى المدينة عدة خطوات عملية كانت مقدمة لنشر الدعوة، والفرار بالدين، والتمكين لدين الله في الأرض، وقد جاءت على النحو التالي:

أولاً: هجرتنا الحبشة الأولى والثانية (١):

ثانياً: خروج النبي ﷺ إلى الطائف:

بعد وفاة أبي طالب اشتد اضطهاد قريش للنبي ﷺ، وزالت الحصانة التي كان يتمتع بها النبي ﷺ، فحرص على أن يلتمس مكاناً آخر تستجاب فيه دعوته، فخرج إلى الطائف يطلب من أهله النصر، والإيمان بدعوته، فدعاهم إلى الله وحده، فلم يستجيبوا له، وأذوه حتى عاد إلى مكة.

قال ابن هشام - رحمه الله -: " قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصر من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل « (٢) .

(١) سيأتي الحديث عن هاتين الهجرتين - إن شاء الله - في الفصل الثالث من هذا البحث ص ١٦٤ وما بعدها.

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٦٧ .

وللاستزادة انظر: - محمد الصالحى - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ج ٢ ط (ب . ت) [القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامى ١٤٠٧ هـ] ص ٥٧٢ - ٥٧٩ .

- ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج ٣ / ص ١٣٥ .

- الطبري - تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج ٢ / ص ٣٤٤ .

وقال أيضاً - رحمه الله - : « ثم قدم رسول الله ﷺ مكة - بعد إعراض أهل الطائف - وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به » (١) .

واستمر ﷺ بعد عودته من الطائف يدعو الناس إلى عبادة الله وحده بصبر وجلد رغم ما كان يلقاه في سبيل تبليغها ونشرها .

ثالثاً : عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل :

بعد عودة النبي ﷺ من الطائف إلى مكة استمر في عرض دعوته ونفسه على القبائل في المواسم كما كان يصنع وأخذ يتصل بهم ، عارضاً عليهم دعوته ومبادئ دينه حرصاً منه عليه الصلاة والسلام على إبلاغ الرسالة ، وبحثاً عن مناخ مناسب لها تستقر فيه .

قال ابن حجر - رحمه الله - : " قال موسى بن عقبة عن الزهري : فكان ﷺ في تلك السنين - أي التي قبل الهجرة - يعرض نفسه على القبائل ، ويكلم كل شريف قوم ، لا يسألهم إلا أن يؤووه ويمنعوه ، ويقول : لا أكره أحداً منكم على شيء بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلغ رسالة ربي ، فلا يقبله أحد بل يقولون : قوم الرجل أعلم به " (٢) .

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال : ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي » (٣) .

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ، ج ٢ / ٧١ .

وانظر : الطبري - تاريخ الأمم والملوك - مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٤٧ .

(٢) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٧ / ص ٢٢٠ .

(٣) أبو داود - سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في القرآن .

وانظر : الألباني - صحيح سنن أبي داود ، ج ٣ / ص ٨٩٧ رقم ٣٩٦٠ (ك السنة ب ٢٢ ح - ٣٩٦) .

- : ابن ماجه - سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية .

- : الألباني - صحيح سنن ابن ماجه ج ١ / ص ٤٠ رقم ٦٦٦ (ك المقدمة ب ١٣ ح ٦٦٦) .

- : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٤٠ .

كما روى الإمام أحمد - رحمه الله - : « قال : فاتاه رجل من همدان فقال : ممن أنت ، فقال الرجل : من همدان ، قال : فهل عند قومك من منعة ، قال : نعم ، قال : ثم إن الرجل خشي أن يحقره قومه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : آتيهم فأخبرهم ، ثم آتيك من عام قابل ، قال : نعم فانطلق ، وجاء وفد الأنصار في رجب » (١) .

وفي السنة الحادية عشرة من البعثة هياً الله له نفرأ من الخزرج ، فدعاهم إلى الإسلام كعادته ، فأمنوا به ، وصدقوه ، ووعدوه بإبلاغ الأمر إلى قومهم ، ودعوتهم إلى هذا الدين ، ورجعوا إلى يثرب ، وبدأت دعوة الإسلام تنتشر على أيديهم ، فكان هذا اللقاء نقطة البداية والانطلاق لنشر الدعوة ، وتحولاً بها من بيئة أجدبت إلى بيئة أخصبت وأثمرت .

قال ابن هشام - رحمه الله - : " فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه ، وإعزاز نبيه ﷺ وإنجاز مواعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة ، لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً " (٢) .

وقال أيضاً - رحمه الله - : " فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من

(١) الإمام أحمد - المسند ج ٣ / ص ٣٢٢ رقم ١٤٤٩٦ .

وانظر : الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء والمرسلین ج ٢ / ص ٦٦٩ رقم ٤٢٢٠ ، قال عنه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

- ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٤٦ .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٧٦-٧٧ .

انظر : الطبري - تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

قومه ، قالوا : لما لقيهم رسول الله - ﷺ - قال لهم : من أنتم؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : أمن موالي يهود؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، قال : وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام ، أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غلبوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه ، تتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا عن رسول الله - ﷺ - راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا " (١) .

وبعد إيمان أولئك النفر من الخزرج انفتحت للدعوة الإسلامية آفاق جديدة ، وتحولت في سيرها تحولاً مهماً ، وكان نتيجة ذلك بيعتا العقبة الأولى والثانية .
 رابعاً : بيعتا العقبة الأولى والثانية :

تمت بيعة العقبة الأولى في العام الثاني عشر من البعثة ، حين وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً بعضهم ممن لقي النبي ﷺ في الموسم السابق وآمن به ، والتقوا برسول الله ﷺ بالعقبة ، وبايعوه على الإيمان بالله

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٧٧ .
 وانظر : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٤٨ .

ورسوله والاستمساك بالدين .

عن أبي إدريس عائذ الله بن عبد الله : « أن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - من الذين شهدوا بدرًا مع رسول الله ﷺ ومن أصحابه ليلة العقبة - أخبره أن رسول الله ﷺ قال : وحوله عصابة من أصحابه : تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتون بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا ، فهو له كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله ، إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه . قال : فبايعناه على ذلك " (١) . وعندما أنجزت بيعة العقبة الأولى ، وأرادوا العودة إلى ديارهم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير - رضي الله عنه - يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويؤمهم في الصلاة .

قال ابن هشام - رحمه الله - : " قال ابن إسحاق رحمه الله : فلما انصرف عنه القوم ، بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي - رضي الله عنه - وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة : مصعب ، وكان منزله على أسعد

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة

العقبة ج ٤ / ص ٣٠٢ - ٣٠٣ رقم ٣٨٩٢ (ك ٦٣ ب ٤٣ ح ٣٨٩٢) .

وانظر : النسائي - سنن النسائي كتاب البيعة على الجهاد .

- : الألباني - صحيح سنن النسائي ، كتاب البيعة ، البيعة على الجهاد ج ٣ / ص ٨٧٢ رقم ٣٨٧٩ (ك

٣٩ ب ٩ ح ٣٨٧٩) .

- : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٥٠ .

- : محمد الصالح - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٢٧٠ .

- : الطبري - تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٥٦ .

ابن زراره بن عدس ، أبي أمامة " (١) .

ولما انتشر الإسلام في المدينة ، واطمأن المهاجرون إلى الأنصار ، وبقي رسول الله ﷺ بمكة يلاقي عنت المشركين وأذاهم ، قدم وفد الأنصار في موسم في العام التالي يتزعمهم البراء بن معرور في ثلاث وسبعين رجلاً وامرأتين ، فبايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الثانية بمبنى على الإيواء والحماية والنصرة والمنعة .

فعن جابر - رضي الله عنه - قال : « مكث رسول الله ﷺ عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة في المواسم بمبنى يقول : من يؤويني ؟ ، من ينصرنني ؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر فيأتيه قومه فيقولون احذر من غلام قريش لا يفتنك ، ويمشي بين رجالهم ، وهم يشيرون إليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله إليه من يثرب فأويناه ، وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ، ويقرئه القرآن ، فينقلب إلى أهله فيعلمون بإسلامه حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ، ثم ائتمروا جميعاً فقلنا : حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف ؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً ، حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا ، وقلنا : يارسول الله : نبايعك ، قال : تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم ما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة ، قال : قمنا إليه فبايعناه ،

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٨٢ .

وانظر : - : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٥١ .

- : الطبري - تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٥٧ .

- : محمد الصالح - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٢٧١ .

وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم، فقال: رويداً يا أهل يثرب، فإننا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، وأن إخراجهم اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك، وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جنباً، فبينوا ذلك، فهو عذر لكم عند الله، قالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً، ولا نسلبها أبداً قال: فقمنا إليه فبايعناه فأخذ علينا وشرط يعطينا على ذلك اللجنة رضي الله عنهم أجمعين» (١) وبعد هذه البيعة رجع الأنصار للمدينة ينتظرون هجرة الرسول ﷺ.

خامساً: هجرة الصحابة - رضي الله عنهم - إلى المدينة (٢)

(١) الإمام أحمد - المسند، ج ٣ / ص ٣٢٢ رقم ١٤٤٩٦ .

وانظر: الحاكم - المستدرک علی الصحیحین، کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء والمرسلین ج ٢ / ص ٦٨٢ رقم ٤٢٥١ وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

وانظر: ابن هشام - السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٢ / ص ٨٦-٩٤ .

- : محمد الصالحی - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مرجع سابق ج ٣ / ص ٢٧٧-٢٧٨ .

- : ابن كثير - البداية والنهاية، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٥٩ .

(٢) سيأتي الحديث عن هجرة الصحابة إلى المدينة في الفصل الثالث إن شاء الله ص ١٧١ وما بعدها .

المبحث الثاني

خطوات هجرة النبي محمد ﷺ إلى المدينة

مرت هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بعدة خطوات هي على النحو التالي :

أولاً : السبب المباشر لهجرة النبي ﷺ هو تأمر المشركين على حياته ﷺ :

لما يئست قريش من القضاء على دعوة النبي ﷺ ، وعجزت عن الوقوف في طريق سيرها ، بعد أن استعملت جميع الوسائل لصدّها ، ورأت موكب المهاجرين المتتابع إلى المدينة ، أدركت أن محمداً ﷺ لاحق بأصحابه لا محالة ، فاجتمعوا في دار الندوة ، وتأمروا على حياة النبي ﷺ ، وصمموا على قتله ، والتخلص منه بأن يختاروا من كل قبيلة شاباً جلدأ ليضربوا الرسول ﷺ بالسيوف ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل .

قال ابن هشام - رحمه الله - : " قال ابن إسحاق : ولما رأّت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه " (١) .

وقال أيضاً - رحمه الله - : « فحدثني من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبير أبي الحجاج ، وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أجمعوا لذلك ، واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غدوا في اليوم الذي اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة ، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه بتلة ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ١٢٢ .

من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا
يعدمكم منه رأياً ونصحاً ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها
أشراف قريش من بني عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان
ابن حرب ، ومن بني نوفل بن عبد مناف : طعيمة بن عدي ، وجبير بن مطعم ،
والحارث بن عامر بن نوفل ، ومن بني عبد الدار بن قصي : النضر بن الحارث بن
كلدة ، ومن بني أسد بن عبد العزى : أبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود بن
المطلب ، وحكيم بن حزام ، ومن بني مخزوم : أبو جهل بن هشام ، ومن بني
سهم : نبيه ومنبه ابنا الحجاج ، ومن بني جمح : أمية بن خلف ، ومن كان معهم
وغيرهم ممن لا يعد من قريش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من
أمره ما قد رأيتم ، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ،
فأجمعوا فيه رأياً ، قال : فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد ،
وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ،
زهير والنابغة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم ، فقال
الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون
ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يشبوا
عليكم فينزعه من أيديكم ، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم
برأي ، فانظروا في غيره ، فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين
أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع ،
إذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت ، فقال الشيخ النجدي :
لا والله ، ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته
على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من
العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم
إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما
أراد ، ودبروا فيه رأياً غير هذا ، قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه

لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم قال : فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي الذي لا أرى غيره ، فتفرق القوم على ذلك ، وهم مجمعون له « (١) .

وقد أشار القرآن إلى ما قرره هؤلاء المجرمون قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَأْكُرِينَ ﴾ (٢) وكان لا بد من مواجهة هذا الكيد ، فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ يخبره بما كاده القوم ، ويأذن الله تعالى له في الهجرة إلى المدينة واللاحق بأصحابه لإعلاء كلمة الله ونشر الدعوة .

ثانياً : إيدان الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بالهجرة :

قال ابن هشام - رحمه الله - : " قال ابن إسحاق : " وأذن الله تعالى لنبيه ﷺ عند ذلك في الهجرة " (٣) .

وقد استجاب النبي ﷺ لأمر ربه بالهجرة ، فسارع إلى اتخاذ كل وسيلة

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ، ج ٢ / ص ١٢١-١٢٤ .

وانظر : - محمد الصالحى - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٣٢٤-٣٢٦ .

- ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٧٥-١٧٦ .

- الطبري - تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٧٠-٣٧٢ .

(٢) سورة الأنفال آية : (٣٠) .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ١٢٥ .

وانظر : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٧٧ .

ممكنة ، تلائم الظروف القائمة ، وتتفق مع الأحوال المحتملة ، فكتم الأمر عن أقرب المقربين إليه ، ولم يعلم بذلك إلا أبو بكر وأهله ، وعلي بن أبي طالب ، وذهب إلى الصديق - رضي الله عنه - في وقت على غير عادته ، وأعد الراحلة ، واتخذ الدليل ، وهياً الزاد ، في خطة محكمة استعداداً للهجرة .

قال البخاري - رحمه الله - :

" قال ابن شهاب قال عروة : قالت عائشة - رضي الله عنها - فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعاً - في ساعة لم يكن يأتينا فيها - فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر ، قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن ، فأذن له ، فدخل ، فقال النبي ﷺ لأبي بكر : أخرج من عندك ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ، قال : فإنني قد أذن لي في الخروج ، فقال أبو بكر : الصحابة بأبي أنت يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : نعم ، قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين ، قال رسول الله ﷺ : بالثمن ، قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز ، وضعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاق » (١) .

وفي الليلة التي استعدت فيها قريش لتنفيذ مكرها أتى جبريل - عليه السلام - إلى النبي ﷺ وأمره أن لا يبيت الليلة في فراشه ، فكلف النبي ﷺ بذلك ابن عمه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كي لا يقع الشك في وجوده أثناء الليل .

قال ابن هشام - رحمه الله - :

" فأتى جبريل - عليه السلام - رسول الله ﷺ فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه ، قال : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ج ٤ /

ص ٣٠٨ رقم ٣٩٠٥ (ك ٦٣ ب ٤٥ ح ٣٩٠٥) .

يرصدونه متى ينام ، فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم ، قال لعلي ابن أبي طالب : نم على فراشي ، وتسج بيردي هذا الحضرمي الأخضر ، فتم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم ، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام» (١) . وخرج رسول الله ﷺ في جوف الليل ، ولم يشعر به أحد ، والتقى بأبي بكر رضي الله عنه ، وسارا حتى اختفيا في غار ثور ، ومكثا به ثلاثة أيام . قال ابن هشام - رحمه الله - : " قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر بن أبي قحافة ، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار ثور - جبل بأسفل مكة - فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريهما عليهما ، يأتيهما إذا أمسى في الغار ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما " (٢) .

وبعد أن أحبط الله كيد الكافرين ، ونجا سيد المرسلين ﷺ جدت قريش في طلب النبي ﷺ في كل وجه ، وانطلق المشركون في آثار المهاجرين يريدون الطريق حتى انتهوا إلى غار ثور .

عن أنس - رضي الله عنه - قال حدثني أبو بكر - رضي الله عنه - قال : كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين قلت يا رسول الله : لو أن أحدهم رفع قدمه وأنا قال : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » (٣) وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِلَّا

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ١٢٤ .

وانظر : ابن كثير البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٧٦ .

- الطبري - تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٧٢ .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ١٢٧ .

وانظر : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٧٨ .

(٣) البخاري - صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿ تَأْنِيْ اٰثْنَيْنِ اِذْ هُمَا فِي الْغَارِ اِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ اِنَّ اللّٰهَ مَعَنَا ﴾ ج ٥ / ص ٢٤٤ . رقم ٤٦٦٣ (ك ٦٥ ب ٩ ح ٤٦٦٣) .

تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴿١﴾ .

ثالثاً : توجه النبي محمد ﷺ وصاحبه إلى المدينة :

ولما فشلت قريش في العثور على رسول الله ﷺ ، وصاحبه أبي بكر - رضي الله عنه - أرسلوا الطلب إلى كل جهة ، وجعلوا الجوائز لمن يأتي بهما أو يدل عليهما قال البخاري - رحمه الله - :

" قال ابن شهاب : وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي - وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم - أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن جعشم يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره " (٢) وحين مضت الأيام الثلاثة وسكن الطلب عنهما قليلاً ، ويثست قريش في العثور عليهما أتاهما الدليل عبد الله بن أريقط بالراحتين ، فخرجا من الغار ، ونظر رسول الله ﷺ إلى مكة بعد أن وقف على الحزورة مودعاً قائلاً : « علمت أنك خير أرض الله ، وأحب الأرض إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجونني منك ما خرجت » (٣) .

وقال أيضاً - رحمه الله - :

" عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يحدث قال : ابتاع أبو بكر من عازب

(١) سورة التوبة آية : (٤٠) .

(٢) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ج ٤ / ص ٣٠٩ رقم ٣٩٠٦ (ك ٦٣ ب ٤٥ ح ٣٩٠٦) .

وانظر : الإمام أحمد - المسند ج ٤ / ص ١٧٥ - ١٧٦ رقم ١٧٦٢٧ .

- : ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ١٢٧ .

- : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٣) الإمام أحمد - المسند ج ٤ / ص ٣٠٥ رقم ١٨٧٣٩ .

وانظر : الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، كتاب الهجرة ج ٣ / ص ٨ رقم ٤٢٧٠ قال عنه الحاكم :

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

رحلاً فحملته معه ، قال : فسأله عازب عن مسير رسول الله ﷺ قال : أخذ علينا بالرصد فخرجنا ليلاً فأحشنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة ، ثم رفعت لنا صخرة فأتيناها ولها شيء من ظل . قال : ففرشت لرسول الله ﷺ فروة معي ، ثم اضطجع عليها النبي ﷺ ، فانطلقت أنفض ما حوله ، فإذا أنا براع قد أقبل في غنيمة يريد من الصخرة مثل الذي أردنا ، فسألته : لمن أنت يا غلام ؟ فقال أنا لفلان ، فقلت له : هل في غنمك من لبن ؟ قال : نعم ، قلت له : هل أنت حالب ؟ قال : نعم ، فأخذ شاة من غنمه : فقلت له : انفض الضرع ، قال : فحلب كثبة من لبن ، ومعني إداوة من ماء عليه خرقة قد رواتها لرسول الله ﷺ ، فصبت على اللبن حتى برد أسفله ، ثم أتيت به النبي ﷺ فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب رسول الله ﷺ حتى رضيت ، ثم ارتحلنا والطلب في إثرنا « (١)

وقد انطلق الراكب المهاجر المبارك إلى المدينة عن طريق الساحل إمعاناً في تضليل المشركين وضمناً لسلامة المهاجرين .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجراً ومعه أبو بكر وعامر بن فهيره مردفه أبو بكر وخلفه عبد الله بن أريقط الليثي ، فسلك بهما أسفل من مكة ، ثم مضى بهما حتى هبط بهما على الساحل أسفل من عسفان ، ثم استجاز بهما على أسفل أمج ، ثم عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً ، ثم سلك بهما الحجاز ، ثم أجاز بهما ثنية المرار ، ثم سلك بهما الحفيا ، ثم أجاز بهما مدلجة ثقف ، ثم استبطن بهما مدلجة صحاح ، ثم سلك بهما مذحج ، ثم بطن مذحج من ذي الغصن ، ثم بطن ذي كشير ، ثم أخذ الجبابج ،

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ج

٤ / ص ٣١٥ - ٣١٦ رقم ٣٩١٧ (ك ٦٣ ب ٤٥ ح ٣٩١٧) .

ثم سلك ذي سلم من بطن أعلى مدلجة ، ثم أخذ القاحة ، ثم هبط العرج ، ثم سلك ثنية الغائر عن يمين ركوبة ثم هبط بطن ريم ، فقدم قباء على بني عمرو بن عوف» (١) .

وفي طريق الهجرة إلى المدينة نزل النبي ﷺ وأصحابه ، بخيمتي أم معبد الخزاعية بقديد طالين القرى :

«عن حزام بن هشام عن أبيه هشام بن حبيش بن خويلد صاحب رسول الله ﷺ : أن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة وأبو بكر رضي الله عنه ، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ، ودليلهما الليثي عبد الله بن أريقط ، مرواً على خيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة ، جلدة ، تحتبي بفناء الخيمة ، ثم تسقي وتطعم ، فسألوها لحماً وتمرأ ليشتروا منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مرملين مستنين ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : هل بها من لبن؟ قالت : هي أجهد من ذلك قال : أتأذنين لي أن أحلبها ، قالت : بأبي أنت وأمي ، إن رأيت بها حلباً فاحلبها ، فدعا بها رسول الله ﷺ ، فمسح بيده ضرعها ، وسمى الله تعالى ، ودعا لها في شاتها ، فتفاجت عليها ، ودرت فاجترت ، فدعا بإناء يربص الرهط ، فحلب فيه ثجاً حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم حتى أراضوا ، ثم حلب فيه ثانية على هذه حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ثم بايعها وارتحل عنها ، فقل ما لبث حتى جاءها زوجها أبو معبد ليسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزالاً مخهن قليلاً ، فلما رأى أبو

(١) الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، کتاب الهجرة ج ٣ / ص ٩ رقم ٤٢٧٢ . قال عنه : هذا حديث

صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي .

وللاستزادة انظر :- ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٨٩ .

- الطبري - تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٧٧ .

معبد اللبن أعجبه، قال: من أين لك هذا يا أم معبد، والشاء عزبا حائل ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله، إنه مرّ بنا رجل مبارك من حال كذا وكذا. . قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً» (١).

وفي طريق الهجرة مرّ رسول الله ﷺ وأصحابه بحي بني مدلج، فرآه بعضهم فعرفوه، رغم الجهد الذي بذله النبي ﷺ وصاحبه - رضي الله عنه - في التخفي، فلحقهم سراقة بن مالك المدلجي طمعاً في الجائزة التي رصدتها قريش لمن يأتي بهما أو بأحدهما.

قال البخاري - رحمه الله - : " قال ابن شهاب : وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي - وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم - أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس ، فقال : يا سراقة ، إني قد رأيت أنفاً أسودة بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه ، قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا

(١) الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، کتاب الهجرة ج ٣ / ص ١٠ - ١١ رقم ٤٢٧٤ قال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ويستدل على صحته وصدق رواته بدلائل : منها نزول المصطفى ﷺ بالخيמתين متواتراً في أخبار صحيحة ذوات عدد . ومنها : أن الذين ساقوا الحديث على وجهه أهل الخيמתين من الأعراب الذين لا يهتمون بوضع الحديث والزيادة والنقصان وقد أخذوه لفظاً بعد لفظ عن أبي معبد وأم معبد .

ومنها : أنه له أسانيد كالأخذ باليد أخذ الولد عن أبيه والأب عن جده لا إرسال ولا وهن في الرواه .
ومنها : أن الحر بن الصباح النخعي أخذه عن أبي معبد كما أخذه ولده عنه فأما الإسناد الذي روينا به بسياقة الحديث عن الكعبيين فإنه إسناد صحيح عال للعرب الأعرابية وقد علونا في حديث الحر بن الصباح .

بأعيننا يبتغون ضالة لهم ، ثم لبثت في المجلس ساعة ، ثم قمت ، فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي - وهي من وراء أكمة - فتحبسها علي ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بزُجّه الأرض ، وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها ، فرفعتها تقرب بي ، حتى دنوت منهم ، فعثرت بي فرسي ، فخررت عنها ، فقامت ، فأهويت يدي إلى كنانتي ، فاستخرجت منها الأزام ، فاستقسمت بها أضرهم أم لا ، فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي - وعصيت الأزام - تقرب بي ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها ، فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عنان ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزام فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جثتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزاني ولم يسألاني إلا أن قال : إخف عنا ، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب في رقعة من أديم ، ثم مضى رسول الله ﷺ» (١) .

رابعاً : وصول النبي ﷺ إلى المدينة واستقبال الأنصار له :

بلغ المسلمين بالمدينة نبأ خروج النبي ﷺ من مكة ، فكانوا يتحرقون شوقاً إلى لقائه ، ويخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة ، ينتظرونه ﷺ ، فما يبرحون حتى تغلبهم الشمس ، ويؤذيهم الحر ، فيعودون إلى منازلهم ، فانقلبوا يوماً بعد أن طال انتظارهم ، فلما أوا إلى بيوتهم ، أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر

(١) سبقت الإشارة إلى تخريج هذا الحديث ص ١٤٣ .

ينظر إليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه يزول بهم السراب ، فقال بأعلى صوته :
يا معاشر العرب ، هذا جدكم الذي تنتظرون ، فثاروا إلى السلاح ، فتلقوا رسول
الله ﷺ بظهر الحرة .

قال البخاري - رحمه الله - : " قال ابن شهاب : فأخبرني عروة بن الزبير أن
رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا
الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول
الله ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه ، حتى يردهم حر
الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أوا إلى بيوتهم أو في رجل
من يهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه
مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معاشر
العرب ، هذا جدكم الذي تنتظرون ، فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول
الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن
عوف ، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس ، وجلس
رسول الله ﷺ صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ -
يحيي أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل
عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك ، فلبث رسول الله ﷺ في بني
عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى ،
وصلى فيه رسول الله ﷺ ، ثم ركب راحلته ، فسار يمشي معه الناس ، حتى
بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة » (١) .

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ج ٤ /

ص ٣١٠ - ٣١١ رقم ٣٩٠٦ (ك ٦٣ ب ٤٥ ح ٣٩٠٦) .

وانظر :- الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، کتاب الهجرة ج ٣ / ص ١٢ - ١٣ رقم ٤٢٧٧ قال عنه :

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

- : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٨٦ .

- : الطبري - تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٨١ .

وكان يوم دخول رسول الله ﷺ المدينة يوماً حافلاً لم تشهد له المدينة مثيلاً في تاريخها ؛ عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال : « ثم قدم النبي ﷺ ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ ، حتى جعل الإماء يقلن : قدم رسول الله ﷺ » (١) .

وعن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال : « شهدت يوم دخل النبي صلى الله وآله وسلم المدينة فلم أرى يوماً أحسن ولا أضواً منه » (٢) .

وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : « ومضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة ، وخرج الناس حتى دخلنا في الطريق وصاح النساء والخدام والغلمان جاء محمد رسول الله ، الله أكبر ، جاء محمد رسول الله ، فلما أصبح انطلق فنزل حيث أمر » (٣) .

" وبهذه الهجرة تمت لرسولنا ﷺ سنة إخوانه من الأنبياء من قبله ، من إبراهيم أبي الأنبياء و خليل الله ، إلى عيسى كلمة الله وروحه ، كلهم على عظيم درجاتهم ، ورفعة مقامهم ، أهينوا من عشائريهم ، فصبروا ليكونوا مثلاً لمن يأتي بعدهم من تبعهم في الثبات والصبر على المكاره ما دام

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ، ج ٤ / ص ٣١٧-٣١٨ رقم ٣٩٢٥ (ك ٦٣ ب ٤٦ ح ٣٩٢٥) .

(٢) الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، کتاب الهجرة ، ج ٣ / ص ١٤ رقم ٤٢٨١ قال عنه : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٣) الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، کتاب الهجرة ج ٣ / ص ١٤ ، رقم ٤٢٨٢ قال عنه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

ذلك في ذات الله ، فلا غرابة أن هاجر عليه الصلاة والسلام من بلاد منعه أهلها
من تتميم ما أراده الله قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (١)(٢) .

(١) سورة الأحزاب آية : (٦٢) .

(٢) محمد الخضري - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ط ٢ [القاهرة : دار الحديث ١٤١٢ هـ] ص ١٣٢

المبحث الثالث

آثار هجرة النبي محمد ﷺ إلى المدينة

كانت آثار الهجرة عظيمة بعيدة المدى حتى إنه ليتمكن القول بأن ما حدث بعدها إنما كان من آثارها ، ولعل من أبرز آثارها :

المطلب الأول: أثر الهجرة على الدعوة الإسلامية:

١ - حرية الدعوة الإسلامية :

فقد تحقق بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة ما كان يبحث عنه سلفاً من المأوى الآمن للدعوة بعد أن تعرضت لحمولات شديدة ، وعاشت أكثر من نصف عمرها تتحمل الأذى والسخرية والتكذيب في مكة ،^(١) فلما تمت الهجرة شقت الدعوة الإسلامية طريقها إلى الظهور وهداية الناس ، وتجلت عالمية الدعوة بوضوح أكبر . قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

ولم تمض بضعة سنوات على الهجرة حتى أرسل النبي ﷺ بالكتب إلى الملوك والأمراء والرؤساء ، داعياً إياهم إلى الدخول في الإسلام ، وإلى كلمة سواء ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

وكان من آثار حرية الدعوة بعد الهجرة أن الإسلام عم الجزيرة العربية كلها ، كما أن الدول المجاورة للجزيرة العربية قد بلغت الدعوة ، ولم يكدمض قرن من الزمان حتى بلغ الإسلام مبلغاً عظيماً في الظهور والانتشار ، وتحقق وعد الله لعباده

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثاني من الباب الأول في دوافع الهجرة ص ٤٨ وما بعدها .

(٢) سورة الأعراف : آية (١٥٨) .

(٣) سورة آل عمران : آية (٦٤) .

الصالحين ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

٢ - الإعلام عن الدعوة:

إن من أبرز آثار هجرة النبي ﷺ أنها كانت إعلاماً وإعلاناً - في الوقت نفسه - عن دعوة النبي ﷺ ، وتبليغاً لمن لم تبلغهم ، وبرهاناً ساطعاً على صدق النبي ﷺ وتأييد الله له ، ذلك أن حدث الهجرة النبوية المباركة شغل العرب في الجزيرة العربية زمناً طويلاً ، فعلم بأمر الدعوة الإسلامية من لم يكن قد علم بذلك .

٣ - ظهور أمة الدعوة :

فقد مهدت الهجرة المباركة إلى ظهور أمة الدعوة ، الأمة الوسط ، خير أمة أخرجت للناس كما قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢) .

٤ - أسلوب العمل في الدعوة :

فقد شرع النبي ﷺ بعد الهجرة في العمل من أجل الغاية التي عهد الله إليه بتبليغها ، والتي دعت إليها الهجرة ، فسارع إلى بناء المسجد ليظهر للأمة أهمية المسجد في حياتها ، ومكانته في نفوسهم ، ودوره في نشر الدعوة (٣) .

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : « ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ من بني النجار ، فقال : يا بني النجار ثامنوني حائطكم هذا ، فقالوا : لا

(١) سورة النور : آية (٥٥) .

(٢) سورة آل عمران آية : (١١٠) .

(٣) د / مصطفى السباعي - السيرة النبوية دروس وعبر ، مرجع سابق ص ٧٣ - ٧٥ .

والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله ، فقال أنس : فكان فيه ما أقول لكم قبور
المشركين ، وفيه خرب ، وكان فيه نخل ، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين فنبشت ،
ثم بالحرب فسويت ، وبالنخل فقطع ، قال : فصفوا النخل قبلة المسجد ، قال :
وجعلوا عضادتيه حجارة قال : جعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون ، ورسول الله
ﷺ معهم ، يقولون :

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة (١)

٥ - مقاومة المناهضين للدعوة :

فقد تفرغ النبي ﷺ لمقاومة المناهضين للدعوة الإسلامية بالوسائل والأساليب
المناسبة - مرحلة الإذن بالقتال - (٢) ، فقام عليه الصلاة والسلام بإرسال البعوث
والسرايا ، والقيام بالغزوات لنشر الدعوة ، ولبث الرعب والخوف في قلوب
المشركين ، وتثبيت هيبة المسلمين في نفوس أعدائهم ، كما كانت الهجرة منطلقاً لما
جرى بعدها من غزوات وحروب مع أعداء الدعوة حتى قُضي على الباطل في فتح
مكة ، ونزل قول الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي
دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٣) .

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ج ٤ /

ص ٣٢٠ - ٣٢١ . رقم ٣٩٣٢ (ك ٦٣ ب ٤٦ ح ٣٩٣٢) .

(٢) ابن القيم - زاد المعاد في هدي خير العباد ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٧٠ .

(٣) سورة النصر الآيات : (١ - ٣) .

كما أن ما أحرزته الدعوة الإسلامية من قوة وازدهار وانتشار هو التفسير الحقيقي للحكمة منها .

ولما كانت الهجرة سبباً في ظهور الإسلام وانتشاره، ومنطلقاً لما جرى من الأحداث بعدها، فقد جعلها المسلمون أساساً لتاريخهم الإسلامي .

عن سهيل بن سعد - رضي الله عنهما - قال : « ما عدوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته ، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة » (١) .

وعن سعيد بن المسيب - رضي الله عنه - قال : « جمع عمر الناس ، فسألهم : من أي يوم يكتب التاريخ ؟ فقال علي بن أبي طالب : من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترك أرض الشرك ، ففعله عمر - رضي الله عنه » (٢) .

وقال ابن كثير - رحمه الله - : " اتفق الصحابة - رضي الله عنهم - في ستة عشر - وقيل سنة سبعة عشر ، أو ثماني عشرة - في الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة ، وذلك أن أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - رفع إليه صك - أي حجة - لرجل على آخر ، وفيه : إنه يحل عليه في شعبان ، فقال عمر : أي شعبان ؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها ، أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة رضي الله عنهم فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون ، وغير ذلك ، فقال قائل : أرخوا كتاريخ الفرس ، فكره ذلك ، وكان الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد ، وقال قائل : أرخوا بتاريخ الروم ، وكانوا يؤرخون بملك إسكندر بن فلنس المقدوني ، فكره ذلك ، وقال

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب التاريخ : من أين أرخوا بالتاريخ ؟ ج ٤ / ص ٣٢١ رقم ٣٩٣٤ (ك ٦٣ ب ٤٨ ح ٣٩٣٤) .

(٢) الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، كتاب الهجرة ، ج ٣ / ص ١٥١ رقم ٤٢٨٧ ، وقال عنه : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

آخرون : أرخوا بمولد الرسول ﷺ، وقال آخرون : بل بمبعثه ، وقال آخرون : بل بهجرته ، وقال آخرون : بل بوفاته ، فمال عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره ، واشتهاره واتفقوا على ذلك (١) .

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج ٣ / ص ٢٠٦ .

المطلب الثاني: أثر هجرة النبي ﷺ على المدعوين

١ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

تعتبر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من أعظم آثار الهجرة النبوية المباركة وثمراتها، فقد تألف بسببها الأوس والخزرج بعد أن كانوا أعداءً متحاربين ، وخصوصاً متباغضين ، وتأخوا مع من هاجروا إليهم من مكة ، وصاروا قلباً واحداً حتى نسي الأوسى أوسيته ، والخزرجي خزرجيته ، والقرشي قرشيته ، فكانت تلك المؤاخاة أساساً لتقوية المسلمين ، وتأكيدهم لوحدتهم وألفتهم .

وقد سجل القرآن العظيم هذا الموقف الإسلامي العظيم ، وأثنى عليه باعتباره الصورة الحية ، والمثل المشرق للمؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١) .

قال ابن هشام - رحمه الله - : " قال ابن إسحاق : وأخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - : تأخوا في الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : هذا أخي ، فكان رسول الله - ﷺ - سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذي ليس له نظير من العباد ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله - ﷺ - وعم رسول الله - ﷺ - وزيد بن حارثة ، مولى رسول الله - ﷺ - أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ، الطيار في الجنة ، ومعاذ بن جبل أخو بني سلمة أخوين .

قال ابن هشام : « وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائباً بأرض الحبشة » (٢)

(١) سورة الحشر آية : (٩) .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ١٤٦ - ١٤٨ .

وقد استمر الإخاء بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار إلى وقعة بدر ، ثم انقطع في الميراث ، ورجع كل إنسان إلى نسبه ، وورثه ذوو رحمه .

قال ابن القيم - رحمه الله - : «أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ، ونصفهم من الأنصار ، آخى بينهم على المواساة ، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر ، فلما أنزل الله عز وجل ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (١) رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة» (٢) .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (٤) قال : كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث الأنصاري المهاجري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم ، فلما نزلت ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ ﴾ (٥) قال : نسختها ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (٦) ، (٧) .

٢ - الأمن من الفتنة في الدين :

فقد أمن المسلمون بعد الهجرة من الفتنة في الدين ، بعد أن كانت قريش تنال من المسلمين ، خاصة المستضعفين بأذى شديد لا يحتمله بشر (٨) ، فوضعت الهجرة

(١) سورة الأحزاب : آية (٦) .

(٢) ابن القيم - زاد المعاد هدي خير العباد ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٦٣ .

(٣-٤) سورة النساء الآية : (٣٣) .

(٥-٦) سورة النساء آية : (٣٣) .

(٧) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الفرائض ، باب ذوي الأرحام ج ٨ / ص ١١ رقم ٦٧٤٧ [ك ٨٥ ب ١٦ ح ٦٧٤٧] .

(٨) سبقت الإشارة إلى ما كان يعانيه المسلمون في مكة في الباب الأول - الفصل الثاني عند الحديث عن دوافع الهجرة . ص ٥٠ .

حداً لذلك ، وكانت قضاء على كل ما دبره المشركون ، وزالت سيطرة قريش على أصحاب رسول الله ﷺ ، فعاش المسلمون في بيئة المدينة دون أن يتعرضوا لامتحان أو تعذيب ، وعاشوا في أمن وسلام وطمأنينة وحرية ، قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

٣ - ازدياد عدد المسلمين بعد الهجرة إلى المدينة :

وكان من أبرز آثار الهجرة ازدياد عدد المسلمين ازدياداً كبيراً بعد الهجرة ، بعد أن تهيأ للدعوة الإسلامية الاستقرار والمناخ الآمن في المدينة ، ووجد من يريد الإسلام والانضمام إلى المسلمين ، والاتصال برسول الله ﷺ حرية وأماناً دونما معوقات أو خوف أو تهديد من أحد؛ بعد أن كان أذى قريش ينال كل من يتصل بالرسول ﷺ ، أو ينصت إليه ، فيصرف ذلك الناس عن الإيمان به ﷺ .

(١) سورة الأنفال آية : (٢٦) .

المطلب الثالث: أثر هجرة النبي ﷺ على أعداء الدعوة

١ - كفار مكة :

لم يهدأ لمشركي مكة بال ، ولم يقر لهم قرار بعد خروج النبي ﷺ من بين أظهرهم ونجاته ، وهجرته إلى المدينة المنورة ، فكثفوا وضاعفوا جهودهم لمحاربة الدعوة الإسلامية في مهجرها الجديد ، فأخذوا في تحريض القبائل المحيطة بالمدينة المنورة على المسلمين ، وتأليب أعداء الإسلام من الوثنيين في المدينة على المسلمين .

عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ : « أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبيّ ، ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج ، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر : إنكم أويتم صاحبنا ، وإننا نقسم بالله لتقاتلنه ، أو لتخرجنه ، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبيّ ومن كان معه من عبدة الأوثان ، اجتمعوا لقتال النبي ﷺ ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم ، فقال : لقد بلغ وعيد قريش فيكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم ، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم ، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا ، فبلغ ذلك كفار قريش (١) . »

٢ - اليهود :

كانت المدينة بعد هجرة النبي ﷺ إليها تحتضن طوائف مختلفة من السكان ، منهم اليهود ، وما إن استقرت الأوضاع داخل المدينة ، واستتب الأمر لرسول الله ﷺ حتى بادر إلى عقد معاهدة مع اليهود ، تضمنت هذه المعاهدة ترك الحرب بين الطرفين ، وعدم الاعتداء بينهما ، والدفاع عن المدينة ضد قريش .

(١) أبو داود - سنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في خبر النضير .

الألباني - صحيح سنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في خبر النضير ج ٢ / ص

٥٨٢ رقم ٢٥٩٥ . (ك ١ الخراج والإمارة والفيء ب ٢٣ ح ٢٥٩٥) .

قال ابن هشام - رحمه الله - : « قال ابن إسحاق : " وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم » (١) .

لكن اليهود لم يحافظوا على الوفاء بما تم الاتفاق عليه ، فنقضوا العهد ، وبدأوا يكيدون للإسلام والمسلمين ، ويحيكون المؤامرات ، وانضموا إلى أعدائهم المشركين خصوصاً مشركي مكة بعد وقعة بدر حين كاتبهم المشركون ، وأعلنوا الحرب على النبي ﷺ ودعوته ، الأمر الذي دفع النبي ﷺ لإجلالهم وإخراجهم من المدينة ، وغزو بعضهم حتى تخلصت المدينة والدعوة من أيديهم وشرهم .

ومن الشواهد التي تؤكد ذلك : ما رواه عبد الرحمن بن كعب بن مالك - في الحديث السابق ذكره - عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : « فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود : إنكم أهل الحلقة والحصون ، وإنكم لتقاتلن صاحبنا ، أو لنفعلن كذا وكذا ، ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء ، وهي الخلاخيل ، فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ ، أجمعت بنو النضير بالغدر ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ : اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك ، وليخرج منا ثلاثون حبراً حتى نلتقى بمكان المنصف فيسمعوا منك ، فإن صدقوك وآمنوا بك آمننا بك [فقص خبرهم] ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم ، فقال لهم : إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه ، فأبوا أن يعطوه عهداً ، فقاتلهم يومهم ذلك ، ثم غدا الغد على بني قريظة بالكتائب ، وترك بني النضير ، ودعاهم إلى أن يعاهدوه ، فعاهدوه ، فانصرف عنهم ، وغدا على بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير » (٢) .

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ١٤٣ .

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث في البحث ص ١٦١ .

الفصل الثالث

نماذج من هجرات السلف الصالح وآثارها

المبحث الأول : الهجرة الجماعية.

المطلب الأول : هجرة الصحابة - رضي

الله عنهم - الى الحبشة

المطلب الثاني : هجرة الصحابة إلى

المدينة.

المبحث الثاني : الهجرة الفردية .

المطلب الأول : هجرة أبي ذر الغفاري

- رضي الله عنه - .

المطلب الثاني : هجرة الطفيل بن

عمرو الدوسي - رضي الله عنه

المطلب الثالث : هجرة عمرو بن عبسة

السلمي - رضي الله عنه - .

المبحث الثالث : آثار هجرة السلف الصالح .

المبحث الأول

الهجرة الجماعية

سوف نستعرض - إن شاء الله - في هذا المبحث أبرز نماذج هجرة السلف الصالح الجماعية في تاريخ الدعوة في المطالب التالية :

المطلب الأول : هجرة الصحابة - رضي الله عنهم - إلى الحبشة :

تعد هجرة الصحابة - رضي الله عنهم - إلى الحبشة من أبرز وأعظم نماذج هجرة السلف الصالح الجماعية في تاريخ الدعوة ، ولقد قرر المسلمون المهاجرون مفارقة الديار والأهل رغبة في الحفاظ على الدين حتى يجعل الله لهم فرجاً ومخرجاً مما هم فيه من الأذى .

وسوف نتناول - إن شاء الله - هاتين الهجرتين فيما يلي :

كانت قريش كلما فشلت في مناهضة الدعوة ، أمعنت في تعذيب المسلمين وإيذائهم ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وأنه لا يقدر على حمايتهم مما ينالهم ، أمرهم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة كي يتمكنوا من عبادة ربهم ، فخرج عند ذلك جماعة من المسلمين فراراً بدينهم في شهر رجب سنة خمس من البعثة .

قال ابن حجر - رحمه الله - : " وذكر أهل السير أن الهجرة الأولى كانت في شهر رجب من سنة خمس من المبعث " (١) . وقال ابن سعد - رحمه الله - : " وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة " (٢) وكان من بين هؤلاء المهاجرين عثمان

(١) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٧ / ص ١٨٨ .

(٢) ابن سعد - الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٠٤ .

وللاستزادة انظر : ابن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٧ /

ص ١٨٨ .

ابن عفان - رضي الله عنه - وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ - رضي الله عنهما -، فكانت أول هجرة في الإسلام .

وقد أقام المهاجرون في الهجرة الأولى إلى الحبشة ثلاثة أشهر تقريباً كما قال ابن سعد - رحمه الله - : " فكانوا خرجوا في رجب سنة خمس ، فأقاموا شعبان وشهر رمضان وكانت السجدة في شهر رمضان ، وقدموا في شوال سنة خمس " (١) .

ولما بلغ المهاجرين أن قريشاً أسلمت ، كما قال ابن الأثير (٢) - رحمه الله - عادوا إلى مكة في شهر شوال من العام نفسه ، ولما قاربوا مكة ، وعلموا أن ما بلغهم باطل ، وأن الأذى لا يزال مستمراً ، والبلاء لا يزال قائماً لم يدخل أحد منهم مكة إلا بجوار ، قال ابن سعد - رحمه الله - : " دخلوا مكة ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار إلا ابن مسعود - رضي الله عنه - فإنه مكث يسيراً ، ثم رجع إلى أرض الحبشة " (٣) .

ولما اشتد البلاء بالمسلمين خرجت جموع المهاجرين ، وتتابعت أفواجهم حتى اجتمعوا بأرض الحبشة بعد إذن رسول الله ﷺ لهم .

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : « بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ، ونحن نحو من ثمانين رجلاً » (٤) قال ابن هشام - رحمه الله - : « فكان

(١) ابن سعد - الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٠٦ .

(٢) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج ٢ ط (ب . ت) [بيروت : دار الفكر ١٣٩٨ هـ] ص ٥٣ .

(٣) ابن سعد - الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ج ١ / ص ٢٠٦ .

(٤) الإمام أحمد - المسند ج ١ / ص ٤٦١ رقم ٤٤٠٠ قال عنه أحمد شاكر رحمه الله : إسناده حسن ج ٦ / ص ١٨٥ .

وانظر : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٦٩ .

- : ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٧ / ص ١٨٩ .

جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه « (١) فأكرمهم النجاشي وأمنهم على حياتهم ، ولكن قريشاً لم يهدأ لهم بال ، فساورهم القلق والخوف من حماية النجاشي للمسلمين المهاجرين ، فائتمروا فيما بينهم ، فأرسلوا عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، لإقناع النجاشي بطردهم وإخراجهم من بلاده ، وإعادتهم إلى مكة ، وكان الحوار والمناقشة التي دارت بين المهاجرين والنجاشي .

عن أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدتين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم ، فجمعوا له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقتة بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي ، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي ، وأمروهما أمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ، ثم قدموا للنجاشي هداياه ، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم ، قالت : فخرجا ، فقدمنا على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار وخير جار ، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي ، ثم قالوا لكل بطريق منهم : إنه صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرف قومهم ، لنردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما : نعم ، ثم إنهما قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلماه فقالا : أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ،

(١) وانظر : ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٥٧ .

وانظر ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٦٩ .

وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم ، فقالت بطارقتة حوله : صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما ، فليردانهم إلى بلادهم وقومهم ، قال : فغضب النجاشي ثم قال : لا وأيم الله إذا لا أسلمهم إليهما ولا أكاد ، قوم؟ جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم ؟ فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ، ما جاوروني قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ليسألهم فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم ؟ قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، يأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمر بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قال : فعدد عليه أمور الإسلام ، فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم

علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ، ففتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، ولما قهرونا وظلمونا ، وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلدك ، واخترناك على من سواك ، ورجبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك ، قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأه عليّ ، فقرأ عليه صدرًا من كهيعص ، قالت : فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، وانطلقا ، فوالله لا أسلمهم إليكما أبدًا ، ولا أكاد ، قالت أم سلمة - رضي الله عنها - : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدًا أعييهم ، عنده ثم استأصل به خضراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : وكان أتقى الرجلين فينا - لا تفعل ، فإن لهم أرحامًا ، وإن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عليهما السلام عبد ، قالت : ثم غدا عليه الغد فقال : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه ؟ قالت أم سلمة : فأرسل إليهم يسألهم عنه ، قالت : ولم ينزل بنا مثلها ، فاجتمع القوم فقال بعضهم : ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله فيه ما قال الله سبحانه وتعالى ، وما جاء به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن ، فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ ، هو عبد الله ورسوله ، وروحه وكلمته ، ألقاها إلى مريم العذراء البتول . قالت : فضرب النجاشي يده على الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال : ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود . فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما

قال ، فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي (والسيوم الآمنون) ، من سبكم غرم ، ثم من سبكم غرم ، ثم من سبكم غرم ، ، فما أحب أن لي دير ذهب ، وأني أذيت رجلاً منكم (والدير بلسان الحبشة الجبل) ، ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لنا بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع في الناس فأطيعهم فيه ، قالت : فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار ، قالت : فوالله أنا على ذلك إذ نزل به يعني من ينازعه في ملكه ، قالت : فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزنائه عند ذلك تخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه . قالت : وسار النجاشي وبينهما عرض النيل قالت : فقال أصحاب رسول الله ﷺ من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت : فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه : أنا ، قالت : وكان من أحدث القوم سناً ، قالت : فنفخوا له قرية فجعلها في صدره ثم سبج عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم ، قالت : ودعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين في بلاده ، واستوثق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة « (١) .

(١) الإمام أحمد - المسند ج ٥ / ص ٢٩٠ رقم ٢٢٥٥١ .

وانظر : ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٦٠-٣٦٣ .

- : ابن إسحاق - سيرة ابن إسحاق ، مرجع سابق ج ٤ / ص ١٩٤-١٩٧ .

ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٧٢-٧٣ .

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وظهرت دعوة الإسلام وانتشرت ، عاد معظم المهاجرين إلى المدينة ، وتأخر بعضهم فوصلوا إلى المدينة يوم فتح خيبر سنة سبع للهجرة فقال رسول الله ﷺ : « والله ما أدري أبقدوم جعفر أنا أسرَّ وأفرح أم بفتح خيبر » (١) .

(١) ابن عبد البر - الدرر في اختصار المغازي والسير ط ٢ [القاهرة : دار المعارف ١٤٠٣هـ] ص ٢٠٦ .

المطلب الثاني : هجرة الصحابة - رضي الله عنهم - إلى المدينة

إن من أبرز نماذج هجرة السلف الصالح الجماعية في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد هجرتي الحبشة هجرة الصحابة - رضوان الله عليهم - من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم بعد أن استعصت مكة عن قبول الدعوة الإسلامية ، وقامت بمحاربتها ، ومضايقة صاحبها عليه الصلاة والسلام ، وإيذاء أتباعها .

وسوف نتناول هذه الهجرة فيما يلي :

كما بينا قريباً وبعد بيعة العقبة الثانية ، وبعد أن علمت قريش بإسلام الأنصار ، أدركت أن النبي ﷺ وجد لدعوته تربة خصبة تستجيب لها وتحتضنها فبالغت في إيذاء المؤمنين واضطهادهم ، وكانت شدة الأذى بعد هذه البيعة سبباً في مسارعة المؤمنين في الهجرة إلى المدينة بعد أن تحولت المدينة إلى دار إسلام ، وبعد أن أذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إليها واللحوق بإخوانهم الأنصار قائلاً : «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها» (١) ومنذ ذلك الحين أخذ الصحابة في الهجرة من مكة إلى دار الهجرة (المدينة) أرسالاً ، رجالاً ونساءً ، ولسان حالهم يقول ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (٢) وتتابع المهاجرون حتى أمست دورهم بمكة موحشة خلاءً .

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ١٠٩ .

وانظر : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٦٩ .

- : الطبري - تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج ٢ / ص ٣٦٩ .

(٢) سورة النساء آية (٧٥) .

قال ابن سعد - رحمه الله - :

" وعن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - قالوا : لما صدر السبعون من عند رسول الله ﷺ طابت نفسه ، وقد جعل الله له منعة وقومًا أهل حرب وعدة ونجدة ، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج فضيقوا على أصحابه ، وتعبثوا بهم ، ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى ، فشكا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ ، واستأذنوه في الهجرة فقال : قد أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هي هي ثم مكث أيامًا ثم خرج إلى أصحابه مسرورًا فقال : قد أخبرت بدار هجرتكم ، وهي يثرب ، فمن أراد الخروج فليخرج إليها ، فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك ، فكان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ أبو سلمة بن عبد الأسد ، ثم قدم بعده عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبي خيثمة فهي أول ظعينة قدمت المدينة ، ثم قدم أصحاب رسول الله ﷺ أرسالا فنزلوا على الأنصار في دورهم فأووهم ونصروهم وأسوهم ، وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين بقباء ، قبل أن يقدم النبي ﷺ ، فلما خرج المسلمون في هجرتهم إلى المدينة كلبت قريش عليهم ، وحربوا ، واغتاظوا على من خرج من فتيانهم ، وكان نفر من الأنصار بايعوا رسول الله ﷺ في البيعة الآخرة ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدم أول من هاجر إلى قباء خرجوا إلى رسول الله ﷺ بمكة حتى قدموا مع أصحابه في الهجرة فهم مهاجرون أنصاريون وهم : ذكوان بن عبد قيس ، وعقبه بن وهب ابن كلدة ، والعباس بن عباد بن نضلة ، وزيايد بن لبيد ، وخرج المسلمون جميعًا

إلى المدينة فلم يبق بمكة فيهم إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي ، أو مفتون
محبوس أو مريض ، أو ضعيف عن الخروج « (١) وهم المستضعفون الذين قال الله
فيهم : ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ
سَبِيلًا ، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴾ (٢) .

ونزل المهاجرون من أهل مكة على إخوانهم الأنصار ، فأووهم ، وآسوهم ،
وقاسموهم الأموال والديار ، وأنزلوهم من أنفسهم منزلة الأهل والعشيرة ،
وتوزع المهاجرون بينهم ، فنزل أصحاب الأسر منهم على أصحاب الأسر ، ونزل
الأعزاب على سعد بن خيثمة - رضي الله عنه - وذلك أنه كان عزباً (٣) .

وهكذا تمت هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد ما لحق بهم مهاجرة
الحبشة ، ثم توجهت هاتان الهجرتان بهجرة المصطفى ﷺ إلى المدينة - كما بينا - .

(١) ابن سعد - الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ج ١ / ص ٢٢٦ .

(٢) سورة النساء آية : (٩٨-٩٩) .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ١١٧-١٢٠ .

وانظر : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٧٤ .

المبحث الثاني الهجرة الفردية

سوف نستعرض في هذا المبحث - إن شاء الله - بعض النماذج الرائدة من هجرات سلفنا الصالح الفردية مكتفين بسيرة ثلاثة مهاجرين من أئمة سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - وهم :

أولاً : هجرة أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - .

ثانياً : هجرة الطفيل بن عمرو الدوسي - رضي الله عنه - .

ثالثاً : هجرة عمرو بن عبسة السلمي - رضي الله عنه - .

وتمام الحديث عن هذه الهجرات فيما يلي :

المطلب الأول : هجرة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه :

سيكون الحديث - إن شاء الله - في هذا المطلب عن عدد من القضايا المهمة التي لها صلة وثيقة بالموضوع ، وهي على النحو التالي :

أولاً : نشأة أبي ذر - رضي الله عنه - وإسلامه .

ثانياً : هجرة أبي ذر - رضي الله عنه - .

وتفصيل ذلك في المطالب التالية :

أولاً : نشأة أبي ذر - رضي الله عنه - وإسلامه :

اختلفت المصادر في اسمه - رضي الله عنه - على أقوال عدة ، وأشهر تلك الأقوال أنه جندب بن جنادة .

قال ابن كثير رحمه الله - : « واسمه جندب بن جنادة على المشهور » (١) .

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج٧ / ص ١٦٤ .

وقال ابن حجر - رحمه الله - : « والمشهور أنه جندب بن جنادة » (١) .

وينتسب أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه - إلى قبيلة غفار ، إحدى القبائل الخمس في الجاهلية في القوة والمكانة ، وهم بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة » (٢) .

كما تروي المصادر أن أبا ذر الغفاري - رضي الله عنه - لما بلغه مبعث النبي ﷺ أرسل أخاه أنيساً إلى مكة ليسأل عن هذا الدين ، ويأتيه بخبر النبي ﷺ ، فلما رجع إلى أبي ذر لم يشفه الخبر فيما سمع وأراد ، فخرج متوجهاً إلى مكة في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة الإسلامية ، فالتقى بالنبي ﷺ ، وأعلن إسلامه ، وباع النبي ﷺ فكان - رضي الله عنه - أحد السابقين الأولين إلى الإسلام .

قال الذهبي - رحمه الله - : « أحد السابقين الأولين ، من نجباء أصحاب محمد ﷺ ، وقيل : كان خامس خمسة في الإسلام » (٣) .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي ، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه

(١) ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ط (ب.ت) [بيروت : دار الكتاب العربي (د.ن)] ص ٦٣ .

وانظر : ابن عبد البر - الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج ٤ ط (ب.ت) [بيروت : دار الكتاب العربي (د.ن)] ص ٦٢ .

الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٢ ط ٢ [بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ] ص ٤٦ .

ابن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ١ ط (ب.ت) [بيروت : دار الفكر (د.ن)] ص ٣٥٧ .

(٢) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٦ / ص ٥٤٣ .

(٣) الذهبي - سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٤٦ .

وانظر :

- ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة ، مرجع سابق ج ٤ / ص ٦٣ .

- ابن عبد البر - الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، مرجع سابق ج ٤ / ص ٦٢ .

- ابن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٥٧ .

الخبر من السماء ، واسمع من قوله ثم اثنتي ، فانطلق الأخ حتى قدمه ، وسمع من قوله ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له : رأيتني يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاماً ما هو بالشعر ، فقال : ما شفيتني مما أردت ، فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل ، فرآه علي فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ، ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمر به علي فقال : أما آن للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه ، فذهب به معه ، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد علي على مثل ذلك ، فأقام معه ثم قال : ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ، ففعل ، فأخبره ، قال : فإنه حق ، وهو رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحت فاتبعني ، فإنني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأنني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل ، فانطلق يقفوه ، حتى دخل على النبي ﷺ ، ودخل معه فسمع من قوله ، وأسلم مكانه ، فقال له النبي ﷺ : «ارجع إلى قومك ، فأخبرهم حتى يأتيك أمري» قال : والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه ، وأتى العباس فأكب عليه قال : ويلكم ، أستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام ؟ فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد لمثلها ، فضربوه وثاروا إليه ، فأكب العباس عليه « (١) .

وقد عاد أبو ذر - رضي الله عنه - إلى قومه بأمر النبي ﷺ ، وأقام فيهم داعياً

(١) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ج ٤ / ص ٢٩١ رقم ٣٨٦١ (ك ٦٣ ب ٣٣ ح ٣٨٦١) .

إلى الله حتى أسلم بدعوته نصف غفار ، واستعد النصف الثاني لإعلان الإسلام
إذا قدم الرسول ﷺ المدينة مهاجراً .

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : قال أبو ذر . . . ثم أتيت رسول
الله ﷺ فقال : إنه قد وجهت لي أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب ، فهل أنت
مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟ فأتيت أنيساً فقال : ما
صنعت قلت : صنعت أني قد أسلمت وصدقت ، قال : ما بي رغبة عن دينك ،
فإني قد أسلمت وصدقت ، فأتينا أمنا ، فقالت : ما بي رغبة عن دينكما ، فإني قد
أسلمت وصدقت ، فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفاراً فأسلم نصفهم ، وكان يؤمهم
أيماء بن رخصة الغفاري ، وكان سيدهم ، وقال نصفهم : إذا قدم رسول الله ﷺ
المدينة أسلمنا ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي ، وجاءت أسلم ،
فقالوا : يا رسول الله إخوتنا نسلم على الذي أسلموا عليه فأسلموا ، فقال رسول
الله ﷺ : غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله « (١) .

ثانياً : هجرة أبي ذر - رضي الله عنه - إلى المدينة :

بعد هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، خرج أبو ذر - رضي الله عنه -
مهاجراً إلى المدينة عاصمة الإسلام ، ومنطلق الدعوة الإسلامية المباركة بعدما أسلم
النصف الثاني من قومه في مسيرة الهجرة النبوية المباركة .

وقد ظل ملازماً للرسول ﷺ بعد الهجرة ، حريصاً على الاستفادة منه ، قال
أبو نعيم - رحمه الله - : « كان - أبو ذر رضي الله عنه - للرسول ﷺ ملازماً
وجليساً ، وعلى مساءلته والاقتباس منه حريصاً ، وللقيام على ما استفاد منه

(١) الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه ج ٤ /
ص ١٩١٩ رقم ٢٤٧٣ (ك) ٤٤ ب ٢٨ ح ٢٤٧٣ .

أنيساً، سأله عن الأصول والفروع ، وسأله عن الإيمان والإحسان ، وسأله عن رؤية ربه تعالى ، وسأله عن أحب الكلام إلى الله تعالى ، وسأله عن ليلة القدر ، أترفع مع الأنبياء أم تبقى ، وسأله عن كل شيء حتى مس الحصى في الصلاة» (١) .

ولم يتخلف - رضي الله عنه - بعد هجرته إلى المدينة عن غزوات النبي ﷺ إلا ما كان بأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام في غزوتي ذات الرقاع وبني المصطلق ، إذ خلفه رسول الله ﷺ أميراً على المدينة (٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : «ثم لما مات رسول الله ﷺ ، ومات أبو بكر - رضي الله عنه - خرج إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية (٣) - رضي الله عنه - فاستقدمه عثمان - رضي الله عنه - إلى المدينة ، ثم نزل الربذة فأقام بها حتى مات - رضي الله عنه في ذي الحجة - سنة ثنتين وثلاثين -» (٤) .

وهكذا كانت هجرة أبي ذر - رضي الله عنه - فتحاً لدخوله وقومه في الإسلام ومشاركتهم في الدعوة ، والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ، ونصرة دينه ونبيه ﷺ .

(١) أبو نعيم - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ط (ب. ت) [بيروت : دار الكتب العلمية (د. د. ن)] ص ١٦٩ .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ١٥٥ ، ٢٣٥ .

وانظر : ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٤ / ص ١٥٦ .

(٣) عن زيد بن وهب ، قال : مررت على أبي ذر بالربذة فقلت : ما أنزلك بهذه الأرض قال : كنا بالشام فقرأت : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ قال : معاوية : ما هذه فينا ما هذه إلا في أهل الكتاب ، قال : قلت إنها لفينا وفيهم (سورة التوبة آية ٣٤) . وانظر البخاري - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن باب قوله ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ . ج ٥ / ص ٢٤٣ رقم ٤٦٦٠ (ك ٦٥ ، ب ٦ ح ٤٦٦٠) .

(٤) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٧ / ص ١٦٥ .

وانظر : ابن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة - مرجع سابق ج ١ / ص ٣٥٨ .

المطلب الثاني : هجرة الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه

سيكون الحديث - إن شاء الله - في هذا المطلب عن عدد من القضايا المهمة التي لها صلة بموضوع البحث وهي على النحو التالي :

أولاً : نشأة الطفيل بن عمرو - رضي الله عنه - وإسلامه .

ثانياً : هجرة الطفيل بن عمرو - رضي الله عنه - .

وتفصيل ذلك في النقاط التالية :

أولاً : نشأة الطفيل بن عمرو - رضي الله عنه - وإسلامه :

هو الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم ابن دوس الدوسي « (١) .

ويتهيئ نسبه - رضي الله عنه - إلى دوس بن عدنان بطن من الأزد ، وكان يلقب بذي النور « لأنه لما أتى النبي ﷺ وأسلم وبعثه إلى قومه فقال : اجعل لي آية ، فقال : اللهم نور له ، فسطع نور بين عينيه . . . » (٢) وقد كان - رضي الله عنه - سيداً مطاعاً شريفاً من أشرف العرب .

(١) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٨ / ص ١٠١ .

وانظر : ابن الأثير - أسد الغاية في معرفة الصحابة ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٤٦٠ .

الذهبي - سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٤٤ .

ابن عبد البر - الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٢٢١ .

(٢) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ٨ / ص ١٠١ - ١٠٢ .

ويعد الطفيل بن عمرو الدوسي - رضي الله عنه - من السابقين إلى الإسلام ،
فقد أسلم - رضي الله عنه - وصدق بالنبى ﷺ بمكة قبل الهجرة ، ثم رجع إلى بلاد
قومه من أرض دوس ، فلم يزل مقيماً بها حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة .

وقد ذكر ابن إسحاق - رحمه الله - في قصة إسلام الطفيل بن عمرو - رضي
الله عنه - عن عثمان بن الحويرث عن صالح بن كيسان أن الطفيل بن عمرو - رضي
الله عنه - قال : كنت رجلاً شاعراً سيداً في قومي ، فقدمت مكة ، فمشيت إلى
رجال قريش ، فقالوا : إنك امرؤ شاعر سيد ، وإنا قد خشينا أن يلقاك هذا
الرجل ، فيصيبك ببعض حديثه ، وإنما حديثه كالسحر ، فاحذره أن يدخل عليك
وعلى قومك ما أدخل علينا ، فإنه فرق بين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين
المرء وابنه ، فوالله ما زالوا يحدثوني شأنه ، وينهوني أن أسمع منه حتى قلت :
والله لا أدخل المسجد إلا وأنا سادُّ أذني ، قال : فعمدت إلى أذني ، فحشوتها
كرسفاً ، ثم غدوت إلى المسجد ، فإذا برسول الله ﷺ قائماً في المسجد ، فقممت
قريباً منه ، وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله فقلت في نفسي : والله إن هذا
للعجز ، وإني امرؤ ثبت ، ما تخفى علي الأمور حسنها وقبيحها ، والله لأسمع
منه ، فإن كان أمره رشداً أخذت منه ، وإلا اجتنبته ، فنزعت الكرسفة ، فلم أسمع
قط كلاماً أحسن من كلام يتكلم به ، فقلت : يا سبحان الله ! ما سمعت كالיום
لفظاً أحسن ولا أجمل منه ، فلما انصرف تبعته ، فدخلت معه بيته فقلت : يا
محمد ! إن قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأخبرته بما قالوا ، وقد أبى الله
إلا أن أسمعني منك ما تقول ، وقد وقع في نفسي أنه حق ، فاعرض علي دينك ،
فعرض علي الإسلام ، فأسلمت ، ثم قلت : إني أرجع إلى دوس ، وأنا فيهم
مطاع ، وأدعوهم إلى الإسلام لعل الله أن يهديهم ، فادع الله أن يجعل لي آية
قال : «اللهم اجعل له آية تعينه» فخرجت حتى أشرفت على ثنية قومي ، وأبى

هناك شيخ كبير ، وامرأتي وولدي ، فلما علوت الثنية ، وضع الله بين عيني نوراً كالشهاب يتراءاه الحاضر في ظلمة الليل ، وأنا منهبط من الثنية ، فقلت : اللهم في غير وجهي فياني أخشى أن يظنوا أنها مثلة لفراق دينهم ، فتحول فوق في رأس سوطي ، فلقد رأيتني أسير على بعيري إليهم ، وإنه على رأس سوطي كأنه قنديل معلق ، قال : فأتاني أبي فقلت : إليك عني ، فلست منك ولست مني ، قال : وما ذاك؟ قلت : إنني أسلمت واتبعت دين محمد ، فقال : أي بني ! ديني دينك ، وكذلك أمي ، فأسلما . . .» (١) .

ثانياً : هجرة الطفيل - رضي الله عنه - :

بعد عودة الطفيل بن عمرو - رضي الله عنه - من مكة إلى أرض قومه حمل مسؤولية الدعوة إلى الله ، فدعا أباه وأمه وأهله ، ثم انتقل إلى عشيرته ، وأهل دوس جميعاً ، بلا كلل ولا ملل ، مخلصاً في دعوته ، صابراً محتسباً ، إلا أن دوساً أبت الإسلام ، وأستعصت عليه ، ونأت عنه ، فلم يستجب له سوى أهله وأبي هريرة - رضي الله عنهم - فخرج مهاجراً إلى مكة ، والتقى بالنبى ﷺ ، وشكا إليه دوساً ، وإبطاءهم عن هذا الدين الحق .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال : إن دوساً قد هلكت عصت ، وأبت فادع الله عليهم ، فقال : «اللهم اهد دوساً واثت بهم» (٢) .

(١) ابن عبد البر - الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٢٢٣-٢٢٥ .

وانظر :

: الذهبي - سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٤٥-٣٤٦ .

: ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٤٦١-٤٦٢ .

(٢) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي ج ٥ / ص ١٤٤ رقم ٤٣٩٢ (ك ٦٤٤ ب ٧٦ ح ٤٣٩٢) .

وعن جابر - رضي الله عنه - أن الطفيل بن عمرو الدوسي - رضي الله عنه - أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة - قال : حصن كان لدوس في الجاهلية - فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار ، فلما هاجر النبي ﷺ هاجر إليه الطفيل بن عمرو الدوسي ، وهاجر معه رجل من قومه ، فاجتوا المدينة ، فمرض فجزع فأخذ مشاقص له فقطع بها براحمه ، فشخبت يده حتى مات ، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه فرآه وهيئته حسنة ورآه مغطياً يديه ، فقال له : ما صنع بك ربك ؟ فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ . فقال : مالي أراك مغطياً يديك ؟ قال : قيل لي : لن نصلح منك ما أفسدت . فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « اللهم وليديه فاغفر » (١) .

وقد عاد الطفيل - رضي الله عنه - إلى أرضه وقومه ، وأقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الله ، وخلال هذه الفترة بدأت مرحلة الإذن بالقتال ، ففاتته بدر وأحد والخندق .

ثم هاجر - رضي الله عنه - إلى المدينة مع ثمانين أو تسعين بيتاً من دوس ، وظل ملازماً للرسول ﷺ ، وبعثه بعد الفتح إلى ذي الكفين - صنم لعمر بن حممة - فخرج إليه فأحرقه ، قال ابن سعد - رحمه الله - : « لما أراد رسول الله ﷺ السير إلى الطائف بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي يهدمه ، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف ، فخرج سريعاً إلى قومه فهدم ذا الكفين ، وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني خشيت النار في فؤادكا

قال : وانحدر معه من قومه أربعمئة سراعاً فوافوا النبي ﷺ بالطائف بعد

(١) سبقت الإشارة إلى تخريج هذا الحديث في هذا البحث ص ٢٥ .

مقدمه بأربعة أيام» (١) . ثم قدم على النبي ﷺ وأقام معه حتى قبض ﷺ .
وقد استشهد - رضي الله عنه - في حروب الردة باليمامة (٢) .

ومما سبق يتضح أن الطفيل بن عمرو الدوسي - رضي الله عنه - من السابقين
الأوليين إلى الإسلام والهجرة إلى النبي ﷺ ومن أوائل الدعاة الذين تحملوا
مسؤولية الدعوة إلى الله قبل الهجرة النبوية وبعدها .

-
- (١) ابن سعد - الطبقات الكبرى مرجع سابق ج ٢ / ١٥٧ .
محمد بن يوسف الصالحي - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد مرجع سابق ج ٦ / ص ٣٢٠ .
(٢) ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٣٦-٣٧ .
وانظر : ابن سعد - الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٥٣ .
الذهبي - سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٤٦ .
ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٢١٧-٢١٨ .
ابن عبد البر - الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٢٢١ .
ابن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مرجع سابق ج ٣ / ٤٦٢ .

المطلب الثالث : هجرة عمرو بن عبسة السُّلمي - رضي الله عنه - .

سيكون الحديث - إن شاء الله - في هذا المطلب عن عدد من القضايا المهمة التي لها علاقة بالموضوع وهي على النحو التالي :

أولاً : نشأة عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - وإسلامه .

ثانياً : هجرة عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - .

وتفصيل ذلك في النقاط التالية :

أولاً : نشأة عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - وإسلامه :

فهو « عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عتاب بن امرئ القيس ، أبو نجيح السُّلمي البجلي » (١) .

ويعد عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، فعن جبير بن نفير قال : كان أبو ذر الغفاري ، وعمرو بن عبسة كلاهما يقول : لقد رأيتني ربع الإسلام مع رسول الله - ﷺ - ، لم يسلم قبلي إلا النبي ﷺ وأبو بكر وبلال - كلاهما - حتى لا يدري متى أسلم الآخر » (٢) .

(١) الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، کتاب معرفة الصحابة ج ٣ / ص ٧١٤ رقم ٦٥٨٢ وسكت عنه الذهبي في التلخيص .

وانظر : ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٥ .

ابن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٧٤٨ .

الذهبي - سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٤٥٦ .

(٢) الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ، کتاب معرفة الصحابة ج ٣ / ص ٣٨٤ رقم ٥٤٥٨ قال عنه :

حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وانظر : ابن حجر - الإصابة في تمييز الصحابة ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٦ .

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال عمرو بن عبسة السلمي : كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة ، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً ، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جراءً عليه قومه ، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة ، فقلت له : ما أنت ، قال : أنا نبي ، فقلت : وما نبي ؟ قال : أرسلني الله ، فقلت : وبأي شيء أرسلك ؟ قال : أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء ، فقلت له : فمن معك على هذا ؟ قال : حر وعبد ، قال : ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به فقلت : إني متبعك ، قال : إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ، ألا ترى حالي وحال الناس ، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني . (١) .

وقد عاد - رضي الله عنه - بعد إسلامه إلى أرضه وقومه ، وأقام بها منتظراً هجرة الرسول ﷺ .

ثانياً : هجرة عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - :

بعد أن هاجر الرسول ﷺ وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم - من مكة إلى المدينة التي اختارها الله تعالى قاعدة للإسلام ونقطة انطلاق للدعوة ، هاجر إليه عمرو بن عبسة السلمي - رضي الله عنه - بعد مضي بدر وأحد والخندق .

فعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال : قال عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - : « . . فذهبت إلى أهلي ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكنت في أهلي ، فجعلت أتخبر الأخبار ، وأسأل الناس حين قدم المدينة ، حتى قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة ، فقلت : ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة ؟ »

(١) الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب إسلام عمرو بن عبسة ج ١ / ص ٥٦٩ رقم ٨٣٢ (ك٦ ب ٥٢ ح ٨٣٢) .

فقالوا: الناس إليه سراع ، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك ، فقدمت المدينة فدخلت عليه ، فقلت يا رسول الله : أتعرفني ، قال : نعم ، أنت الذي لقيتني بمكة ، قال : فقلت : بلى ، فقلت : يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة . . . » (١) .

وبعد هجرته - رضي الله عنه - سكن المدينة ، وأقام بها ملازمًا لرسول الله ﷺ ، ومؤازرًا له ، ومساهمًا بدوره في نصرته الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية .

روى عنه من الصحابة : عبد الله بن مسعود ، وأبو أمامة الباهلي ، وسهل ابن سعد الساعدي ، ومن التابعين : أبو إدريس الخولاني ، وسليم بن عامر ، وكثير بن مرة ، وعدي بن أرطاة ، وجبير بن نفير وغيرهم (٢) .

ومما سبق يتضح سابقه عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - في الإسلام ، وحرصه على ملازمة النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة .

(١) الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب إسلام عمرو بن عبسة ج ١ / ص

٥٦٩ - ٥٧١ رقم ٨٣٢ (ك ٦ ب ٥٢ ح ٨٣٢)

(٢) ابن الأثير - أسد الغاية في معرفة الصحابة ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٧٤٩ .

وانظر : الذهبي - سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٤٥٧ .

: ابن عبد البر - الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٤٩٢ .

المبحث الثالث

آثار هجرة السلف الصالح

لقد كان لهجرة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - آثارها ونتائجها على الدعوة الإسلامية ، وعلى المهاجرين ، ولعل أهم تلك الآثار تبدو فيما يلي :

أولاً : أثر هجرة السلف الصالح على الدعوة الإسلامية :

إن من أبرز آثار الهجرة على الدعوة الإسلامية ما يلي :

١ - الإعلان عن دعوة النبي ﷺ ، والتعريف بها خارج الجزيرة العربية ، وما تأمر به ، وتنهى عنه ، عقيدة ، وشريعة ، ومنهج حياة .

ومما يؤكد ذلك من الشواهد ما جاء في الحوار الذي دار بين المهاجرين الأولين - رضوان الله عليهم - وبين النجاشي ملك الحبشة .

قالت أم سلمة - رضي الله عنها - فيما رواه الإمام أحمد - رحمه الله : « قال جعفر - رضي الله عنه - : أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، يأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به واتبعناه على ما جاء به ، فعبدنا الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، فصدقناه ، وأمانه ، واتبعناه ، على ما جاء

به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمانا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، ولما قهرونا وظلمونا ، وشقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك ، واخترناك على من سواك ، ورجبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك « (١) .

٢ - دعوة النصارى إلى الإسلام ، وبيان موقف الدعوة الإسلامية من رسول الله عيسى عليه الصلاة والسلام (٢) ، وقد أثمرت تلك الدعوة بدخول طائفة منهم في الإسلام متأثرين بما رأوا وسمعوا من مهاجري الحبشة ، وقد قدموا في السنة السابعة من الهجرة مع جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأصحابه إلى المدينة فاستقبلهم رسول الله ﷺ ، وقام بإكرامهم (٣) .

٣ - الإعلام عن دعوة النبي ﷺ داخل الجزيرة العربية بين القبائل «إذ ذاع بين العرب أن جماعة من مكة قد فروا إلى الحبشة بدين جديد تلقوه عن محمد - ﷺ - فكان هذا بمثابة دعوة - وإعلام - عن الإسلام « (٤) .

(١) سبقت الإشارة إلى تخريج هذا الحديث في هذا البحث ص ٣٤ .

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك في حوار المهاجرين مع النجاشي ملك الحبشة . ص ١٦٦ - ١٦٩ .

(٣) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٣ / ص ٧٨ .

(٤) علي إبراهيم حسن - التاريخ الإسلامي العام ط ١ [القاهرة : مكتبة النهضة ١٩٥٣م] ص ٢١٩ .

ثانياً : أثر هجرة السلف الصالح على المدعوين :

إن من أبرز الآثار لتلك الهجرات على المدعوين ما يلي :

١ - أمان المسلمين المهاجرين من الأذى والفتنة في الدين حيث وجد أولئك المكان الآمن بعد الهجرة في الحبشة والمدينة .

وقد جاء في حديث أم سلمة السابق : « لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي ، أمانا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه وقال : اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي (والسيوم الآمنون) من سبكم غرم فما أحب أن لي ديراً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم . . . » (١) .

٢ - المحافظة على المؤمنين الدعاة :

كما بينا سابقاً ، لما رأى النبي ﷺ ما نزل بأصحابه من توالي الأذى والفتنة في الدين من كفار قريش مع عدم قدرته ﷺ على دفع الأذى عنهم ، أمرهم بالخروج إلى الحبشة ؛ لأن ملكها آنذاك كان رجلاً صالحاً ، يحسن الجوار ، ولا يظلم بأرضه أحد ، وقال لهم : « إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه » (٢) .

فكانت الهجرة والإيواء إلى أرض آمنة هي الوسيلة الوحيدة للمحافظة على المؤمنين الدعاة في تلك الفترة من عمر الدعوة الإسلامية المباركة .

٣ - مساهمة المهاجرين في الدعوة إلى الله نشرًا وتبليغًا بالقول والعمل ، والجهاد بعد الهجرة ، ومشاركتهم في قيام المجتمع الإسلامي الأول بالمدينة المنورة .

(١) سبقت الإشارة إلى هذا فيما سبق من هذا البحث ص ٣٤ ، ١٦٩ .

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا فيما سبق ص ٣٤ .

ومن الشواهد التي تؤكد ذلك في هجرة المهاجرين الأولين إلى الحبشة قيام جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالدعوة عن طريق دعوة ملك الحبشة إلى الإسلام في حوار مع المهاجرين ، وكان من ثمرات تلك الدعوة إسلام النجاشي - رضي الله عنه - الذي قال بعد إسلامه : «أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب ، وإن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ، وإن العيان ليس بأشقى من الخبر عنه ، ولكن أعواني من الحبش قليل ، فأنظرنني حتى أكثر الأعوان ، وألين القلوب» (١) .

كما مكنت هجرة المهاجرين إلى المدينة الدعوة من الصحابة - رضوان الله عليهم - من استكمال جهودهم ، والاتصال بالناس (الأوس - الخزرج - اليهود - القبائل) لنشر الدعوة الإسلامية ، والانطلاق بها إلى الغاية التي خرجوا مهاجرين من أجلها .

٤ - تحطم آمال المشركين ، وتلاشي مساعيهم في التأثير على المسلمين حين الهجرة رغم ما استخدموا من وسائل لإعادة المهاجرين من الحبشة ، أو منع المهاجرين من الهجرة إلى المدينة ، فلم يحققوا أي مكسب غير الخيبة والخسران والفشل ، وقد برزت على واقع الأحداث قوة إيمان المهاجرين ، إذ صبر المهاجرون في تلك الفترة - في مكة - على الباطل ، وخرجوا مهاجرين مضحين بأموالهم وأزواجهم وأوطانهم ، في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دينه ، رغم شدة

(١) عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي - الروض الأنف تقديم وتعليق عبد الرؤوف سعد ج ٣ ط (ب . ت) [بيروت : دار الفكر (د . ن)] ص ٣٠٤ .

وانظر : ابن هشام - السيرة النبوية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٦٦ .

الظروف والأحوال التي تمر بها الدعوة وأتباعها ، مما يدل على قوة إيمانهم ،
وتوكلهم على ربهم ، وتجردهم ، الأمر الذي جعلهم يستهينون بكل العقبات
والمعوقات ويقبلون التحديات .

٥ - ثبوت الأجر للمهاجرين بعد الهجرة (١) .

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٢١-٢٨ .

الباب الثالث الهجرة في العصر الحديث

الفصل الأول : أسباب الهجرة في العصر الحديث
ومعوقاتها .

الفصل الثاني: المفاهيم الخاطئة للهجرة في العصر
الحديث وتقويمها .

الفصل الثالث: الآثار الدعوية للهجرة في العصر
الحديث.

الفصل الأول

المبحث الأول : أسباب الهجرة في العصر الحديث .

المطلب الأول: هجرة المسلمين من الأندلس.

المطلب الثاني: هجرة المسلمين التار.

المبحث الثاني : معوقات الهجرة في العصر الحديث .

المطلب الأول: المعوقات الداخلية.

المطلب الثاني: المعوقات الخارجية.

المبحث الأول : أسباب الهجرة في العصر الحديث

لعل من المفيد قبل الحديث عن أسباب هجرة المسلمين في العصر الحديث أن أشير إلى بداية تاريخ العصر الحديث ، فلقد جرت محاولات كثيرة لتقسيم التاريخ وتحديد بداية التاريخ الحديث ، وجرى اختلاف وتمايز بينها ، ومن أهمها اصطلاح المؤرخين على اتخاذ سقوط الأندلس سنة ٨٩٧هـ (١٤٩٢م) بداية للعصر الحديث^(١) .

وقد تعددت أسباب الهجرة في العصر الحديث ، واختلفت اتجاهات الباحثين حيالها ، وإن كانت معظم الأسباب متشابهة ، وإذا ما تعرضنا إلى الأسباب الحقيقية التي دفعت بالمسلمين إلى الهجرة ، وجدنا أنها لا تختلف إلا من ناحية طابعها العام من عصر إلى عصر .

ولا شك أن السبب الرئيس ، والعامل المشترك ، والقوة المحركة لهجرة المسلمين ، هو ما يعترضهم في بلادهم من الأذى المادي والمعنوي مما يدفعهم إلى الخروج من أوطانهم ، والاتجاه إلى بلاد المسلمين الأخرى التي تتوافر فيها عوامل الأمن والحرية .

ولعل من أبرز صور الهجرة في العصر الحديث :-

١- هجرة المسلمين من الأندلس بعد سقوطها سنة (٨٩٧هـ - ١٤٩٢م) .

(١) د/ عبداللطيف الحميد - موقف الدولة العثمانية تجاه مأساة المسلمين في الأندلس ط [الرياض :

العيكان للطباعة والنشر ١٤١٤هـ] ص ٩ .

٢- هجرة المسلمين التتار (١) من بلادهم ، بعد سقوطها سنة
(٩٦٠ هـ - ١٥٥٥ م) .

ويمكن تفصيل ذلك كله في المطالب التالية :

(١) وأعني بهم مسلمي التتار في جمهورية تتاريا ، وتترالفلجا في القرم .

المطلب الأول : هجرة المسلمين من الأندلس

بعد سنوات قليلة من سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس سنة (٨٩٧هـ- ١٤٩٢م) انعدمت حرية الدعوة ، وبدأت حركة الاضطهاد للمسلمين ، ودخلت الدعوة الإسلامية عهداً جديداً صعباً هو عهد المجابهة ، والقمع ، والاضطهاد أمام العداوة الصريحة من النصارى الإسبان للمسلمين ، وكل ما يتصل بالإسلام من أسماء وتراث وعادات ، والذي أخذ يتزايد تدريجياً مما اضطر أعداداً كبيرة منهم إلى الفرار بدينهم والهجرة من الأندلس . " إنه منذ استولى فرديناند على غرناطة سنة (٨٩٧هـ ١٤٩٢م) كان الأحرار يطلبون إليه بإلحاح أن يعمل على سحق طائفة محمد - ﷺ - في إسبانيا " (١) .

وقد استمرت عمليات الهجرة طوال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) .

وقد تعددت صور الاضطهاد في الأندلس ومن أبرزها مايلي :

أولاً : فرض التصير على المسلمين :

لم تمض بضعة أعوام على معاهدة غرناطة (٢) حتى نكث النصارى العهود

(١) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ط٤ [القاهرة : مكتبة الخانجي ١٤٠٨هـ] ص ٣١٣ .

(٢) انظر بنود هذه المعاهدة عند :

أحمد بن محمد المقرئ التلمساني - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج٦ ط (ب . ت) [بيروت : دار الكتاب العربي (د . ن)] ص ٢٧٧ .

والمواثيق ، وبدأوا في نشر النصرانية وتنصير المسلمين .

قال المقرَّبُ - رحمه الله : " ثم إن النصارى نكثوا العهد، ونقضوا الشروط عروة عروة إلى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة " (١) .

ومن أجل تنفيذ سياسة تنصير المسلمين، فقد قرَّب الملك الكاثوليكيان - فرديناند وإيزابيلا - مجموعة من الأحيار والرهبان ليعملوا على تنصير المسلمين، وقاد الكاردينال خميس الذي أسندت إليه مهمة تنصير المسلمين حملة اضطهاد عنيفة تحمل المسلمين على ترك دينهم واعتناق النصرانية (٢) .

وقد بدأ الكاردينال خميس محاولاته لتنصير المسلمين بأساليب اللين والإغراء، لكن هذه المحاولات والجهود لم تثمر، ولم تسفر عن نتائج تذكر،

= وانظر : د/ عبد الرحمن الحجي - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ط ١ [القاهرة: دار الإصلاح ١٤٠٣هـ] ص ٥٥٣ .

(١) أحمد بن محمد المقرَّب التلمساني - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ٦، مرجع سابق، ج ٦/ ص ٢٧٩ .

وانظر : - د/ عبدالرحمن الحجي - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، مرجع سابق ص ٥٧١ .

: د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مرجع سابق ص ٣٢٠ .

: د/ حسين يوسف دوايدر - المسلمون المدحون في الأندلس ط ١ [القاهرة: مطبعة الحسن الإسلامية ١٤١٤هـ] ص ٣٢ .

(٢) د/ محمد عبده حاملة - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ط ١ [عمان: الجامعة الأردنية ١٤٠٠هـ] ص ٦٠-٦١ .

وانظر : د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مرجع سابق ص ٣١٥ .

وباءت بالفشل (١).

ثم تابعت الدولة والكنيسة سياسة التنصير ، فدعت المسلمين إلى التنصر بالإكراه والعنف والقوة بعد فشل أساليب اللين والإغراء .

قال المقرَّب - رحمه الله - : " ثم بعد ذلك دعاهم - أي ملك قشتالة - إلى التنصر ، وأكرههم عليه وذلك في سنة أربع وتسعمائة ، فدخلوا في دينهم كرهاً " (٢) وقال أيضاً :

- " إن القنسيين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا للكفر قهراً " (٣) .

وقد اتخذت مرحلة التنصير القسري للمسلمين بعض الوسائل لحمل المسلمين على التنصر ومن ذلك :

(١) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣١٤ .

وانظر : د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدخنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣١ .

(٢) أحمد بن محمد المقرَّب التلمساني - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، مرجع سابق ج ٦ / ص ٢٧٩ .

وانظر : د/ محمد عبد الله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٢٠ .
: د/ عبد الرحمن الحجري - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، مرجع سابق ص ٥٧٠ .

: د/ حسن يوسف دويدار - المسلمون المدخنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣٣ .

(٣) أحمد بن محمد المقرَّب التلمساني - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، مرجع سابق ج ٦ / ص ٢٧٩ .

وانظر : د/ عبد الرحمن الحجري - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، مرجع سابق ص ٥٧١ - ٥٧٢ .

١- تعميم جميع المسلمين في غرناطة بالقوة في الفترة ٩٠٥-٩٠٧هـ
(١٥٠٠-١٥٠١م) (١).

٢- الضغط بالوعد والوعيد على وجهاء وفقهاء المسلمين في غرناطة ليتحولوا
إلى النصرانية (٢).

٣- إعفاء المسلمين المنتصرين من الضرائب والغرامات (٣).

٤- أخذ أطفال المسلمين الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٥-١٢ سنة ليتربوا
تربية خاصة في المعاهد المسيحية (٤).

٥- محاولة القضاء على اللغة العربية؛ لضمان نجاح مهمتهم في تحويل
المسلمين إلى النصرانية، فقام الكاردينال خميس في سبيل ذلك بإحراق وإتلاف

(١) د/ محمد عبده حتامه - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين، مرجع سابق
ص ٦٦.

وانظر: د/ أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس ط ٢ [بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر
١٤٠٠هـ] ص ١٥٨.

د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مرجع سابق ص ٣١٨.
د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها، ط ١ [الدوحة:
مطابع مؤسسه الخليج للنشر والطباعة ١٤١٢هـ] ص ٤٠.

(٢) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مرجع سابق ص ٣١٥.
وانظر: د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها، مرجع
سابق ص ٣٩.

(٣) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مرجع سابق ص ٣١٩-٣٢٠.

(٤) د/ محمد عبده حتامه - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين، مرجع
سابق ص ٦٠.

جميع الكتب العربية وإحراقها ، في ساحة باب الرملة (١) .
وقد تركزت حركة التنصير في حي البيازين ، أحد أحياء غرناطة الذي يقطنه المسلمون (٢) ، ثم عم التنصير سائر أنحاء إسبانيا .

قال المقرئ - رحمه الله : " تعرفنا من غير طريق ، وعلى لسان غير فريق أن قطر الأندلس طرق أهله خطب لم يجد في سالف الدهر ، وذلك أنهم أكرهوا على القتل إن لم يقع منهم النطق بما يقتضي في الظاهر الكفر ، ولم يقبل منهم الأسر ، وكان الابتداء في ذلك من أهل غرناطة ، وخصوصاً أهل واسطتها لقلة الناس ، وكونهم من الرعية الدهماء ، ومع عدم العصبية بسبب اختلاف الأجناس ، وعلم النصارى بأن من بقي بها من المسلمين إنما هم أسارى في أيديهم ، وعيال عليهم ، وبعد أن انتزعوا منهم الأسلحة والمعازل ، وعثوا فيهم بالخروج والجلاء ، فلم يبق من المسلمين طائل ، ونقض اللعين طاغية النصارى عهوده ، ونشر بمحض الغدر بنوده " (٣) .

وقد استمرت حركة التنصير القسري حتى أصدرت السلطات الإسبانية سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٤م) قراراً يؤكد إجبار كل مسلم أن يختار بين التنصير أو الهجرة والرحيل ، ومن لم ينفذه فمصيره الاسترقاق مدى الحياة (٤) .

(١) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣١٦ .
وانظر : د/ أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس ، مرجع سابق ص ١٥٧ .
د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص ٤٠ .

(٢) محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣١٥-٣١٦ .
(٣) محمد بن أحمد المقرئ التلمساني - أزهار الرياض في أخبار عباس ح اط (ب . ت) [الرباط : إحياء التراث الاسلامي ١٣٩٨هـ] ص ٦٩ .

وانظر : د/ محمد عبد الله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين مرجع سابق ص ٣٢١ .
(٤) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٥١ .
وانظر :- د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٤١ .
د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص ٤٢-٤٣ .

وبسبب هذه الإجراءات والاضطهادات لم يكن هيناً على كل مسلم أن يتخلى عن دينه : " لم تكن مصيبة المسلمين في سقوط غرناطة بأشد وقعاً على نفوسهم من إجبارهم على تغيير عقيدتهم التي ضحوا في سبيلها بأخر قطرة من دمائهم " (١) .

كما امتنع كثير من المسلمين عن التنصر، وأعلنوا الجهاد في سبيل الله، فقاتلهم النصارى حتى أخذوهم عنوة : " فجمع ملك الروم عليهم جموعه، وأحاط بهم من كل مكان حتى أخذهم عنوة بعد قتال شديد ، فقتل رجالهم، وسبى نساءهم وصبيانهم وأموالهم ، ونصرهم واستعبدهم " (٢) .

وقد استمرت جهود الدولة والكنيسة في تنصير المسلمين، وتالت الأوامر الملكية في سبيل ذلك حتى أصدرت الدولة الإسبانية قرارها سنة ١٠١٨ هـ (١٦٠٩م) بطرد المسلمين خارج إسبانيا بعد يأسها من تنصيرهم .

ثانياً : تحويل مساجد المسلمين إلى كنائس :

توالت عمليات الاضطهاد للإسلام والمسلمين ، وواصل الكفار محاولاتهم التي تهدف للقضاء على الإسلام والمسلمين، فقاموا بتحويل مساجد المسلمين في الأندلس إلى كنائس ؛ لما يعلمونه من دور المساجد في المحافظة على عقيدة المسلمين وهويتهم ، ومن ذلك :

١ - تحويل مسجد الطيبين في غرناطة إلى كنيسة :

(١) د/ محمد عبده حاملة - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ، مرجع سابق ص ٦٠ .

(٢) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٢٥ .
وانظر - : د/ عبدالرحمن الحجبي - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، مرجع سابق ص ٥٧٣ .

ففي اليوم المخصص لدخول الملكين الكاثوليكين لغرناطة نزل الملكان إلى جامع الطيبين ، وهو أحد المساجد الرئيسة فيها ، فاستوليا عليه ، وأمر بتحويله إلى كنيسة^(١) .

٢- تحويل جامع البيازين في غرناطة إلى كنيسة سميت باسم « سان سلفادور»^(٢) .

٣ - تحويل مسجد غرناطة الجامع إلى كنيسة غرناطة العظمى في عهد الإمبراطور شارلكان الذي أمر بتحويل جميع المساجد الباقية في إسبانيا إلى كنائس^(٣) .

كما منعت السلطات الإسبانية المسلمين من الأذان في المساجد ، وجعلت فيها النواقيس والصلبان^(٤) .

ثالثاً : منع المسلمين من أداء شعائر الدين :

ومن صور الاضطهاد في الدين التي واجهت المسلمين في الأندلس منعهم من أداء شعائر الدين الإسلامي ، فقد أصدرت السلطات الإسبانية قراراً في سنة ٩٠٧هـ

(١) د/ أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس ، مرجع سابق ص ١٥١ .

(٢) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣١٦ .

(٣) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٥٢-٣٥١ .

وانظر : د/ حسين يوسف دوايدر - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٤١ .

د/ محمد عبده حتاملة - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ، مرجع سابق

ص ٨٦

(٤) د/ عبدالرحمن الحجري - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، مرجع سابق

ص ٥٧٠-٥٧١ .

وانظر : - د/ حسين يوسف دوايدر - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٤١ .

(١٥٠١ م) يقضي بمنع المسلمين من ممارسة دينهم وعقيدتهم (١) .

وفي سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٥ م) صدر أمر ملكي يقضي بمنع ممارسة الدين الإسلامي منعاً تاماً ونهائياً في بلنسية، وكلف الأمر السادة الإقطاعيين باتخاذ التدابير تحت طائلة مصادرة أموال المسلمين (٢) .

كما أصدرت الملكة خوانا المعتوهة الذي امتد حكمها من ٩١٠هـ - ٩٢٢هـ (١٥٠٤م - ١٥١٦م) مرسوماً ينص على معاقبة كل مسلم يضبط متلبساً بممارسة شعائر الإسلام بأشد العقوبات التي تصل إلى المصادرة (٣) .

واستمرت السلطات الإسبانية في منع المسلمين من أداء شعائر دينهم ، وأناطت بمحاكم التفتيش - فيما بعد - التجسس على المسلمين ، وملاحقتهم ومحاكمة المتهمين منهم ، وتوقيع العقوبة عليهم .

قال المقرئ رحمه الله : " ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله خفية ، ويصلي ، فشدد عليهم النصارى في البحث حتى إنهم أحرقوا كثيراً منهم بسبب ذلك " (٤) .

(١) د/ عبدالرحمن علي الحجري - محاكم التفتيش الغاشمة وأساليبها ط ١ [الكويت : مكتبة المنار الإسلامية ١٤٠٧هـ] ص ٣٢ .

(٢) أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس ، مرجع سابق ص ١٦٧ .

(٣) د/ حسين يوسف دوايدر - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣٩ .

(٤) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب مرجع سابق ج ٦ / ص ٢٧٩ وانظر :- د/ عبدالرحمن الحجري - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، مرجع سابق ص ٥٧٢ .

- : د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٢٥ .

- : د/ حسين يوسف دوايدر - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٢١ .

ولقد أثار بقاء المسلمين في الأندلس بعد سقوطها حفيظة السلطات النصرانية على المسلمين بسبب تمسكهم بدينهم ، ورفضهم لسياسة التنصير ، فلم تمض بضعة سنوات حتى أخذت سياسة الإرهاب والاضطهاد تظهر بجلاء تجاه المسلمين عن قصد مسبق ، وتدبير مخطط ، رغم ما قطعت به معاهدة غرناطة من احترام للمسلمين ودينهم ونظامهم .

قال المقرئ - رحمه الله : " فلما رأى الطاغية أن الناس قد تركوا الجواز ، وعزموا على الاستيطان والمقام في الوطن ، أخذ في نقض الشروط التي اشترط عليه المسلمون أول مرة ، ولم يزل ينقضها فصلاً فصلاً ، إلى أن نقضها جميعاً ، وزالت حرمة المسلمين ، وأدركهم الهوان والذلة ، واستطال عليهم النصارى " (١) .

ومن أبرز ما واجه المسلمين إضافة لما سبق :

١ - إلزام المسلمين المقيمين في غرناطة - وغيرها - بالسكن في أحياء خاصة بهم على نحو ما كان متبعاً مع اليهود في أوروبا في العصور الوسطى ؛ ليسهل عليهم السيطرة على المسلمين والقضاء عليهم ، وقد نفذ النصارى هذا المشروع عقب حركة التنصير الشاملة ، وكان عدد المسلمين الذين بقوا في غرناطة يبلغ في ذلك الحين أربعين ألفاً (٢) .

(١) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني - أزهار الرياض في أخبار عياض ، مرجع سابق ص ٦٨ .
وانظر - د/ عبدالرحمن الحجبي - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، مرجع سابق ص ٥٧٠ .

- د/ حسين يوسف دوايدر - المسلمون المدخنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣٢-٣٣ .
(٢) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٢٦ . =

٢- منع المسلمين المقيمين من بيع أملاكهم ، أو اختراق أراضي مملكة غرناطة ، ومن خالف ذلك عوقب بالمصادرة والموت ، الأمر الذي جعل كثيراً من المسلمين يظهرون الكفر حتى يتمكنوا من بيع أملاكهم ، ثم يهاجرون إلى المغرب ، فيعودون مرة أخرى إلى الإسلام (١) .

٣- تحريم حمل السلاح على المسلمين :

إذ أصدرت السلطات الإسبانية في سنة ٩٠٧هـ (١٥٠١م) مرسوماً يقضي بتحريم إحراز السلاح علناً أو سراً على المسلمين ، وكانت عقوبة إحرازه الحبس والمصادرة ، ومن تكرر منه فعل ذلك كانت عقوبته الإعدام ، وقد تكرر صدوره بعد ذلك في ظروف ، وعصور مختلفة ، وكان يطبق على المسلمين بصرامة كلما حدث من المسلمين ثورة أو مقاومة تخشى السلطات عواقبها (٢) .

٤- فرض الضرائب الباهظة على ممتلكات المسلمين . (٣) .

-
- = وانظر - : د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٢٠ .
- (١) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٢٧ .
- وانظر - : د/ أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس ، مرجع سابق ص ١٥٩ .
- : د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٢١ .
- (٢) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٢٦ .
- وانظر - : د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٢١ .
- : د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص ٤٠ .
- (٣) د/ محمد عبده حاتم - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ، مرجع سابق ص ٦٣ .

٥- مصادرة أراضي المسلمين ، وتوزيعها على النبلاء الإسبان (١) .

٦- طرد المسلمين ونفيهم :

واصل النصارى الإسبان سياستهم التعسفية ضد المسلمين ، فأصدر الملكان الكاثوليكيان وبتأثير من الكنيسة سنة ٩٠٧هـ (١٥٠١م) ، أمراً ملكياً " أنه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة ، فإنه يحظر وجود المسلمين فيها ، فإذا كان بعضهم فإنه يحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم خوفاً من أن يتأخر تنصيرهم ، أو بأولئك الذي نُصروا لئلا يفسدوا إيمانهم ، ويعاقب المخالفون بالموت أو مصادرة الأموال " (٢) .

وقد استمرت هذه المرحلة عدة سنوات ، ولم تنته إلا في سنة ١٥٧٤م ، وطرد من المسلمين ثمانون ألفاً . (٣) .

كما أصدر الملكان الكاثوليكيان سنة ٩٠٨هـ (١٥٠٢م) مرسوماً يقضي بطرد المسلمين الذين يرفضون التنصير خارج الأندلس ، ومما جاء فيه " إن من واجب أهل قشتالة طرد أعداء الدين المسيحي من مملكة قشتالة وليون ، وألا يبقى ذكر

= وانظر :- د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣١٩-٣٢٠ .

:- د/ عبدالرحمن الحججي - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة - مرجع سابق ص ٥٧٠

:- د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص ٤٢ .

(١) د/ محمد عبده ختامه - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ، مرجع سابق ص ٦٣-٦٤ .

(٢) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٢٤

(٣) د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص ٤٧-٤٨ .

فوق سنة الرابعة عشرة ، ولا أنثى فوق سن الثانية عشرة بعد شهر إبريل إلا إذا
تنصروا ، وسمح للمسلمين ببيع عقاراتهم وممتلكاتهم إذا رغبوا في الرحيل ،
وحظر عليهم إخراج الأموال في نفس الوقت ، وتم تنفيذ ذلك بكل دقة من قبل
السلطات الأسبانية" (١) .

وعلى الرغم من صدور تلك القرارات التعسفية ضد المسلمين إلا أنه لم يتقرر
طردهم نهائياً من الأندلس إلا في عهد الملك فيليب الثالث سنة ١٦٠٩م بعد أن قرر
مجلس الدولة الإسبانية في سنة ١١٠٧هـ (١٦٠٨م) بالإجماع طرد المسلمين
نهائياً من الأندلس ، ومعاقبة المسلمين الباقين بالموت مما أدى إلى هجرة الآلاف من
المسلمين .

ومما يجدر الإشارة إليه أنه حينما شاع خبر قرب طرد المسلمين ونفيهم أخذ
المسلمون القادرون يبيعون ممتلكاتهم ويهاجرون في ظروف أفضل من الطرد
القسري الإجباري ، فعبرت أعداد كبيرة منهم إلى المغرب العربي ، واستمرت
تلك العملية مدة ست سنوات (٢) .

(١) د . حسين يوسف دوايدر - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣١-٣٢ .
(٢) د . محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٩٦-٤٠٩ .
وانظر - : د . علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع
سابق ص ٥٥-٥٦ .
- : د . أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس ، مرجع سابق ص ٢٦٦-٢٧٣ .

٧- محاكم التفتيش :

لم يواجه المسلمون في الأندلس - رغم ما تعرضوا له من اضطهاد في مواقف كثيرة - كالذي واجهوه في محاكم التفتيش على أيدي النصارى الإسبان .

وقد ظهرت محاكم التفتيش بعد فشل محاولات النصارى في تنصير المسلمين ، إذ أصدر البابا بول الثالث مرسوماً يقضي بإنشاء محاكم التفتيش ، ومما جاء فيه : " إن أعمال المجمع المسكوني تتعثر بينما تزداد موجة الهرطقة ، فأصبح الموقف يقضي باتخاذ إجراءات معينة " (١) ، وكان قضاة محاكم التفتيش من رجال الدين ، ويتمتع أعضاؤها الرسميون بحصانة كاملة ، وكان نشاط محاكم التفتيش موجهاً إلى المسلمين في الأندلس . " وقد طبقت سياسة محاكم هذا الديوان منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي إلى أن اختفت هذه المحاكم في القرن التاسع عشر للميلاد ، وكانت أحكامها تعتبر نهائية غير قابلة للاعتراض ، وتنفذ بشدة وحزم ، دون نقاش أو جدال أو مراجعة في جميع المراحل التي تسبق صدور الأحكام على المتهم ، كما كانت هذه المحاكم تعقد جلساتها ، فتتلى الأحكام الصادرة بحق المتهمين الذين قبض عليهم ؛ لينالوا العقاب الجسدي دون هوادة أو رحمة ، وكانت أحكام هذه المحاكم وعقوباتها تتراوح ما بين مصادرة الممتلكات ، ودفع غرامات باهظة إلى جانب التعذيب الجسدي ، وفي أغلب الأحيان الموت حرقاً " (٢) .

(١) أ.د/ عبد العزيز محمد الشناوي - أوروبا في مطلع القرون الحديثة ج ١ ط ٤ [القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠م] ص ٥٧٦ .

(٢) د/ محمد عبده حتملة - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ، مرجع سابق ص ٦٧ .

وانظر - : د/ علي المتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص ٤١-٤٢ .

وقد وزعت محاكم التفتيش قائمة مفصلة لكل المظاهر التي تنبئ عن اتباع الإسلام من قبل المسلمين ، وطلبت من المواطنين النصارى الإسبان الإخبار عنها لمحاكمة أصحابها ، وقد نشر د . محمد عنان ترجمة لوثيقة أصدرها ديوان التحقيق (محاكم التفتيش) جاء فيها : « يعتبر الموريسكي أو العربي المتنصر قد عاد إلى الإسلام ، إذ امتدح دين محمد ، أو قال يسوع المسيح ليس إلهاً ، وليس إلا رسولاً ، أو أن صفات العذراء أو اسمها لا تناسب أمه ، ويجب على كل نصراني أن يبلغ عن ذلك ، ويجب عليه أيضاً أن يبلغ عما إذا كان قد رأى أو سمع بأن أحداً من الموريسكيين يباشر بعض العادات الإسلامية ، ومنها أن يأكل اللحم في يوم الجمعة وهو يعتقد أن ذلك مباح ، وأن يحتفل يوم الجمعة بأن يرتدي ثياباً أنظف من ثيابه العادية ، أو يستقبل المشرق قائلاً بسم الله ، أو يوثق أرجل الماشية قبل ذبحها ، أو يرفض أكل تلك التي لم تذبح أو ذبحتها ، امرأة ، أو يختن أولاده ، أو يسميهم بأسماء عربية ، أو يعرب عن رغبته في اتباع العادة ، أو يقول : إنه يجب ألا يعتقد إلا في الله ، وفي رسوله محمد ، أو يقسم بأيمان القرآن ، أو يصوم رمضان ، ويتصدق خلاله ، ولا يأكل ولا يشرب إلا عند الغروب ، أو يتناول الطعام قبل الفجر ، أو يمتنع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، أو يقوم بالوضوء والصلاة ، بأن يوجه وجهه نحو المشرق ويركع ويسجد ويتلو سوراً من القرآن ، أو أن يتزوج طبقاً لرسوم الشريعة الإسلامية . . . أو أن يستعمل النساء الخضاب في أيديهن وشعورهن ، أو يتبع قواعد محمد الخمس ، أو يلمس بيديه على رؤوس أولاده أو غيرهم تنفيذاً لهذه القواعد ، أو يغسل الموتى ويكفّنهم في أثواب جديدة ، أو يدفنهم في أرض بكر ، أو يغطي قبورهم بالأغصان الخضراء . . . » الخ (١) .

وبهذه الشبهات كان المسلمون يساقون قسراً إلى محاكم التفتيش لمحاكمتهم ،

(١) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، مرجع سابق ص ٣٤٥-٣٤٦ .

وتوقيع العقوبة الشديدة عليهم ، ومن الشواهد التي تؤكد ذلك :

" أنه في فترة ثماني سنوات تم إحراق ٧٠٠ شخص ، وحكم بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة ، وأحكام أخرى على خمسة آلاف شخص ، وفي مدينة أبله تم حرق أكثر من ١١٣ شخصاً ، بين عامي ٩٠٤هـ - ٩٠٧هـ (١٤٩٩ و ١٥٠٢م) ، وفي مدينة طليطلة مثل أمام المحكمة ألف ومائتا شخص حكم عليهم بالإعدام في جلسته واحدة ، وكان يطلب فيها إلى الشخص إما الإيمان بالمسيحية وترك الإسلام ، أو الموت حرقاً" (١) .

ومع ذلك كله فقد ظل المسلمون متمسكين بدينهم ، وصبروا على أذى الكفار واحتملوه إيماناً واحتساباً .

وقد ظلت محاكم التفتيش في الأندلس تتابع المسلمين المقيمين فيما بعد ، وقد ذكر د/ علي المنتصر الكتاني نقلاً عن الرحالة الإنجليزي سونيبورن : أن محاكم التفتيش تابعت سنة ١٧٢٤م بقايا الأمة الأندلسية ، وطردت منهم جماعة ، ونقل أيضاً عن رحالة آخر قوله : «إن محاكم التفتيش في غرناطة حكمت في سنة ١٧٢٦م على ما لا يقل عن ١٨٠٠ شخص (٣٦٠ عائلة) بتهمة اتباع الإسلام سراً" .

وفي سنة ١٧٦٩م تلقى ديوان التفتيش معلومات عن وجود مسجد سري في مدينة قرطاجنة مما يدل على وجود تنظيمات سرية للمسلمين إلى هذا التاريخ (٢) .

(١) د/ محمد عبده حاملة - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ، مرجع سابق ص ٦٧-٦٨ .

(٢) د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص ٦٦

وانظر للاستزادة : - د/ عبدالرحمن الحججي - محاكم التفتيش الغاشمة وأساليبها ، مرجع سابق ص ٣٤-٣٦ .

كما قامت السلطات الإسبانية بمحاولات عديدة للقضاء على الإسلام ،
وطمس كل أثر له في حياة المسلمين ، ولجأت إلى استخدام مختلف أساليب
التهديد والوعيد لتحقيق أمانها ، وطمس هوية المسلمين ، فأصدرت القوانين
الجائرة في حق المسلمين ومن أبرزها :

- ١- تدمير الثقافة الإسلامية عن طريق حرق الكتب الدينية للمسلمين ،
ومطالبة المسلمين فيما بعد بتسليم ما لديهم من الكتب والمصاحف لفحصها ،
وإحراق ماله أدنى صلة بالإسلام منها ، ومعاقبة المخالف بمصادرة الممتلكات (١) .
- ٢- منع المسلمين من ارتداء الملابس العربية التقليدية ، وإلزامهم بارتداء
الملابس الإسبانية ، وإعطاء النساء المسلمات مدة سنتين للتخلص من الحجاب
وغطاء الرأس ، وإجبارهن على ارتداء المعاطف والقبعات الإسبانية (٢) .
- ٣- منع المسلمين من ذبح الحيوانات حسب الشريعة الإسلامية ، وعهد إلى
الجزائريين النصارى مسؤولية ذلك (٣) .

-
- (١) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣١٦ .
وانظر - : د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدخنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣٨ .
- : د/ أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس ، مرجع سابق ص ١٥٧ .
- : د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق
ص ٤٠
- : د/ محمد عبده حتاملة - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ، مرجع سابق
ص ٨٦
(٢) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٥٨ .
وانظر - : د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدخنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣٧ .
- : د/ عبدالرحمن الحججي - محاكم التفتيش الفاشمة وأساليبها ، مرجع سابق ص ٣٢-٣٣ .
- : د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق
ص ٤٢
- : د/ أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس ، مرجع سابق ص ١٧٨-١٧٩ .
(٣) د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدخنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣٧ .

٤- إلزام المسلمين بالزواج من النصرانيات ، وإجبار المسلمات على الزواج من النصارى ، وإقامة الحفلات حسب الطريقة الإسبانية^(١) .

٥- منع المسلمين من توزيع الميراث حسب الشريعة الإسلامية ، وتوزيعها حسب الأعراف والقوانين الإسبانية ، ومعاقبة المسلم المخالف بالسجن والمصادرة^(٢) .

٦- منع المسلمين المقيمين خارج غرناطة بزيارة إخوانهم في غرناطة خوفاً من اجتماعهم واشتعال الثورات ، ومعاقبة المخالف بالإحراق حياً ، ومصادرة ممتلكاته^(٣) .

٧- إلزام المسلمين بعدم بيع ممتلكاتهم إلا بعد الحصول على إذن من السلطات الإسبانية ، ومعاقبة المخالف بالإحراق والمصادرة .

وقد أصدرت السلطات فيما بعد مرسوماً يمنع المسلمين من بيع ممتلكاتهم خشية فرارهم إلى بلاد المغرب^(٤) .

٨- منع المسلمين من استخدام اللغة العربية ، وإجبارهم على تعلم اللغة القشتالية ، فقد أصدر الملك فرناندو سنة ٩٠٧هـ (١٥٠١م) مرسوماً يحظر فيه على المسلمين استخدام اللغة العربية .

= وانظر - : د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص ٤٢ .

وانظر - : د/ محمد عبده حتملة - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ، مرجع سابق ص ٧٣ .

(١) د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣٧ .

وانظر - : د/ محمد عبده حتملة - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ، مرجع سابق ص ٧٣ .

(٢) د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٥٧ .

(٣) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٢٦-٣٢٧ .

وانظر - : د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣٧ .

- : د/ محمد عبده حتملة - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ، مرجع سابق ص ١٠٦ .

(٤) د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣٨ . =

كما أصدرت السلطات الإسبانية في سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٦م) مرسوماً يحرم فيه على المسلمين التخاطب باللغة العربية ، ولكنه لم ينفذ بشدة .

وفي سنة ٩٧٤هـ (١٥٦٦م) أمرت الدولة الإسبانية بتجديده ، وتحريم اللغة العربية ، وقضى القانون بمنح المسلمين ثلاثة أعوام لتعلم اللغة القشتالية ، وعدم السماح بعد ذلك بالتكلم أو الكتابة أو القراءة أو التخاطب بالعربية (١) .

٩- منع المسلمين من التعامل أو التعاون مع المسلمين في شمال أفريقيا ، وعقوبة المخالف لذلك الإعدام (٢) .

١٠- مطالبة المسلمين بترك أبواب بيوتهم مفتوحة أيام الجمع والأعياد لمراقبة ما يجري فيها (٣) .

١١- تعميم الألقاب النصرانية على المسلمين ، ومنع المسلمين من التسمي بأسماء عربية مما جعل المسلمين يستخدمون الأسماء النصرانية علانية ، والأسماء العربية سراً (٤) .

١٢- الحكم على المسلم الذي يرفض النصرانية والهجرة بالرق مدى الحياة (٥) .

وانظر: د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٢٧ .

(١) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٥٨ .

وانظر: - د/ أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس ، مرجع سابق ص ١٧٩ .

- د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص ٤٠ .

- د/ محمد عبده حتملة - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين ، مرجع سابق ص ٨٦ .

(٢) د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٣٩ .

(٣) د/ أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس ، مرجع سابق ص ١٧٩ .

وانظر: - د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٦٠ .

(٤) د/ أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس ، مرجع سابق ص ١٧٩ .

وانظر: - د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٦٠ .

(٥) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٥١ .

وانظر: - د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص ٤٢-٤٣ .

- د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدجنون في الأندلس ، مرجع سابق ص ٤١ .

هذا بجانب الصور الأخرى من الاضطهادات مما سبق ذكره في محاكم التفتيش (١) .

ونتيجة لما سبق من الاضطهادات المختلفة (المادية - المعنوية) ومن المعاملة السيئة التي واجهت المسلمين في الأندلس ، فقد هاجر آلاف من المسلمين من الأندلس فراراً بدينهم من الاضطهاد ، واتجهت الغالبية الكبرى منهم إلى شمال أفريقيا ، واستقروا في بلاد المغرب العربي ، كما هاجر بعض المسلمين إلى البلاد الإسلامية الأخرى عن طريق فرنسا .

قال المقرئ - رحمه الله - : " إلى أن كان إخراج النصارى إياهم (المسلمين) بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشرة وألف فخرجت ألوف بفاس ، وألوف آخر بتلمسان من وهران ، وجمهورهم خرج بتونس ، . . . ووصل جماعة إلى القسطنطينية العظمى ، وإلى مصر والشام وغيرها من بلاد الإسلام " (٢) .

وبعد أن استقر هؤلاء المهاجرون في البلاد الإسلامية أخذوا يمارسون مختلف الأنشطة التي كانوا يمارسونها في موطنهم الأصلي بالأندلس .

(١) سبق الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٢٠٨ - وما بعدها .

(٢) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، مرجع سابق ج ٦ / ص ٢٨٠ .

- د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٤٠٧ - ٤٠٨ .

د/ عبد الرحمن الحجى - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، مرجع سابق ص ٥٧٢ .

المطلب الثاني : هجرة المسلمين التتار

شهدت البلاد الإسلامية في روسيا منذ القرن السادس عشر الميلادي موجات هجرات دائمة ، وإرهاباً لم يسبق له مثيل في التاريخ الحديث .

وقد بذلت الإمبراطورية القيصرية بعد سقوط قازان عاصمة التتار سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٥م) جهوداً متواصلة على امتداد القرون الماضية للقضاء على الدعوة الإسلامية ومحاربة المسلمين ، واستمر على العمل بها الشيوعيون ومن بعدهم حتى الآن .

وحيث إن السياسة القيصرية والشيوعية في البلاد الإسلامية تكاد أن تكون واحدة في ظروفها ووسائلها فسنكتفي بنموذج واحد ، وهو الاستعمار الروسي لبلاد المسلمين التتار ، وأثر ذلك على الدعوة الإسلامية وأتباعها .

لقد عدت الحكومات القيصرية والشيوعية بلاد التتار الإسلامية من روسيا ، وعملت على تحويلها عن عقيدتها وهويتها الإسلامية ، وارتكبت في سبيل ذلك من الإرهاب والاضطهاد والجرائم الشيء الكثير .

ومن أبرز صور الاضطهاد في الدين التي تعرض لها المسلمون :

أولاً : فرض التنصير الإجباري على المسلمين في عهد القياصرة الروس :

بعد سقوط قازان سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٥) انتهج القياصرة سياسة تنصير المسلمين بالقوة ، باللجوء إلى الضغوط المتنوعة ، وقاموا بحملات تنصيرية نشطة على يد أسقف قازان . " فما كاد - القياصرة الروس - يستولون على قازان حتى انتهجوا سياسة التنصير الإجباري ، وقد دشّن هذه السياسة أسقف قازان سنة

١٥٥٥ م ، واستمرت من بعده حتى مطلع القرن السابع عشر " (١) . وكانت سياسة التنصير تتمثل في :

١- إخضاع المسلمين للردة بالقوة : " أما بالنسبة للجماهير المسلمة فقد أخضعت للصحرة الديني ، فمنذ عام ٩٦٣هـ (١٥٥٥ م) اعتمدت - السياسة القيصرية - سياسة ردة بالقوة " (٢) .

وقد نتج عن سياسة القياصرة تلك أن تكونت جماعة من مسلمي التتر المرتدين عرفت باسم " كرياشن " وكان عددهم أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة (٣) .

وقد توقفت حركة التنصير مؤقتاً ، ولكنها عادت من جديد في عهد بطرس الأكبر أشد عنفاً ، واستمرت من بعده حتى ولاية كاترين الثانية (١١٧٦-١٢١١هـ) وفي عهدها توقفت حملة التنصير ، وأغلقت مدارسه (٤) .

(١) شانتال لمرييه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، ترجمة إحسان حقي ط ١ [بيروت : مؤسسة الرسالة ١٣٩٧] ص ٣٦ .

وانظر : شانتال لمرييه والكسندر بينيغسن - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ، ترجمة عبدالقادر ضللي ط ١ [بيروت : دار الفكر المعاصر ١٤٠٩هـ] ص ١٧ .

(٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ج ١ ط ١ [جده : دار الشروق ١٤٠٣هـ] ص ٨٧-٨٨ .

(٣) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ج ١/ ص ٨٨ .

وانظر : - شانتال لمرييه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٣٦ .

- شانتال لمرييه والكسندر بينيغسن - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ١٧ .

(٤) شانتال لمرييه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٣٦-٣٧ .

٢- فتح المدارس التنصيرية في قازان واستراخان :

« تجددت حملة التنصير ضد المسلمين في عهد إسكندر الثاني ، ولكن بطرق مرنة ، وأكثر فاعلية في اجتذاب المسلمين إلى المسيحية بالثقافة والدعاية ، إذ قام المبشر الأرثوذكسي نيقولا المنسكي ووضع سنة ١٨٦٣م سياسة تعليمية جديدة ، وذلك بأن أنشأ داراً للمعلمين خاصة بالتر المتنصرين ، تدرس فيها العلوم باللغة التترية ، وترمي هذه المدرسة إلى تنشئة نخبة مثقفة بالثقافة الأوربية تؤخذ من المرتدين فقط ، على أن يقوموا بعد ذلك من غير أن يقطعوا صلتهم بماضيهم بأعمال التبشير لدى إخوانهم الذين ظلوا مسلمين " (١) .

٣- إعطاء امتيازات خاصة للمتنصرين :

وذلك بإعفائهم من الضرائب والخدمة العسكرية ، والمعاملة الحسنة حتى يغروا بقية المسلمين بأن يحذوا حذوهم ، وفي الوقت نفسه ازداد الضغط على المسلمين ، وأثقلوا بالضرائب الباهظة ، وأجبروا على أحسن الوظائف (٢) .

٤- القتل والإعدام لكل من يبدي مقاومه لحركة التنصير أو يخالف دين الكنيسة ، ولقد كانت سياسة إيفان الرهيب ومن بعده ، تجاه المسلمين وخاصة تثار الفولجا بالغة القسوة ، إذ كان القتل لكل من يبدي أدنى مقاومه لحركة التنصير بالقوة (٣) .

(١) شانتال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٣٧ .

(٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ٨٩ .

وانظر : شانتال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٣٦ .

(٣) د. محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ٨٨ .

وانظر : شانتال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٣٦ .

كما نص القانون الجنائي الروسي على عقوبات صارمة للذين يحددون عن دين الكنيسة الأرثوذكسية، ويعاقب كل من يثبت عليه تهمة التحول إلى الإسلام^(١).

٥ - خطف أبناء المسلمين من عوائلهم ، وتربيتهم في المدارس التنصيرية حتى ينشأوا على النصرانية الأرثوذكسية^(٢).

ثانياً- هدم مساجد المسلمين :

قامت السلطات القيصرية بعد دخول عاصمة التتار الإسلامية (قازان) سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٥م) بهدم مساجد المسلمين^(٣). " وفي الفترة ما بين ١٧٣٨-١٧٥٥م هدم الروس ٤١٨ مسجداً من أصل ٥٣٦ مسجداً كانت موجودة في بلاد قازان " ^(٤).

وبعد دخول القوات الشيوعية قازان عاصمة التتار الإسلامية قاموا بهدم سبعمائة مسجد من مساجدها الشهيرة وتحويلها إلى مواخير وإسطبلات^(٥).

كما قامت السلطات الشيوعية بعد دخولها القرم الإسلامية بتحطيم وهدم

(١) محمود شاكر - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ط٣ [بيروت : المكتب الإسلامي ١٤٠٢هـ] ص ٥٤

وانظر : شانتال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٣٦

- د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ٨٨ .

(٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ٨٨ .

(٣) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ٨٧ .

(٤) شانتال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٣٦ .

(٥) محمود شاكر - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، مرجع سابق ص ٥٧ .

- : وانظر د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق

ج ١/ ص ١٠٩ .

١٥٥٨ مسجداً من مساجد المسلمين ، وتحويلها إلى اسطبلات ونواد ومتاحف ما عدا بضعة مساجد أبقيت للعبرة حتى المساجد الأثرية مثل جامع حان ، وجامع اصمانيو وجامع طوزيازار هدمت وحطمت أو حولت إلى متاحف . (١)

وقد أقفلت معظم مساجد المسلمين في البلاد الإسلامية في روسيا التي يربو عددها على ٢٦ ألف مسجد عام ١٣٣١هـ (١٩١٢م) ولم يبق منها سوى ألف مسجد سنة ١٩٤١م (٢) .

ثالثاً - اضطهاد الدعاة والعلماء :

ومن صور الاضطهاد في الدين وأشكال الأذى المادي تجاه المسلمين في بلاد التتار، تلك الحملات الشرسة ضد الدعاة وعلماء الدين الإسلامي ، وقد تمثل ذلك في :-

١- الطرد والإبعاد :

فقد كانت سياسة الروس تجاه الدعاة والعلماء بالغة القسوة ، إذ قامت بطرد العلماء والدعاة المسلمين من قازان بعد سقوطها (٣) .

٢- القتل والإبادة :

فقد انتهجت السياسة الروسية سياسة القتل والإبادة تجاه علماء الدين ودعاته ، " وإذا ما قسنا حالة الإسلام الرسمي بعدد علماء الدين الذين يعملون تحت سلطة المراكز الدينية ، فإنها تبدو حالة مظلمة جداً ، إذ كان يوجد قبل سنة ١٩١٧م مالا يقل عن ٤٥٣٣٩ عالماً ، فجاءت أعاصير الإبادة التي عصفت ما بين سنتي

(١) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ - مرجع سابق ج ١/ ص ١٢٤ .

وانظر:- محمود شاكر - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، مرجع سابق ص ٧١ .

(٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ١٣٤ .

(٣) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ٨٧ .

سنتي ١٣٥١-١٣٥٧هـ (١٩٣٢ و ١٩٣٨م) وقضت على أكثرهم ، ولم ينشر بعد ذلك أي رقم رسمي عن عدد من يوجد " (١) .

إضافة إلى ذلك فقد قامت السلطات الشيوعية بملاحقة العلماء والدعاة المسلمين في سنة ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) ، وما بعدها بتهمه عرقلة مسيرة الثورة ، متهمه العلماء بالعمالة والتجسس لحساب الدول الأجنبية الأخرى (٢) .

رابعاً - منع المسلمين من ممارسة الفروض الدينية :

ومن صور الاضطهاد المعنوي الذي واجهه المسلمون التتار وغيرهم في البلاد الإسلامية الأخرى هو منعهم من ممارسة فرائض دينهم ، إذ لا يوجد ركن من أركان الإسلام يؤدي بانتظام في البلاد الإسلامية في العهد الشيوعي :

١- التلطف بالشهادة: فإن المسلمين يقولونها بالسر، ولا يستطيعون المجاهرة بها .

٢- الصلاة: لم يستطع كثير من المسلمين المحافظة عليها إلا في الأرياف النائية .

٣- الزكاة: لم يبق من هذه الفريضة إلا ما يتبرع به المسلمون طوعاً لصيانة أماكن العبادة .

٤- الصيام: على الرغم من أنه لم يمنع رسمياً ، إلا أن ما وضعته السلطات الشيوعية في سبيل المسلمين من صعاب جعلت صيامه مستحيلاً بسبب صرامة نظام العمل ، والضغط النفسي نتيجة الحملات المعادية .

٥- الحج: فقد أصبح منذ سنة ١٩٢٠م مستحيلاً ، وقد سمحت السلطات الشيوعية سنة ١٣٦٤هـ - (١٩٤٥م) بالحج الإفرادي ، ولذا فإن من حج منذ سنة

(١) شانثال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٢٧٣ .

(٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ - مرجع سابق ج ١/ ص ١٣٥ .

وانظر : شانثال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ١٥٦ .

١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) إلى وقت قريب قد لا يزيد على مائة شخص (١) .

خامساً - إلغاء المؤسسات الإسلامية عن طريق :

١- إلغاء المدارس الإسلامية والتعليم الديني :

فقد ألغيت المدارس الإسلامية ، وأغلقت جميع المدارس القرآنية في عهد كاترين الثانية (١١٧٦-١٢١١هـ) (٢) .

وفي سنة ١٩١٧م وقبل الثورة الشيوعية كان عدد المدارس الإسلامية في البلاد الإسلامية ما لا يقل عن ١٥٠٠٠ ألف مدرسة إسلامية (٣) .

كما قام الشيوعيون الروس بعد دخولهم قازان بتحطيم وتحويل آلاف المدارس الإسلامية إلى مدارس لتعليم الشيوعية ، وحولوا جامعة قازان الإسلامية التي كان يدرس بها سبعة آلاف طالب إلى جامعة شيوعية (٤) .

وفي سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) اختفى في بلاد التتار الإسلامية ما بقي بها من المدارس الإسلامية ، ولم يبق في القرم وبلاد البشكير سوى ٢٥٠ مدرسة ، وفي سنة ١٩٢٨م قررت السلطات الشيوعية إلغاء المدارس الإسلامية وإغلاقها جميعاً (٥) .

ومنذ سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) لم يسمح إلا بمدرسة واحدة من المدارس الإسلامية في بخارى ، وهي مدرسة (ميري عرب) (٦) .

وأما التعليم الديني فقد كان الشيوعيون يعادونه عداءً شديداً ، فتم منعه في المناطق الإسلامية عموماً ، إذ صدر مرسوم في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٨م يمنع في المادة التاسعة منه التعليم الديني (٧) .

-
- (١) شانتال لمرييه والكسندر بينغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٢٧٨-٢٨١ . وانظر - : د/ عبدالله عزام - السرطان الأحمر ط ١ [عمان : مكتبة الأقصى ١٤٠٠هـ] ص ٨٣ .
 - (٢) شانتال لمرييه والكسندر بينغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٣٦ .
 - (٣) شانتال لمرييه والكسندر بينغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٢٦ .
 - (٤) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١ / ص ١١٠ .
 - (٥) شانتال لمرييه والكسندر بينغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٢٣٥ .
 - (٦) وانظر : د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٣٤ .
 - (٧) شانتال لمرييه والكسندر بينغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٢٧١ .
 - (٧) شانتال لمرييه والكسندر بينغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٢٣٤ ، ٢٧١ .

٢ - إلغاء المحاكم الشرعية :

شن الشيوعيون الروس حملة شعواء تجاه الدين الإسلامي بعد تسلمهم زمام السلطة في روسيا ، وقاموا بإلغاء المحاكم الشرعية الإسلامية تدريجياً في المناطق الإسلامية .

وفي ٢١ أيلول سنة ١٩٢٧م صدر قرار اللجنة المركزية للسلطة الشيوعية يتضمن منع كل مساعدة مالية عن المحاكم الشرعية ، وسلبها كل صلاحية شرعية ، ولم تبق محكمة شرعية بعد ذلك في كل المناطق الإسلامية من الاتحاد السوفيتي (١) .

سادساً - الدعاية المستمرة ضد الإسلام :

قامت السلطات الشيوعية على مدى ستين عاماً أو تزيد بجهود عديدة ، وحملات دعائية قوية ضد الدعوة الإسلامية ، أدت هذه الحملات الدعائية الزائفة إلى محو الثقافة الإسلامية ، وطمس الهوية ، والفتنة في الدين ، ومحو الإسلام من صدور أبنائه ، وإيجاد أجيال ضائعة تائهة ، أو كافرة ملحدة لا علم لها بأمر العقيدة ، ولا صلة لها بالشرعية ، أو منهاج الحياة الإسلامية إلا ما شاء الله ، كما أدت إلى تشريب الناس المذهب الشيوعي ، وحمل الناس على الردة بالثقيف .

وقد بدأ الشيوعيون دعائهم ضد الإسلام بصورة لبقة ، قال بعض زعماء الشيوعية : " علينا أن نكافح الإسلام بطرق مختلفة ومتنوعة ؛ ولكن يشترط أن يكون كفاحنا مرناً ولبقاً بحيث نسلب المسلمين من دينهم من غير أن يشعروا بذلك " (٢) .

(١) شانتال لمريه والكسندر بينغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٢٣٣ .

وانظر د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٣٤ .

(٢) د/ إحسان حقي - المسلمون أمام التحدي العالمي ط ٥ [بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ] ص ٩٥ .

وانظر : - شانتال لمريه والكسندر بينغسن - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي مرجع سابق ١٦١ -

واتخذت الدعاية الإلحادية ضد الدين الإسلامي عدة أساليب منها :-

الأحاديث الإذاعية ، والأفلام السينمائية المعادية للدين ، والمتاحف ، والمعارض المتحركة والثابتة ، والمحاضرات ، والصحافة ، والنشر ، والقيام بزيارات للمسلمين في منازلهم لإجبارهم على ترك دينهم والاستماع لأقوالهم (١) .

ولم تتوقف الدعاية ضد الدعوة الإسلامية إلا في سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) مؤقتاً حينما قام ستالين بزيارة ومقابلة مفتي روسيا الأوربيه عبدالرحمن دولاييف في مقابل دعم المسلمين للمجهود الحربي السوفيتي ، واشتركهم القوي في صفوف الجيش الستاليني (٢) .

سابعاً- مصادرة الأوقاف الإسلامية :

لم تتوقف معاناة المسلمين في بلادهم من ويلات النصارى قبل الحكم الشيوعي وبعده ، إذ قامت السلطات القيصرية بمصادرة أوقاف المسلمين في بلاد التتار في عهد الإمبراطورة حنة (١١٥١-١١٦٩هـ) ، كما عمدت السلطات الشيوعية في سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) إلى تصفية الوقف الإسلامي نهائياً في البلاد الإسلامية ، فقامت بمصادرة أوقاف المدن والمساجد ، وفي سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) قضت الحكومة الشيوعية عملياً ونهائياً على المؤسسات الوقفية الكائنة في طول الاتحاد السوفيتي وعرضه (٣) .

(١) شانثال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٢٧٦ .

وانظر : د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ١٣٤-١٣٩ .

(٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ج ١/ ص ١٣٥ .

(٣) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ٨٩ .

وانظر : شانثال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٢٣٠ .

كما مارست الحكومات القيصرية ، والشيعوية جميع أساليب الإرهاب والاضطهاد ضد المسلمين في البلاد الإسلامية عموماً ، وضد التتار المسلمين خصوصاً ، وأدت أعمال القتل والتعذيب ، وسياسة الطرد والنفى ، ومصادرة الأراضي ، وإعلان الحروب التي تعرض لها المسلمون إلى هجرة الألوف من المسلمين نحو البلاد الإسلامية .

ومن أبرز صور الاضطهاد المادي والاقتصادي :

١- مصادرة أراضي المسلمين وتأميم ممتلكاتهم :

من صور الاضطهاد التي واجهت المسلمين التتار قيام الحكومات (القيصرية ، الشيوعية) بمصادرة أراضي المسلمين ، ومنحها للمهاجرين الروس ، دعماً لوجودهم ، ومحاربة للمسلمين في عيشتهم ومصدر رزقهم .

وقد واجه التتار في القرم حملات التنكيل والمصادرة من القيصرية الروس الذين صادروا أكثر من مائة مليون فدان ، وفي عهد الإمبراطورة كاترين (١١٧٦-١٢١١هـ) (١٧٦٢-١٧٩٦م) قامت بمصادرة مئات الألوف من أخصب أراضي تثار القرم ، وأعطتها للنبلاء الروس (١) .

كما هاجر من التتار في القرم في سنة ١٢٠٦هـ (١٧٩١م) مائة ألف إلى تركيا بعد أن صودرت أملاكهم وأراضيهم ، ولم تكتف الحكومات الروسية المتعاقبة بمصادرة أراضي المسلمين وطردتهم منها ؛ بل قامت كذلك بمصادرة جميع أملاك وأراضي الأوقاف الإسلامية ، واعتبارها ملكاً للدولة (٢) .

كما قامت السلطات الشيوعية بمصادرة معظم أراضي الأوقاف الشاسعة ، ففي عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) صادر ستالين ما تبقى من أراضي الأوقاف وجميع

(١) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ٥٥ .

(٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ٥٥ .

ممتلكاتها العقارية والمالية ، واعتبرها ملكاً للدولة الشيوعية (١) .

٢- الحروب :

إن ما ينتج عن الحروب من عنف ودمار وخراب من شأنه أن يدفع الناس المتضررين إلى الهجرة إلى المناطق الأكثر أمناً واستقراراً .

وقد دفعت الحروب والمجازر التي تعرض لها المسلمون التتار إلى حدوث هجرات مختلفة ، ففي عام ١٢٧٨هـ (١٨٦١م) واجه المسلمون في القرم حروباً شرسة أدت إلى فرار الآلاف من التتار إلى البلاد التركية (٢) .

وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى هاجرت أعداد كبيرة من التتار المسلمين ، وامتلات الشوارع التركية بالمهاجرين التتار الذين عُرفوا بالمهاجرين الروس (٣) .

ولا تزال الحروب من أهم الأسباب التي تدفع بالمسلمين إلى الهجرة ، ومن أهم المشاكل التي يعانها المسلمون في الوقت الحاضر ، ومن أبرز صور ذلك هجرة أعداد كبيرة من المسلمين في بلاد البوسنة والهرسك إلى البلاد الأخرى خوفاً على دينهم ، وبحثاً عن مكان آمن يستقرون فيه .

٣- الطرد والنفى :

بعد أن اجتاحت القوات القيصريّة بلاد المسلمين التتار ، وتم الاستيلاء عليها ، قاموا بطرد المسلمين من المدن المهمة فيها .

" لقد طرد المسلمون من المدن المهمة ، وشيدت قلاع في النقاط الإستراتيجية التي يقطنها الروس ، وهكذا أصبح السكان - المسلمون - في تلك المناطق أقلية

(١) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ١٣٤ .

(٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ٥٥ .

(٣) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ٥٦ .

صرفة يحدق بهم المستعمرون الروس " (١) .

وفي عهد الإمبراطورة كاترين سمحت للتتار بالعودة إلى قازان بعد أن شردوا منها في عهد إيفان الرهيب وحلفائه وذلك في عام ١١٨١هـ (١٧٦٨م) (٢) .

وفي عام ١٣١٩هـ (١٩٠١م) اضطر ٥٠ ألفاً من التتار في القرم إلى الهجرة في مواجهة سياسة الترويس التي اتبعتها حكومة نيقولا الثاني لتتار القرم (٣) .

واستمرت سياسة الطرد والنفي بعد سقوط القرم للقوات الشيوعية سنة ١٣٤١هـ بعد المجاعة ، فتم طرد أهل القرم من التتار ، وأحلت القوات الشيوعية في بلادهم الروس والبلغار والأوكرانيين " (٤) .

كما قامت السلطات الشيوعية بنفي ويطرد مليون ونصف من تتار القرم المسلمين ، وإخراجهم جميعاً من بلادهم ونفيهم إلى سيبيريا وذلك في سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) نتيجة لاستسلام الفيلق التتري القرمي للألمان (٥) .

وبناءً على هذه التهمة المختلقة بطش الشيوعيون بالجمهورية الإسلامية وشعبها وألغيت ، وضمت إلى جمهورية أوكرانيا ، وشرد الشعب التتري ، وأجبر على الهجرة الإجبارية إلى سيبيريا وأوزبكستان ، ومناطق آسيا الوسطى وغيرها ، " ولذا أصبح تاريخ الشعب التتري في القرم خلال ما يزيد على مائة عام عبارة عن سلسلة طويلة من الهجرة الجماعية اليائسة " (٦) .

(١) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١ / ص ٨٧ .
وانظر : شانتال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ١٧ .

(٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١ / ص ٥١ .
(٣) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١ / ص ٥٥ .
(٤) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٢٤ .
(٥) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٢٥ .
(٦) شانتال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣١ .

يقول رئيس منظمة اللاجئين القرميين " ظل كل فرد من شعب القرم في المناطق التي نفي إليها خاضعاً لمراقبة الشرطة ليلاً ونهاراً خلال عشر سنوات ، أما بعد هذه السنوات العشر فقد خففت هذه المراقبة بحيث سمحت السلطات السوفيتية بإمكان تغيير القرميين لأماكن إقامتهم وسكنهم بشرط لا يتعدى هذا حدود الولايات التي تم النفي إليها " (١) .

ولا يزال التتار في القرم يعانون من التشريد والاضطهاد، ولا يزالون يعانون من منعهم من العودة إلى وطنهم رغم ما صدر من مجلس السوفيت الأعلى الذي برأ التتار في القرم من تهمة التعاون مع النازيين الألمان في ٥ سبتمبر ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م (٢) .

ولا يزال هذا النوع: الطرد والنفي هو أقسى أنواع الهجرة ، بل إن عدد المهاجرين التتار الفارين من الاضطهاد العدواني الروسي يفوق نسبة كبيرة مجموع المهاجرين في البلاد الإسلامية الأخرى ، مما يكشف مدى المخاطر التي تحيط بالمسلمين في كل عصر التي تستهدف إزالتهم كأم وشعوب من بلادهم .

٤- الإبادة الجماعية للمسلمين :

واجه المسلمون التتار في القرم حروب إبادة، وحملات تطهير عقائدي وعرقي في آن واحد، مما أدى إلى تفرغ بلادهم من الإسلام والمسلمين لصالح أتباع العقائد الأخرى .

وقد قام القياصرة بعد سقوط البلاد الإسلامية في القرن التاسع الهجري

(١) د/ محمد حرب - الإسلام في آسيا الوسطى والبلقان ط٢ [بيروت : دار البشائر الإسلامية ١٤١٥هـ] ص ٩٢ .

(٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج١/ ص ١٢٥-١٢٦ .

بعمليات إبادة للشعوب المسلمة خصوصاً الشعب التتري ، وظل المسلمون يخضعون للحكم القيصري فترة طويلة من الزمن ، وبعد أن تحرروا من روسيا ، عادت القوات القيصرية واحتلوا شبه جزيرة القرم سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣م) ، وأقاموا مذبحه للتتار ، وشردوا في ذلك العام نصف مليون منهم (١) .

وتوالت عمليات الاضطهاد والابادة الجماعية للمسلمين ، فقد واجه المسلمون التتار في القرم حرب إبادة كبرى على أيدي القوات الشيوعية سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢م) بعد حصار لمدة عامين مما أدى إلى المجاعة الرهيبة التي أصيب بها أكثر من مليون ونصف قرمي مسلم ، مات منهم أكثر من مائة ألف حتى اضطر كثير من المسلمين لأكل الموتى والكلاب والقطط ، جاء في تقرير الرفيق كالينين المنشور في أزفستيا في ١٥ تموز سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢م) " أن أكل لحوم الأطفال بل والموتى لم يكن من الحوادث المستغربة أثناء تلك المجاعة " (٢) .

وقد انخفض عدد السكان التتار في القرم الذين أبيد أكثرهم بعد دخول القوات الروسية إلى أقل من نصف مليون في سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠م) (٣) .

وفي سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥م) وبعد نهاية حرب الروس مع الألمان أمر ستالين بقتل وطرده نصف مليون من التتار ، وإخراجهم جميعاً من بلادهم ، ونفيهم إلى سيبيريا ، في سياسة بربرية لم يسجل التاريخ الإنساني مثيلاً لها (٤) .

(١) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ١٢٠-١٢١ .

(٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ١٢٣ .

(٣) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ١٢٣ .

(٤) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١/ ص ١٢٥ .

اللغة الروسية، وإلزام المسلمين بتعلمها، وفرضها عليهم في جميع نواحي الحياة مما أدى إلى انفصال المسلمين عن لغة الإسلام التي استخدموها منذ أن عرفوا الإسلام.

كما قامت السلطات الشيوعية فيما بعد بمحاربة اللغة القومية للتتار حتى في المنفى في سيبيريا، إذ فرضت على المسلمين اللغة الروسية، أو اللغات الموجودة في تلك المناطق بالحرف الروسي، وذلك لقطع صلة التتار بماضيهم وانتمائهم لدينهم وأمتهم (١).

٨- قيام السلطات الروسية بهدم الثقافة الوطنية والقومية للمسلمين، إذ قامت بمصادرة المجلات والصحف التتارية، فقد كان عدد الجرائد حتى سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) ٢٠٨ جريدة باللغة التتارية، فهبطت في السنه ذاتها إلى ٧٩، كما هبطت في سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) إلى ٤٤، وظلت الصحف والمجلات في الهبوط حتى لم يبق في سنة ١٩٥٦م سوى ٣٨ صحيفة، وحل محل الجرائد والمجلات الإسلامية الجرائد والمجلات الروسية التي تصدر باللغة الروسية، وتحمل الفكرة الشيوعية (٢).

٩- تحريم تعليم الأطفال الدين، ومنع الصلاة أيام العمل، وحظر شهود الاحتفالات الدينية (٣).

١٠- عملت السلطات الروسية جاهدة للقضاء على الكيان التقليدي للأسرة

(١) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، مرجع سابق ج ١/ ص ٨٨، ص ١٢٦

وانظر :- شانتال لمرييه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي، مرجع سابق ص ٣١٧.

(٢) شانتال لمرييه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي، مرجع سابق ص ٢٠٣.

وانظر :- د/ إحسان حقي - المسلمون أمام التحدي العالمي، مرجع سابق ص ٩٢.

(٣) د/ عبدالقادر طاش - المسلمون في الاتحاد السوفيتي، مرجع سابق ص ٦٥.

المسلمة، وجعلها أسرة ضيقة كي يلحق المسلمون بالروس الشيوعيين اجتماعياً^(١).

١١- عزل المسلمين في بلاد التتار الإسلامية وغيرها عزلاً تاماً عن الاتصال بالعالم الإسلامي الخارجي، لاحتواء السكان وضمهم إلى الكيان الشيوعي ضمماً كاملاً^(٢).

ونتيجة للضغوط والاضطهادات المختلفة التي تعرض لها المسلمون التتار، والمواجهة الشرسة التي طوقتهم، وحملات الإبادة والإرهاب، فقد هاجر الآلاف منهم إلى تركيا والبلاد الإسلامية الأخرى، وتشتت بعضهم الآخر في سيبيريا وغيرها، وأصبح الإسلام في بلادهم (القرم) بلا مسلمين.

ويتضح مما سبق مدى العلاقة بين أوضاع المسلمين في الأندلس والتتار في القرم من خلال ما يلي:

١- أن اضطهاد الحكومات الروسية المتتالية للمسلمين التتار لا يختلف في طبيعته وأهدافه، ولا يقل قسوة وحقدًا عن اضطهاد النصارى الأسبان للمسلمين في الأندلس، إذ أن أعداء الإسلام هم منذ فجره وإلى أن تقوم الساعة، وإنما يختلف الأشخاص والأزمات والأمكنة.

٢- أن الاضطهاد في الدين لا يستهدف فقط محاربة ومحاصرة الإسلام والمسلمين، بل يستهدف التصفية المادية والمعنوية لهما.

٣- أن سوء الأوضاع الاجتماعية للمسلمين في الأندلس، وبلاد التتار الإسلامية، وانعدام الأمن، واستمرار حالة الاضطهاد شكلت أهم الأسباب التي أجبرت المسلمين فيهما على الهجرة.

(١) شانثال لمريه والكسندر بينيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي، مرجع سابق ص ٢٩١.

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ٢٢٩ وما بعدها.

المبحث الثاني

معوقات الهجرة

يواجه المسلمون في العصر الحديث - وفي كل عصر - الكثير من المعوقات في طريق الهجرة التي قد تعوق من مسيرها، وتثبط من همة المهاجر، وتصده عن غايته، وتوهن من عزيمته، وتبدد من جهده، بل ربما أقعدته عن السير في طريق الهجرة، فيقع مع القاعدين، ويصبح في المجتمع من اليائسين المعوقين، ويرجع ذلك إلى الظروف المختلفة التي يواجهها من يريد الهجرة، وقد تعود هذه المعوقات إلى المسلم المهاجر، وقد تكون خارجة عن إرادته، ومن تدبير أعدائه لإعاقة عن الهجرة.

أولاً: المراد بالمعوقات :

معنى المعوق في اللغة: قال ابن منظور - رحمه الله - : " عاقه عن الشيء يعوقه : صرفه وحبسه، ومنه التعويق والاعتياق، وذلك إذا أراد أمرأً فصرفه عنه صارف، وكذلك عوقه وتعوقه واعتاقه كله : صرفه وحبسه " . (١)

ويراد بالمعوقات - في هذا المبحث - العقبات التي تحول دون تحقيق أهداف الهجرة في حياة المسلم سواء أكانت مادية أم معنوية .

ثانياً: أقسام المعوقات :

يمكن للباحث أن يقسم المعوقات في الهجرة إلى قسمين :

١ - المعوقات الداخلية :

ويقصد بها : العقبات المعنوية التي تعترض المسلم وتحول دون تحقيق الأهداف التي يريد المسلم تحقيقها من وراء هجرته .

(١) ابن منظور - لسان العرب ، مادة (عوق) ، مرجع سابق ج ١٠ / ص ٢٧٩ .
وانظر : الفيروز ابادي - القاموس المحيط ، مادة (عوق) ، مرجع سابق ص ١١٧٩ .
د . ابراهيم مصطفى وآخرون - المعجم الوسيط ، مرجع سابق ج ٢ - ص ٦٣٧ .

٢- المعوقات الخارجية :

ويقصد بها : العقبات المادية التي تعترض المسلم وتحول دون تحقيقه لأهداف الهجرة .

وسأتحدث -إن شاء الله- عن أهم هذه العقبات - بإيجاز- في المطالب التالية :

المطلب الأول: المعوقات الداخلية للهجرة :

تعددت المعوقات الداخلية للهجرة، وتنوعت أساليبها، ولا شك أن لتلك المعوقات والعقبات أثرها السلبي على بقاء المسلمين في بلادهم، وترك الكثير منهم للهجرة الواجبة .

ومن أبرز المعوقات الداخلية للهجرة ما يلي :

أولاً: عدم القدرة على الهجرة :

ويرجع ذلك إلى :

١- الأعدار الشرعية^(١).

٢- مخاوف النفس المتنوعة : وهي تشمل :

أ- الخوف من خطر الهجرة .

ب- الخوف والقلق على الرزق بعد مغادرة الوطن .

ج- الضعف عن مواجهة متاعب الهجرة وآلام الطريق .

د- الخوف من القتل أو الموت .

هـ- صعوبة مفارقة البلاد والديار .

وقد جاءت الدعوة الإسلامية لتصحيح وتعالج مخاوف النفس البشرية بطرق

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٨٠ وما بعدها .

واقعية، ومن ضمن ذلك تحريك الدوافع والحوافز الإيمانية لدى الفرد المسلم ممن يريد الهجرة، فكان الترغيب في الهجرة، والترهيب من تركها، قال جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةَ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا، وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاجِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١) وقوله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٢)

وعن أبي شماسه المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت ثم ذكر الحديث . . . قال: " أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها " . (٣)

وعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال ص: " أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا: يا رسول الله ولم؟ قال: لا تراءى ناراهما " (٤)

ثانياً: المغريات المادية :

إن من أخطر معوقات (عقبات) الهجرة، وأعظمها ضرراً على المسلم، والتي

(١) سورة النساء الآيات (٩٧ - ١٠٠)

(٢) سورة النحل آية (٤١).

(٣) سبقت الإشارة إلى تخريج هذا الحديث ص: ٢٦.

(٤) سبقت الإشارة إلى تخريج هذا الحديث ص: ١٣.

تنأى به عن الهجرة، وتدفعه إلى التكاسل والتشاغل، والإخلاق إلى الأرض المغريات (المصالح) المادية المتنوعة، سواء أكانت متمثلة في المال، أم الجاه، أم المنصب أم الشهوات، أو نحو ذلك.

ولا شك أن لهذا المعوق الخطر أثره الكبير في حياة المسلم ممن يريد الهجرة، وتزداد خطورته على المسلم لاسيما إذا كان الإغراء لمن ليس له حصانة إيمانية يتقي بها.

فمتى ما قعدت بالإنسان شهواته، وحبسته مصالحه عن الهجرة، أو جذبته مغريات الحياة، ولم يكن له نصيب من الإيمان بالله، ومن اليقين الصادق، ومن الصبر ما يثبت، فإنه سرعان ما ينجرف وينقلب على عقبيه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١).

ثالثاً: افتقاد بعض المسلمين إلى الدافعية التي تجعلهم يقبلون على الهجرة، إما لضعف في إيمانهم، أو اتباعهم هوى أنفسهم، أو لمعاناتهم من تردي أحوالهم المادية، أو لانعدام شعورهم بالأمن، أو لأن ظروف الهجرة من بلادهم غير ملائمة، وفرصها غير مواتية، والعواقب غير محمودة من زيادة تسلط أعداء الله، ومن حدوث فتنة، أو ردة فعل لدى كثير من المسلمين.

ويحتاج المهاجر للتغلب على هذه المعوقات إلى مجاهدة النفس رغبة في طاعة

(١) سورة التوبة آية (٢٤).

الله وطمعاً في مرضاته ، ولا يكون ذلك إلا بالتجرد والإخلاص ، والعمل ابتغاء مرضاة الله تعالى ، والصبر ، قال ﷺ فيما رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه» (١) .

(١) سبقت الإشارة إلى تخريج هذا الحديث في هذا البحث ص ٩ .

المطلب الثاني: معوقات الهجرة الخارجية في العصر الحديث:

إذا كانت معوقات (عقبات) الهجرة الداخلية تؤثر على سلوك المهاجرين، فإن معوقات (عقبات) الهجرة الخارجية على نفس المستوى من الأهمية والخطورة نظراً لتعددتها، وتأثيرها البالغ على المهاجرين .

وسوف أستعرض -إن شاء الله- في هذا المطلب أبرز معوقات الهجرة الخارجية من خلال هجرة المسلمين من الأندلس .

لقد واجه المسلمون في الأندلس ألواناً من الاضطهاد، وأنواعاً عديدة من العقبات إبان هجرتهم لبلاد الإسلام، وتعرضوا لسلسلة متلاحقة من المحن والظروف القاسية، أوجدتها بل فرضتها الظروف والأوضاع السيئة التي تميزت بها بلادهم^(١) .

ويمكن تحديد أهم وأبرز معوقات الهجرة الخارجية فيما يلي :

أولاً: وضع العراقيل أمام المهاجرين، وفرض القيود على عمليات الهجرة.

ومن ذلك كما مر معنا قريباً :

أ - إلزام المسلمين المقيمين في غرناطة وغيرها بعد سقوط الأندلس بالسكن في أحياء وأماكن خاصة بهم^(٢) .

ب- تفريق وتشتيت المسلمين وتهجيرهم داخل الأندلس في السنوات الأولى لسقوط غرناطة^(٣) .

ج- منع المسلمين في غرناطة من النزوح والخروج إلى بلنسية التي كانت طريقاً للمهاجرين إلى البحر، ومن ثم إلى البلاد الإسلامية^(٤) .

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث في المبحث السابق ص ٢٠٤ .

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث في المبحث السابق ص ٢٠٥ .

(٣) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث في المبحث السابق ص ٢٠٥ .

(٤) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث في المبحث السابق ص ٢٠٥ .

د - تحريم هجرة المسلمين من أي الثغور إلا بترخيص ملكي نظير رسوم فادحة، وقد أصدرت السلطات الإسبانية في عام ١٥٠٢م مرسوماً يحرم فيه على ريان أية سفينة، وأي تاجر نقل المسلمين بدون ترخيص، وقد استمر العمل بذلك حتى جرى تهجير المسلمين من الأندلس في سنة ١٦٠٩م^(١).

هـ- إجبار المسلمين المهاجرين على ترك فئات من أولادهم في البلاد الإسبانية ممن تقل أعمارهم عن ثماني سنوات، ومنعهم من مغادرة الأندلس، وإبقائهم تحت رعاية أعدائهم، مما أدى إلى إعاقة بعض المسلمين عن الهجرة، وبقائهم في الأندلس بعد الطرد النهائي^(٢).

ثانياً: الاعتداء على المهاجرين ومصادرة ممتلكاتهم :

ومن معوقات هجرة المسلمين في الأندلس اعتداء الكفار عليهم، ونهب أموالهم، ومصادرة ممتلكاتهم، وتعرضهم أثناء الهجرة إلى السلب والنهب والقتل ومن ذلك :

١ - مصادرة أراضي المسلمين المهاجرين وأموالهم وإعطائها لنبلأ الإسبانية^(٣).

٢- فرض الضرائب وأجور المشرفين على السفر والهجرة على المهاجرين (نفقات الهجرة)^(٤).

(١) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مرجع سابق ص ٣٣٨.

(٢) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مرجع سابق ص ٣٩٧.

وانظر: د/ أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس، مرجع سابق ص ٢٧٠.

(٣) د/ أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس، مرجع سابق ص ٢٦٩-٢٧١.

(٤) د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها، مرجع سابق

٣- إخراج المسلمين من بلادهم دون أن يكون معهم شيء من أموالهم كالذهب والفضة، إذ حرم عليهم الكفار حمل الذهب والفضة والأشياء الممنوع تصديرها إلا ما يكفي نفقات الهجرة بالبر والبحر^(١).

٤ - سلب أموال المهاجرين وقتلهم: فقد أخذ الشعب الإسباني ينتظم في عصابات تقوم بمهاجمة قوافل المهاجرين في الطرقات، وتسلبهم ما معهم من قليل المتاع، وتقتل من تقتل منهم تحت سمع القوات المرافقة لهم وبصرها^(٢).

٥- قيام القراصنة بإغراق كثير من المسلمين المهاجرين في البحر، وسرقة أموالهم وخوف الكثير من المسلمين من الوقوع في أيدي القراصنة الأوروبيين مما أدى إلى إعاقة بعضهم عن الهجرة، وتفضيلهم للبقاء رغم الصعوبات^(٣).

ثالثاً: إقفال باب الهجرة في وجوه بعض المهاجرين:

ومن معوقات الهجرة التي واجهت المسلمين في الأندلس رغبة الكفار في استبقاء بعض العرب والمسلمين، إذ منعت السلطات الإسبانية بعض المسلمين من الهجرة بعد معارضة النبلاء الإسبان وأمراء الإقطاع، لما يلحق بهجرة هؤلاء المسلمين من الإضرار بمصالحهم، وقررت بأن يبقى من كل مجموعة مائة دار من المسلمين ستة مع أبنائهم وأزواجهم ليعملوا في ضياع هؤلاء النبلاء وخدمتهم^(٤).

(١) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين. مرجع سابق ص ٤٠٠-٤٠١.

(٢) د. أسعد حومد - محنة العرب في الأندلس، مرجع سابق ص ٢٧١.

وانظر: د. علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها، مرجع سابق ص ٥٧.

(٣) د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها، مرجع سابق ص ٥٧.

(٤) د/ محمد عبدالله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مرجع سابق ص ٣٩٧.

وانظر: د/ حسين يوسف دويدار - المسلمون المدجنون في الأندلس، مرجع سابق ص ١٤.

رابعاً: إغلاق الحدود في وجه المهاجرين :

ومن معوقات الهجرة التي واجهت المسلمين في الأندلس إغلاق فرنسا الحدود في وجه المهاجرين الأندلسيين بعد اغتيال ملكها إيزيكي في ١٤ مايو سنة ١٦١٠م^(١).

وعلى الرغم من تلك المعوقات (العقبات) فإن موقف البلاد الإسلامية من هجرة المسلمين من الأندلس كان موقفاً مشرفاً، ظهر ذلك جلياً من خلال انتهاج الدولة العثمانية سياسة متعاطفة مع المهاجرين، إذ قامت بفتح باب الهجرة إلى كافة الأراضي العثمانية، وعملت على تأمين سبل الوصول إليها، وقامت بإعفاء المهاجرين من الرسوم والتكاليف المادية، وتهيئة الأعمال المناسبة لهم بما يتناسب مع أوضاعهم السابقة في بلادهم، ومعاقبة كل من يتعرض للمهاجرين من المسؤولين أو غيرهم.

جاء في أمر السلطان العثماني إلى أمير أمراء تونس وإلى قاضيها ما يلي :

«تقضي الغيرة الدينية والحمية أن نعتني بطائفة المدّجر (مدجنو الأندلس) التي خرجت من بلاد إسبانيا، وجاءت إلى ممالكنا المحروسة، ولأن أكثرهم جاء منفرداً بلا أهل ولا عيال، ولأنهم يعيشون بلا زراعة، أو أي سبب من أسباب المعيشة فهم يحتاجون للمساعدة، ومن ثم فقد أمرنا بتوطينهم في سناجق أضنة وعزيز وسيس وطرسوس وقارص، وقد أمرنا بالألا يلحقهم أي ضرر من أمير الأمراء، أو من السناجق، أو رجالهم، أو عمالهم، أو أمنائهم، كما أمرنا بإعفائهم تماماً من كل التكاليف لمدة خمس سنوات، وألا يطالبوا بالأعشار ورسوم التركة والوفاة، وبعد خمس سنوات إن شاء الله تعالى، تُحصل منهم الأعشار، وتلحق إلى أوقاف الجامع السلطاني الجاري بناؤه الآن في إستانبول، وقد أمرنا أيضاً بتعيين

(١) أنطونيو دومينغيز هورتز ورنارد بنشت - تاريخ مسلمي الأندلس ط ١ [قطر: دار الإشراف للطباعة

والنشر ١٤٠٨هـ] ص ٢٧٢.

علي أغا وهو من جنود المتفرقة ، وقدوة الأماجد والأقران - زاد الله محبته-
سنجقاً على الطائفة المذكورة لإحكام الضبط والربط عليها ، وهذا من قبيل المزيد
من العناية بها ، كذلك منحناه وساماً سلطانياً ، ولكن بعض أفراد الطائفة المذكورة
عرجوا على تونس بعد خروجهم من أرض إسبانيا ولهم شيوخهم ، ولكن الوعاظ
والناصحين الذين جاؤوا من تلك الديار لم يهتموا بهم ، ولذا قد صدر الأمر
السلطاني عالي الشأن بأن يهتم شيوخهم برعايتهم ووعظهم ، وهذا موجه إلى
الأمراء «البكوات» الذين في نواحيهم ، وعليكم عند وصول هذا الأمر الالتزام
بتنفيذه والتقيده به " (١) .

ويتضح مما سبق تعدد معوقات الهجرة في العصر الحديث وتنوع أساليبها
وتأثيرها البالغ على سلوك المهاجرين .

(١) د/ عبداللطيف الحميد - موقف الدولة العثمانية تجاه مأساة المسلمين في الأندلس ، مرجع سابق
ص ١١٦-١١٧ .

الفصل الثاني
المفاهيم الخاطئة للهجرة في العصر
الحديث وتقويمها

المبحث الأول: المفاهيم المتعلقة بدار الهجرة
المبحث الثاني: المفاهيم المتعلقة بحكم الهجرة.
المطلب الأول: القول بوجوب الهجرة
على الجميع.
المطلب الثاني: القول بتكفير تارك
الهجرة
المبحث الثالث: المفاهيم المتعلقة بجدوى
الهجرة في إصلاح المجتمعات

توطئة :

لقد شاعت في العصر الحديث وترددت كثير من المفاهيم الخاطئة للهجرة ، وكثر استخدام تلك المفاهيم لدلالات مغلوطة ، وقائمة على أسس من الغموض والتورية والباطل نتيجة لاختلال النظرة الشرعية في مفهوم الهجرة ، بل وغيابها أحياناً لخروجها عن قواعد الفهم الصحيح ، وأصول الاستنباط السديد ، ويعزى ذلك في مجمله إلى الجهل بالقواعد والأصول العامة التي لا بد منها لبناء الفهم الصحيح لكل مصطلح يعرض للناس ، وإليه يرجع السبب في الاضطراب في طرح المفاهيم وتداولها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « إن كثيراً من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ، ومعان مشتبهة ، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها ، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره ؛ فضلاً عن أن يعرف دليله ، ولو عرف دليله لم يلزم أن من خالفه يكون مخطئاً ؛ بل يكون في قوله نوع من الصواب ، وقد يكون هذا مصيباً من وجه ، وهذا مصيباً من وجه ، وقد يكون الصواب في قول ثالث » (١) . « وقد أدى هذا الغبش في فهم الإسلام ، وعدم وضوح الرؤية لأصول شريعته ، ومقاصد رسالته إلى التباس كثير من المفاهيم الإسلامية واضطرابها ، أو فهمها على غير وجهها ، ومنها مفاهيم مهمة يلزم تحديدها وتوضيحها لما يترتب عليها من آثار بالغة الخطورة في الحكم على الآخرين وتقويمهم ، وتكليف العلاقة بهم » (٢) .

لذا صار أصحاب هذا الاتجاه يفهمون الهجرة من منظور عقلي أدى بهم إلى التوقف عن تدبر النصوص الشرعية ، وأقوال سلف الأمة الصالح التي تصحح

(١) أحمد بن تيمية - مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد القاسم ج ١٢ ط (ب . ت) الرياض : مكتبة المعارف (د . ن) [ص ١١٤ .

(٢) د/ يوسف القرضاوي - الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ط ١٢ [القاهرة : دار الصحوة ١٤١٢ هـ] ص ٧٨ - ٧٩ .

مسارهم وتوضح خطأهم .

ولسنا في هذا الفصل بصدد البحث عن نشأة هذه المفاهيم ، ولا الأطوار التي مرت بها ، وإنما الذي يعنينا في هذا الموضوع هو استعراض أبرز المفاهيم الخاطئة للهجرة في العصر الحديث ، مكتفين بالملامح العامة لها ، مع بيان موقف العلماء وأئمة المسلمين منها ، لأن الجهل بهذه المفاهيم قد يكون سبباً للوقوع فيها أحياناً .

ولقد ترتب على هذه المفاهيم الخاطئة بعض النتائج الخطيرة ، والمفاسد العظيمة على أصحابها ، وأتباعها ، وعلى الأمة المسلمة ، ويرجع ذلك - حسبما ظهر للباحث - للأسباب التالية :

١- الجهل بكل ، أو ببعض ما يتصل بمعنى الهجرة وحقيقتها ودوافعها الشرعية وأحكامها وما يقوم عليه ذلك من أصول وقواعد ومقاصد تضمنتها الشريعة الإسلامية .

٢- الغلو في الدين باعتباره سبباً للتعصب ، وعدم القبول لغير رأيه الذي يميل إليه ، مما يؤدي إلى الإصرار على القناعات ، أو المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالهجرة .

٣- الهوى والشهوة ، وذلك حينما يعمد أصحاب المفاهيم الخاطئة - انصياعاً لأهوائهم - إلى تأويل النصوص والآراء والأفكار لتتفق مع قناعاتهم الخاطئة .

ويمكن إجمال أبرز المفاهيم الخاطئة فيما يلي :

١- المفاهيم المتعلقة بدار الهجرة .

٢- المفاهيم المتعلقة بحكم الهجرة .

٣- المفاهيم المتعلقة بجدوى الهجرة في إصلاح المجتمعات .

وسوف أتناول هذه المفاهيم في المباحث التالية إن شاء الله :

المبحث الأول : المفاهيم المتعلقة بدار الهجرة

سبق في الفصل الأول من هذا البحث بيان مفهوم دار الكفر ودار الإسلام التي اصطلح عليهما الفقهاء لتقرير بعض الأحكام الشرعية ، وللتمييز بين المواطنين^(١) .

ويجيء هذا المفهوم - الانحراف في مفهوم دار الهجرة - في مقدمة المفاهيم الخاطئة للهجرة في العصر الحديث نظراً لأهميته ، وارتباطه بمفهوم الهجرة .

والمراد بذلك :

أولاً: عدم اعتبار بعض بلاد المسلمين في العصر الحديث دياراً إسلامية بشروطها المعتبرة عند فقهاء المسلمين ، والقول بتحول ديار المسلمين من دار إسلام إلى دار كفر ثم تكفير أهلها .

ولقد أدى هذا التصور والمفهوم الخاطئ إلى جعل أصحاب هذا التوجه يمارسون أنماطاً من السلوك ، وأنواعاً من المعاملات في المجتمعات الإسلامية هي محل نظر من الناحية الشرعية ، كما أدت هذه المفاهيم فيما بعد إلى الحقد على المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، وإعلان الحرب على المسلمين ، وإطلاق الأحكام عليها بأنها مجتمعات جاهلية ، وتكفير أهلها ، والدعوة إلى اعتزالها .

ويرجع السبب في ذلك إلى التأويلات الخاطئة للنصوص الشرعية ، والتي كان لفهمها فهماً خاطئاً أبلغ الأثر في ظهور تلك المفاهيم .

ومن شواهد هذا المفهوم الخاطئ :

يقول ماهر بكري : « إن جميع المجتمعات التي تزعم الانتساب للإسلام اليوم

هي مجتمعات جاهلية لا يستثنى منها واحد »^(٢) .

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في الصفحات ص ٥ - ٦ من هذا البحث .

(٢) نقلاً عن : عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ط ٢ [بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤١٣ هـ] ص ٣٢٥ . نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري

ويقول أيضاً : « لا نختلف في أن المجتمعات التي تزعم زوراً وبهتاناً الانتساب إلى الإسلام اليوم لا تحكم بما أنزل الله وإن طبق البعض جزءاً من الإسلام وأخذ بعض المظاهر الإسلامية ، ولكن نجده يجمع معها في الوقت نفسه مظاهر من الكفر تكفي للحكم بجاهليته ، وتكفير من يحكمه » (١) .

ويقول شكري مصطفى :

« إننا إذ نقرر وجوب الانفصال والاستقلال . . . نعلم في ذات الوقت أننا مازلنا غير منفصلين ولا مستقلين . . . وأن علينا بحكم قدر الله وقدراتنا أن نبقى مع الكافرين ، وفي أرضهم أو في أرض معهم نبيع ونشتري ونبغ ونصل الرحم ونكرم الجار ونغيث الملهوف » (٢) .

ثانياً : عدم تحديد الدار المهاجر إليها (دار الهجرة) ، واعتبار شعف الجبال ومواقع القطر والوديان والوادي والشعاب والكهوف داراً للهجرة .

ومن شواهد هذا المفهوم الخاطيء :

يقول ماهر بكري : « المخرج الوحيد ، والطريق الذي لاثاني له ، والذي لا بديل عنه للخروج من حالة الاستضعاف التي يقع فيها المسلم في المجتمع الجاهلي . . . هو الهجرة إلى أرض الله الواسعة » (٣) .

(١) نقلاً عن : عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مرجع سابق ص ٥١١ . نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري

(٢) نقلاً عن : عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مرجع سابق ص ٤٩٧ . نقلاً عن كتاب الخلافة لشكري مصطفى .

(٣) نقلاً عن : عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة - مرجع سابق ص ٥١٠ . نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري

ثم يبين دار الهجرة فيقول « هي الأرض التي يمكن فيها إقامة دين الله وعبادة الله كما أمر أن نعبد ونطبق شريعته، ونقيم حدوده، تلك الأرض التي لا يكفر فيها بآيات الله، ولا يستهزأ بها، ولا يحارب فيها أهل الدين، تلك هي أرض الله الواسعة ولو كانت قمة جبل، أو كهف، أو أصل شجرة» (١) ويستدل بالنصوص الواردة في العزلة ومنها:

قوله تعالى ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (٢).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن» (٣).

مناقشة المفاهيم المتعلقة بدار الهجرة وتقويمها:

أولاً: إن تحديد مفهوم الدار لا يقل أهمية عن تحديد مفهوم الهجرة لارتباطه بها، كما أن الانحراف في هذا المفهوم يورث انحرافاً في مفهوم الهجرة. وقد أبان هذا المعنى الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ - رحمه الله -:

«اعلم أن من تصور حقيقة أي شيء على ما هو عليه في الخارج، وعرف ماهيته بأوصافه الخاصة، عرف ضرورة ما يناقضه ويضاده، وإنما يقع ذلك الخفاء بلبس إحدى الحقيقتين، أو بجهل كلا الماهيتين، ومع انتفاء ذلك، وحصول التصور التام لهما لا يخفى ولا يلبس أحدهما

(١) نقلاً عن: عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة - مرجع سابق ص ٥١٠.

نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري

(٢) سورة الكهف آية: (١٦).

(٣) سبقت الإشارة إلى تخريج الحديث فيما سبق ص ٧٥.

بالآخر ، وكم هلك بسبب قصور العلم ، وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة ، وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمّة» (١) .

ثانيا : إن القول بجاهلية المجتمعات الإسلامية ، وقياسها بالمجتمعات الكافرة قياس خاطئ ، ذلك أن جمهور المسلمين في المجتمعات الإسلامية لا يزال يدين بالإسلام عقيدة وشريعة ، وينتمي إليه .

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله لا يجمع أمتي - أو قال : أمة محمد على ضلالة ، ويد الله على الجماعة» (٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القول بهذا المفهوم أورث اعتقاداً خاطئاً عند كل جماعة تنتسب إلى الإسلام بأنها تمثل الإسلام ، وأنها جماعة المسلمين ، وما عداها من الجماعات فهي جاهلية ولذا فإن تكفير المجتمعات الإسلامية بإطلاق ، وهي ليست كذلك ، وبلا دليل شرعي قول باطل ، وما بني على باطل فهو باطل .

ثالثاً : أن المعتبر في الحكم على الدار هو ظهور الأحكام والشعائر - كما سبق بيانه (٣) - فمتى وجدت في الدار مظاهر الإسلام كالصلاة والأذان وغيرها ، دل ذلك على أن الدار دار إسلام .

ولعل من المشاهد في العصر الحديث أن كثيراً من المجتمعات الإسلامية تظهر كثيراً من الشعائر الإسلامية ، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ،

(١) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - منهاج التأسيس والتقديس في رد شبهات داود بن جرحس ط ٢ [الرياض : دار الهداية ١٤٠٧ هـ] ص ١٢ .

(٢) الترمذي - سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في لزوم الجماعة .

: الألباني - صحيح سنن الترمذي ج ٢ / ص ٢٣٢ رقم ١٧٥٩ (ك أبواب الفتن ب ٧ ح ١٧٥٩) .

(٣) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٦ .

والنهي عن المنكر .

« وتعتبر الدار دار إسلام حتى ولو كان أهلها فاسقين ، فما دامت شعائر الإسلام ظاهرة بها ، فإنه لا يسلبها هذه الصفة أن يفسق أهلها » (١) .

ولعل من أبرز الشواهد التي تؤكد على أن المعتبر في الدار هو ظهور الأحكام وشعائر الإسلام :

مارواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال « كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر ، وكان يستمع الأذان ، فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار » (٢) .

قال النووي - رحمه الله - :

« وفي الحديث دليل على أن الأذان يمنع الإغارة على أهل ذلك الموضع ، فإنه دليل على إسلامهم » (٣) .

وقال محمد شمس الحق عظيم آبادي - رحمه الله - : « قال الخطابي رحمه الله - : فيه بيان أن الأذان شعار لدين الإسلام لا يجوز تركه ، فلو أن أهل بلد أجمعوا على تركه كان للسلطان قتالهم عليه » (٤) .

وقال المباركفوري - رحمه الله - : « وفي هذا الحديث دليل على جواز الحكم

(١) مصطفى كمال وصفي - مصنفه النظم الإسلامية ط ١ [القاهرة : مكتبة وهبه ١٣٩٧ هـ] ص ٢٨٦ .

(٢) الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان ج ١ / ص ٢٨٨ ح ٣٨٢ (ك ٤ ب ٦ ح ٣٨٢) .

(٣) الإمام النووي - شرح صحيح مسلم ج ٤ ط ٣ [بيروت : دار الفكر ١٣٩٨ هـ] ص ٨٤ .

(٤) محمد شمس الحق عظيم آبادي - عون المعبود شرح سنن أبي داود ، مرجع سابق ج ٧ / ص ٢١٤ .

بالدليل لكونه ﷺ كف عن القتال بمجرد سماع الأذان « (١) .

وعن عصام المزني - رضي الله عنه - قال : «بعثنا رسول ﷺ في سرية فقال :
إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً» (٢) .

قال الشوكاني - رحمه الله - : « في الحديث دليل على أن مجرد وجود
المسجد في البلد كاف في الاستدلال به على إسلام أهله ، وإن لم يسمع منهم
الأذان ، لأن النبي (ﷺ) كان يأمر سراياه بالاكْتفاء بأحد الأمرين إما وجود
مسجد ، أو سماع الأذان » (٣) .

رابعاً : إن القول بعدم تحديد الدار المهاجر إليها (دار الإسلام والهجرة)
واعتبار شعف الجبال ومواقع القطر والوديان والبوادي والشعاب والكهوف داراً
للهجرة غير سائغ ؛ لأن الواجب والمسوغ الشرعي يقتضي أن تكون الهجرة من دار
الكفر إلى دار الإيمان حيث يقام أمر الله ، ويسود شرعه ويكفي أن تكون دار خير

(١) المباركفوري - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، مرجع سابق ج ٥ / ص ٢٠٣ .

وانظر :

الشوكاني - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخيار ، مرجع سابق
ج ٧ / ص ٢٤٥ .

(٢) أبو داود - سنن أبي داود - كتاب الجهاد ، باب في دعاء المشركين ، ج ٣ / ص ٤٣ رقم ٢٦٣٥ (ك بدون
ب ١٠٠ ح ٢٦٣٥) .

وانظر للاستزادة : الترمذي - سنن الترمذي ، كتاب السير ، باب ما جاء في الدعوة قبل القتال ج ٤ / ص
١٢٠ رقم ١٥٤٩ (ك ٢٢ ب ٢ خ ١٥٤٩) .

(٣) الشوكاني - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار وشرح منتقى الأخيار ، مرجع سابق ج ٧ / ص ٢٤٥
وانظر : محمد شمس الحق عظيم آبادي - عون المعبود شرح سنن أبي داود ، مرجع سابق
ج ٧ / ص ٢١٤ .

مادي ؛ لأن المقصود ليس الموقع الجغرافي فحسب ، وإنما هو الوضع الديني للدعوة ، وأتباعها ، وعلى هذا فإن التحول إلى مواقع القطر وشعف الجبال والوديان والكهوف لا يغيّر كثيراً من حال الدار الأولى ، فلربما تشابهت مع الدار الأولى في الحكم والصفة ، والمعولّ عليه شرعاً أن تكون الهجرة من دار الكفر التي لا تصلح أن تكون محل إقامة لذكر الله - كما هو حال المسلمين في مكة قبل الهجرة - إلى دار الإسلام التي يرفع فيها ذكر الله ، ويجهر به ، ويدعى إليه ، ويجد فيه أصحاب الدعوة وأتباعهم السلامة والأمن من الأذى والفتنة .

المبحث الثاني : المفاهيم المتعلقة بحكم الهجرة

إن من أبرز المفاهيم الخاطئة المتعلقة بحكم الهجرة في العصر الحديث ما يلي :

أولاً : القول بوجوب الهجرة على الجميع .

ثانياً : القول بتكفير تارك الهجرة .

المطلب الأول : القول بوجوب الهجرة على الجميع .

إن من أبرز المفاهيم الخاطئة المتعلقة بحكم الهجرة القول بوجوب الهجرة على

الجميع .

ولعل من أبرز شواهد هذا المفهوم الخاطيء :

يقول ماهر بكري : « نستطيع أن نقول استناداً إلى ما سبق أن بسطناه وأقمنا

عليه الدليل : إن الهجرة واجبة على كل من هو قادر عليها الآن . . . تفرض على

المسلمين الآن فريضة الخروج من أرض الجاهلية ، والفرار بدينهم إلى أرض

لايستضعفون فيها ، بل يقيمون فيها شرع الله ويعبدونه لا يشركون به شيئاً » (١) .

ويقول أيضاً : « ومن كان صادقاً في إسلامه ، غير منافق ، فعليه أن يهجر

الأرض التي يقع من يمكث فيها في ولاء الكافرين من دون المؤمنين ، لكونه عملاً

من أعمال النفاق » (٢) .

ويقول كذلك :

« نحن نتحدى من يقول خلاف ما أتينا من وجوب الهجرة الآن ، وندعوه

(١) نقلاً عن : عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مرجع سابق ص ٥١١ -

٥١٢ . نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري

(٢) نقلاً عن : عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مرجع سابق ص ٥١٢ .

نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري .

لإقامة الدليل من زعمه الباطل ولنذكر قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١) .

وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)، (٣) .

وهذا الوجوب في نظرهم ليس مختصاً بالقادرين فحسب بل هو أيضاً يشمل المستضعفين في المجتمع .

مناقشة هذه المفاهيم وتقويمها :

أولاً : إن الأحكام المتعلقة بالهجرة تختلف باختلاف الأحوال والأزمان كما سبق بيانه في أحكام الهجرة (٤) .

ثانياً : إن إطلاق القول بوجوب الهجرة من دار الكفر ليس على إطلاقه ، ولا يحكم فيها بحكم واحد ؛ لأن الأحوال والأزمان والأماكن تختلف باختلاف أحوال المقيمين وظروفهم ، وبحسب المقاصد والأغراض لذلك تختلف أحكام الهجرة - مراعاة أحوال المدعو - وقد سبق بعض الأدلة على ذلك (٥) .

ثالثاً : إن القول بوجوب الهجرة من بلد الكفر خاص فيمن كان مقيماً في دار

(١) سورة النساء آية (٩٧) .

(٢) سورة النحل آية (٤١) .

(٣) نقلاً عن : عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مرجع سابق ص ٥١٢ . نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري

(٤) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٦٩ وما بعدها .

(٥) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٦٩ وما بعدها .

الكفر، وهو عاجز عن إظهار دينه بها ، وهو قادر على الهجرة كما سبق بيانه (١) .

رابعاً : إن القول بوجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام مشروط بالاستطاعة - كما سبق بيانه (٢) فمن لم يقدر على الهجرة فهو معذور إلى أن يقدر .

وبهذا يتضح أن القول بوجوب الهجرة على المستضعفين فيه مخالفة صريحة للنصوص الشرعية قال تعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٣) وقوله جل جلاله ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٤) وقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم » (٥) .

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٦٩ وما بعدها .

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٨٠ .

(٣) سورة التغابن آية (١٦) .

(٤) سورة البقرة آية (٢٨٦) .

(٥) البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ج ٨ ص ١٨٠ ح ٧٢٨٨ (ك ٩٧ ب ٢ ح ٧٢٨٨) .

وانظر : الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ، أو لا يتعلق به تكليف ج ٤ / ص ١٨٣٠ ح ١٣٣٧ (ك ٤٣ ب ٢٧ ح ١٣٣٧) .

المطلب الثاني : القول بتكفير تارك الهجرة

إن من أبرز المفاهيم الخاطئة في العصر الحديث الغلو في حكم الهجرة بالحكم على تاركها بالكفر .

ويعد هذا المفهوم من أبرز المفاهيم والظواهر الاجتماعية التي شغلت الرأي العام في العصر الحديث ، وكثر حولها الجدل من قبل كثير من العلماء والمفكرين .

ولقد أصبح مفهوم التكفير مصطلحاً شائعاً ؛ نظراً لكونه من أخطر المفاهيم التي تواجه الأمة المسلمة في العصر الحديث .

ولقد تناول بعض المعاصرين هذا المفهوم ، وحكموا على المسلمين المقيمين في دار الكفر بالكفر بتركهم للهجرة :

ومن شواهد هذا المفهوم :

– يقول ماهر بكري بعد استدلاله بقول الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١) «إن الذي مات مستضعفاً في الأرض ، وهو قادر على الفرار بدينه من هذا الاستضعاف ، مصيره في الآخرة جهنم – والعياذ بالله – ، فدل ذلك على أن القاعدة التي كان عليها حين وافته المنية هي الكفر الصريح وليس الإسلام» (٢) .

(١) سورة النساء آية (٩٧) .

(٢) نقلاً عن : عبد الرحمن بن معلا اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مرجع سابق ص ٣٠٩ . نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري

ويقول أيضاً : « إن المستضعف في الأرض وهو قادر على أن يفر بدينه وينخلع عن هذا الاستضعاف يقف حينذاك على قاعدة الكفر ، وليس له نصيب من الإيمان فهو كافر ، وليس مؤمناً ، هذا حكم الله صريحاً وبيّن » (١) .

ويقول أيضاً بعد الاستدلال بقول الرسول ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام ، أخوان نصيران ، لا يقبل الله من مشرك بعد ما أسلم عملاً ، أو يفارق المشركين إلى المسلمين » (٢) « هذا نص صريح على أن الذي يمكث بين المشركين ، وهو قادر على مفارقتهم ثم يتقاعس عن ذلك ، وهو يعلم بحرمة المكث بينهم فهو كافر لا يقبل الله منه العمل » (٣) .

وأما التخلف عن الهجرة فقد حدد أصحاب هذا الاتجاه في ضوء الآية السابقة الذكر شروطاً لتكفير المتخلف عنها ، إذ يقول ماهر بكري : « العلم بحرمة الاستضعاف ، القدرة على الانخلاع منه والفرار بالدين ، والتقاعد عن الانخلاع منه ، والفرار بالدين بغير عذر يسوغ في الجملة كل ذلك يساوي الكفر الصريح » (٤) .

(١) نقلاً عن : عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مرجع سابق ص

٣٠٩ . نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري

(٢) النسائي - سنن النسائي ، كتاب الزكاة ، باب من سأل بوجه الله عز وجل .

الألباني - صحيح سنن النسائي ، كتاب الزكاة ، باب من سأل بوجه الله عز وجل ج ٢ / ص ٥٤٢ ح ٢٤٠٨ (ك ٢٣ ب ٧٣ ح ٢٤٠٨) .

وانظر : الإمام أحمد - المسند ج ٥ / ص ٥ - ٦ رقم ٢٠٠٥٥ .

(٣) نقلاً عن : عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مرجع سابق ص ٣٠٩

- ٣١٠ . نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري

(٤) نقلاً عن : عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مرجع سابق

ص ٣٠٩ . نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري

مناقشة المفاهيم وتقويمها :

أولاً : أن الاستدلال بهذا المفهوم خاطئ من عدة وجوه منها :

١ - في تأويل النصوص الشرعية على غير ما هو معروف عند علماء السلف من المفسرين والمحدثين (١) .

٢ - في تعميم الأحكام الشرعية ، إذ أن تعميم الأحكام ، وعدم تفصيلها يتعارض مع المعتقد الصحيح لأهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة ، ولا يتفق مع النصوص الشرعية ، ولا مع مقتضى يسر الإسلام وسماحته في مراعاة أحوال المستضعفين .

ثانياً : أنه لا يجوز الحكم بالكفر على المسلم إلا بيهان واضح ، ودليل ساطع ، بعد تحقق الشروط ، وانتفاء الموانع ، فقد ورد التحذير من الحكم على المسلمين بالكفر في الكتاب والسنة ، وجاء الزجر عنه لأنه حكم شرعي .

قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (٢) .

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في معنى قوله تعالى « فتبينوا » أي فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره ، فلا تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره ، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره ، ثم قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ أي لا تقولوا لمن استسلم لكم ، فلم يقاتلكم مظهراً لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم « لست مؤمناً » فتقتلوه ابتغاء عرض الحياة الدنيا ، وقد كرر سبحانه

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول من هذا البحث ص ١٧ وما بعدها .

(٢) سورة النساء آية : (٩٤) .

الأمر بالتبين إمعاناً في الاحتياط والتحرز ، فقال فتبينوا ، أي لاتعجلوا بقتل من أردتم قتله ، فمن التبس عليكم أمر إسلامه ، فلعل الله أن يكون قد منّ عليه من الإسلام بمثل الذي من به عليكم ، وهدهاء لمثل الذي هداكم له من الإيمان « (١) .

وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال : «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة قال : فصبحنا القوم فهزمناهم ، قال : ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، قال : فلما غشيناه ، قال : لا إله إلا الله . قال : فكف عنه الأنصاري ، فطعنته برمحي حتى قتلته ، قال : فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال : فقال لي : يا أسامة أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ « قال : قلت : يارسول الله إنما كان متعوذاً ، قال : «أقتلته بعد أن قال : لا إله إلا الله » ؟ ! قال : فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم » (٢) .

قال ابن حجر - رحمه الله - «قال ابن التين : في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعدة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد ، وقال القرطبي : في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك . . . ومعناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر ، وما ينطق به اللسان ، وأما القلب فليس لك طريق إلى ما فيه ، فأنكر عليه ترك العمل بما ظهر في اللسان ، والمعنى أنك إذا كنت لست قادراً على ذلك فاكتف منه باللسان » (٣) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر ، فقد باء به أحدهما » (٤) .

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « أيما رجل

(١) ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ج ٥ / ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) البخاري - صحيح البخاري - كتاب الديات ، باب قول الله تعالى : (ومن أحيائها) ج ٨ / ص ٤٦ رقم ٦٨٧٢ (ك ٨٨ ب ٢ ح ٦٨٧٢) .

(٣) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ١٢ / ص ١٩٦ .

(٤) الإمام البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال ج ٧ / ص ١٢٦ ح ٦١٠٣ (ك ٧٨ ب ٧٣ ح ٦١٠٣) .

قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما « (١) .

وعن ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « من حلف بجملة غير الإسلام كاذباً ، فهو كما قال ، ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم ، ولعن المؤمن كقتله ، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله » (٢) .

قال ابن حجر - رحمه الله - : « إن من أكفر المسلم ، نظر فإن كان بغير تأويل استحق الذم ، وربما كان هو الكافر ، وإن كان بتأويل نظر إن كان غير سائغ استحق الذم أيضاً ، ولا يصل إلى الكفر ، بل يبين له وجه خطئه ، ويزجر بما يليق به ، ولا يلتحق بالأول عند الجمهور ، وإن كان بتأويل سائغ لم يستحق الذم ؛ بل تقام عليه الحجة » (٣) .

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - سمع رسول الله ﷺ يقول : « من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » (٤) .

قال ابن حجر - رحمه الله - : « والتحقق أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم ، وقيل معناه : رجعت عليه نقيصته لأخيه ، ومعصية تكفيره » (٥) .

= وانظر : الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر ج ١ / ص ٧٩ ح ٦٠ (ك ١ ب ٢٦ ح ٦٠) .

وانظر : الإمام أحمد - المسند ج ٢ / ص ٤٧ رقم ٥٠٧٧ قال عنه العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح ج ٧ / ص ١٠٩ رقم ٥٠٧٧ .

(١) الإمام البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال ج ٧ / ص ١٢٦ ح ٦١٠٤ (ك ٧٨ ب ٧٣ ح ٦١٠٤) .

(٢) الإمام البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال ج ٧ / ص ١٢٧ ح ٦١٠٥ (ك ٧٨ ب ٧٣ ح ٦١٠٥) .

وانظر : الإمام أحمد - المسند ج ٤ / ص ٣٣ رقم ١٦٣٦ .

(٣) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ١٢ / ص ٣٠٤ .

(٤) الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر ج ١ / ص ٧٩ ح ٦٠ (ك ١ ب ٢٦ ح ٦٠) .

(٥) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ج ١٠ / ص ٤٦٦ .

وقال النووي - رحمه الله - في معنى قول النبي ﷺ «إلحار عليه» معناه «فقد رجع عليه تكفيره ، فليس الراجع حقيقة الكفر ، بل التكفير ، لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً ، فكأنه كفر نفسه ، إما لأنه كفر من هو مثله ، وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام» (١) .

ونظراً لخطورة التكفير ، وعظم شأنه وما يترتب عليه من تبعات ، فقد نبّه وحذر علماء السلف منه ومن ذلك :

قال ابن تيمية - رحمه الله - : « قال الإمام أحمد - رحمه الله - إن الإيجاب والتحرير والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله ، ليس لأحد في هذا حكم ، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه الله ورسوله ، وتحريم ما حرمه الله ورسوله ، وتصديق ما أخبر الله به ورسوله » (٢) .

وقال أيضاً - رحمه الله - : « اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق » هي من «الأسماء والأحكام» التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة ، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا ، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين ، وحرم الجنة على الكافرين ، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان » (٣) .

وقال الشوكاني - رحمه الله - : « اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ، ودخوله في الكفر ، لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار ، فإنه قد ثبت في الأحاديث

(١) النووي - شرح صحيح مسلم ، مرجع سابق ج ٢ / ص ٥٠ .

(٢) أحمد بن تيمية - مجموع الفتاوى - مرجع سابق ج ٥ / ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٣) أحمد بن تيمية - مجموع الفتاوى ، مرجع سابق ج ١٢ / ص ٤٦٨ .

الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن من قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما^(١) ، وفي لفظ آخر : من دعا رجلاً بالكفر أو قال : عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه .^(٢) أي رجع ، ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر ، وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير وقد قال الله - عز وجل - : ﴿ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾^(٣) (٤) .

وقال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : « وبالجملة فيجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم ويبرهان من الله ، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه ، واستحسان عقله ، فإن إخراج رجل من الإسلام ، وإدخاله في الكفر من أعظم أمور الدين »^(٥) .

ثالثاً :

إن الحكم بالكفر - كما سبق بيانه - حكم خطير جداً ، وذلك لما يترتب عليه من آثار ونتائج في الدنيا والآخرة ، ومنها :

- أنه لا يحل لزوجه البقاء معه ، ويجب أن يفرق بينها وبينه ؛ لأن المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع المتيقن .

- أن أولاده لا يجوز أن يبقوا تحت سلطانه ؛ لأنه لا يؤتمن عليهم ، ويخشى أن يؤثر عليهم بكفره ، وبخاصة أن عودهم طري ، وهم أمانة في عنق المجتمع الإسلامي كله .

- أنه فقد حق الولاية والنصرة على المجتمع الإسلامي بعد أن مرق منه ،

(١) سبق تخريجه في ما سبق ص ٢٥٨ .

(٢) سبقت الإشارة إليه في هذا البحث ص ٢٥٩ .

(٣) سورة النحل آية (١٠٦) .

(٤) الشوكاني - السبل الخوار المتدفق على حدائق الأزهار ، مرجع سابق ج ٤ / ص ٥٧٨ .

(٥) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - الدرر السننية في الأجرية النجدية ، جمع عبد الرحمن بن محمد

القاسم ج ٨ ط ٢ [الرياض : دار الإفتاء ١٣٨٥هـ] ص ٢١٧ .

وخرج عليه بالكفر الصريح والردة البواح .

- أنه يجب أن يحاكم أمام القضاء الإسلامي لينفذ فيه حكم المرتد ، بعد أن يستتبه ، ويزيل من ذهنه الشبهات ، وقيم عليه الحجة .

- أنه إذا مات لاتجري عليه أحكام المسلمين ، فلا يغسل ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولا يورث ، كما أنه لا يرث إذا مات مورث له .

- أنه إذا مات على حاله من الكفر يستوجب لعنة الله ، وطرده من رحمته ، والخلود الأبدي في نار جهنم .

وهذه الأحكام الخطيرة تستوجب على من يتصدى للحكم بتكفير خلق الله أن يترث مرات ومرات قبل أن يقول ما يقول « (١) .

رابعا :

إن البقاء في دار الكفر، وترك الهجرة ليس بكفر ، ومما يؤكد ذلك أن الله عز وجل أثبت الإيمان لمن لم يهاجر قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢) .

قال الرازي - رحمه الله - : « اعلم أن هذا الترتيب الذي اعتبره الله في هذه الآية في غاية الحسن ؛ لأنه ذكرها هنا أقساماً ثلاثة : فالأول : المؤمنون من المهاجرين والأنصار ، وهم أفضل الناس ، وبين أنه يجب أن يوالي بعضهم بعضاً ، الثاني : المؤمنون الذين لم يهاجروا ، فهؤلاء بسبب إيمانهم لهم فضل وكرامة ، وبسبب ترك الهجرة لهم حالة نازلة ، فوجب أن يكون حكمهم حكماً متوسطاً بين

(١) د/ يوسف القرضاوي - ظاهرة الغلو في التكفير ط ٣ [القاهرة : مكتبة وهبة ١٤١١هـ] ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) سورة الأنفال آية (٧٢) .

الإجلال والإذلال ، وذلك هو أن الولاية المثبتة للقسم الأول تكون منفية عن هذا القسم ، إلا أنهم يكونون بحيث لو استنصروا المؤمنين واستعانوا بهم نصر وهم وأعانوهم فهذا الحكم متوسط بين الإجلال والإذلال ، وأما الكفار فليس لهم البتة ما يوجب شيئاً من أسباب الفضيلة « (١) .

إن الحكم بالكفر على المقيم في دار الكفر بترك الهجرة لا يكون إلا إذا رضي المقيم بما هم عليه من الدين ، أو أرضى الكفار بدم المسلمين ، أو أعانهم عليهم بنفسه وماله ، أو أظهر الموالاتة الكاملة للكفار .

قال الشيخ حمد بن عتيق - رحمه الله - بعد تقسيمه لأحوال المقيمين في دار الكفر : « أن يقيم في دار الحرب رغبة واختياراً ، فيرضى ما هم عليه من الدين أو يمدحهم ويرضيهم بعيب المسلمين ، أو يعاونهم على المسلمين بنفسه أو ماله أو لسانه فهذا عندهم كافر عدو لله ولرسوله ، لقوله تعالى ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (٣) وقوله ﷺ : « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » (٤) (٥) .

* ومما سبق يتضح من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح :

(١) الرازي - التفسير الكبير ، مرجع سابق ج ١٥ / ص ٢١٨ .

(٢) سورة آل عمران آية (٢٨) .

(٣) سورة المائدة آية (٥١) .

(٤) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ١٣ .

(٥) حمد بن علي بن عتيق - الدفاع عن أهل السنة والاتباع ، مجموعة كتب ورسائل الشيخ حمد بن علي

ابن عتيق ط ٢ [بيروت : دار القرآن الكريم ١٤٠٠هـ] ص ١٢ - ١٣ .

- خطورة الحكم على المسلمين بالكفر ، وما يترتب عليه من نتائج وأثار في الدنيا والآخرة .

- خطورة الحكم على المقيم في دار الكفر لترك الهجرة بالكفر بغير بينة وحجة قاطعة .

« والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً ، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة ، المصرحين بقول : « لا إله إلا الله » خطأ ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم » (١) .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » (٢) .

(١) الغزالي - الاقتصاد في الاعتقاد ط ١ [بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٩ هـ] ص ١٥٧ .
(٢) الإمام البخاري - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ ، ج ١ / ص ١٤ ح ٢٥ (ك ٢ ب ١٧ ح ٢٥) .
وانظر : الإمام مسلم - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ... : ج ١ / ص ٥١ - ٥٢ ح ٢٠ (ك ١ ب ٨ ح ٢٠) .

المبحث الثالث : المفاهيم المتعلقة بجدوى الهجرة في إصلاح المجتمعات

إن من أبرز المفاهيم الخاطئة للهجرة في العصر الحديث ، والتي شاعت وانتشرت كردة فعل للضغوط الاجتماعية المتنوعة في بعض البلاد اعتبار الهجرة الطريق الوحيد لإصلاح المجتمعات ، وأنه ليس هناك طريق للإصلاح غيرها .

ومن شواهد هذا المفهوم :

يقول ماهر بكري : « الهدف الصحيح الذي يجب أن نسعى إليه ، وقد أخذناه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . . . نريد أن ننجو بأنفسنا ونبلغ الحق للعالمين . . . ونظهر كلمة الله في الأرض ، لا يتحقق كل ذلك وكل مكوث في دار الكفار ، ولتكون النقطة التي ننطلق منها « بسم الله وفي سبيل الله » هي الهجرة والتحول من دار الكفر إلى أرض الله الواسعة » (١) .

ويقول كذلك :

« فلا بد أن يسعى المسلمون - سعيًا - حثيثاً لكي يكون لهم الانفصال التام عن المجتمع الجاهلي حتى يكون للمسلمين أرض ليس للطاغوت سلطان عليها » (٢) .

* مناقشة هذا المفهوم وتقويمه

أولاً : أن هذا المفهوم ليس له من الأدلة الشرعية ما يمكن اعتباره أو التعويل عليه .

ثانياً : أن واقع القائلين بهذا المفهوم لا يعكس هذه الجدوى ، فلم يعلم عنهم

(١) نقلاً عن عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مرجع سابق ص ٥٠٩ . نقلاً

عن كتاب الهجرة لماهر بكري

(٢) نقلاً عن عبد الرحمن اللويحق - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مرجع سابق

ص ٥٠٨-٥٠٩ . نقلاً عن كتاب الهجرة لماهر بكري

إسهام في إصلاح المجتمع .

ثالثاً : أن الإسلام حينما شرع الهجرة لم يكن الهدف والغاية الهرب من مواجهة الواقع ، أو الانسحاب من المجتمع ، وإنما كان يهدف إلى حفظ الدين ، ونشر الدعوة ، وحماية المدعوين (١) .

رابعاً : إن اعتبار الهجرة الطريق الوحيد لإصلاح المجتمع الكافر غير صحيح ابتداءً ، وإنما الإصلاح في المجتمع الكافر (دار الكفر) يكون بدعوة ذلك المجتمع إلى الإسلام ، والاستمرار بالدعوة الإسلامية ، ورعايتها ، والثبات في مواجهة الأعداء ، والصبر الجميل ابتغاء الأجر من الله ، وطمعاً في هداية هذا المجتمع .

وكما مر معنا سابقاً (٢) فإن المتأمل لحركة النبوة التي هي محل الأسوة والقُدوة يلمح بأن التفكير في الهجرة لا يبدأ ، والإذن بها لا يتحصل إلا عندما يستحيل أمر الدعوة ويحاط بها من كل جانب ، ويهدد الدعوة وأتباعهم في حياتهم ، وعندما تنعدم كل الخيارات إلا خيار الهجرة .

خامساً : إن القول بهذا المفهوم في المجتمع المسلم يعني إلغاء جميع وسائل الإصلاح المتنوعة في المجتمع المسلم كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتربية والتعليم ، والوعظ والإرشاد وغيرها ، والصبر على معالجة تلك الانحرافات .

سادساً : إن القول بهذا المفهوم يعني ترك واجب الدعوة إلى الله في ذلك المجتمع لمن هو قادر عليه وواجب في حقه ، ثم إن التخلي عن الدعوة والاستمرار بها ، والقيام بالهجرة لمجرد بعض المضايقات وبعض المعاناة ، قد يكون فراراً من الساحة ، وتسهيلاً لمهمة أعداء الإسلام ، وتمكيناً لهم في الأرض على حساب الإسلام والمسلمين .

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٤١ وما بعدها .

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٤١ وما بعدها .

ومما سبق يتضح :

١- خطأ فهم بعض المسلمين المعاصرين في العصر الحديث لمفهوم الهجرة ،
ودوافعها وأحكامها .

٢- أهمية تصحيح المفاهيم الخاطئة في الهجرة وغيرها ، وضرورة الرجوع
إلى الكتاب والسنة ، وفهم السلف الصالح للمصطلحات الشرعية .

الفصل الثالث

الآثار الدعوية للهجرة في العصر الحديث

المبحث الأول : الآثار الدعوية لهجرة المسلمين من الأندلس.

المطلب الأول : حماية الدعوة الإسلامية.

المطلب الثاني : نشر الدعوة الإسلامية وإثراء الحركة الفكرية والعلمية في البلدان التي هاجروا إليها.

المطلب الثالث : أمان المسلمين من الأذى والفتنة.

المطلب الرابع : تمكين المسلمين من إقامة الشعائر وإظهار الشريعة.

المطلب الخامس : إحياء عقيدة الولاء بين المسلمين.

المطلب السادس : إسهام المهاجرين في الجهاد في سبيل الله .

المبحث الثاني : الآثار الدعوية لهجرة المسلمين التار .

المطلب الأول : أثر الهجرة في انتشار الإسلام .

المطلب الثاني : المحافظة على الهوية الإسلامية للمسلمين .

المبحث الأول

الآثار الدعوية لهجرة المسلمين من الأندلس

لقد كان لهجرة المسلمين من الأندلس إلى البلاد الإسلامية (دار الهجرة) آثارها ونتائجها على الدعوة الإسلامية ، وقد تمثلت حسبما ظهر من الدراسة والبحث فيما يلي :

المطلب الأول: حماية الدعوة الإسلامية :

دخلت الدعوة الإسلامية المباركة الأندلس منذ القرن الأول الهجري (١) ، وشقت طريقها بعد ذلك بقليل ، وما فتئت الدعوة إلى الله قائمة في الأندلس منذ دخولها الإسلام تحيي القلوب بنور الوحي ، وتنشر الرحمة ، إلا أنه بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ (١٤٩٢ م) ، دخلت الدعوة الإسلامية عهداً جديداً صعباً تمثل - كما بينا قريباً (٢) - في انعدام حرية المسلمين في اعتناق دينهم ، وإظهار شريعتهم ، ونشر الدعوة الإسلامية وتبليغها .

وقد سعى الكفار بعد سقوط غرناطة إلى محاربة الدعوة الإسلامية ، ومحاصرتها في محاولة للقضاء عليها مما أدى إلى توقف انطلاقتها وانتشارها الأمر الذي حتم الهجرة للحفاظ عليها .

ولقد أثبتت الدعوة الإسلامية إبان التحديات والضغوط المتنوعة الصمود ، واستطاعت بفضل الله أن تصمد لما هو أعنف وأقسى ، مما يؤكد متانة هذا الدين ، وأن له من المنعة والقوة في نفوس أتباعه ما يجعل أعداءه يقفون منه موقف

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ، مرجع سابق ج ٩ / ص ٧٨ .

وانظر : الطبري - تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ج ٦ / ص ٤٦٨ .

: عبد الرحمن بن علي الحجبي - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ،

مرجع سابق ص ٤٤ - ٤٦ .

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ١٩٦ وما بعدها .

وأن له من المنعة والقوة في نفوس أتباعه ما يجعل أعداءه يقفون منه موقف الاستسلام في الوقت الذي تبدو فيه المبادئ الأخرى ضعيفة تتهاوى عند أول لحظة ، وهذا شيء ظاهر وملموس في تاريخ الدعوة القديم والحديث .

وقد شاء الله أن تنطلق الدعوة الإسلامية بعد الهجرة في البلاد الإسلامية ، فكشفت عن جوهرها ، واستأنفت مسيرتها ، واستعادت توهجها مرة أخرى ، وانفتحت أمامها آفاق جديدة للانطلاق والنشر قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة الصافات الآيات (١٧١ - ١٧٣) .

المطلب الثاني: نشر الدعوة الإسلامية وإثراء الحركة الفكرية والعلمية

في البلدان التي هاجروا إليها

لقد كان لهجرة المسلمين من الأندلس أعظم الآثار في انطلاق دعاة الإسلام وعلمائه لنشر الدعوة الإسلامية ، وإثراء الحركة الفكرية والعلمية في البلاد الإسلامية التي هاجروا إليها وتبوؤوا مركز الصدارة على الساحة العلمية والفكرية بعد أن زالت جميع الضغوط والتحديات التي كانوا يواجهونها ، والتي كانت تحول بينهم وبين نشر الدعوة ، أو المحافظة على الدين ، فكسبت الدعوة الإسلامية بيئة جديدة ، وانتشرت بعد مرحلة الحصار والاضطهاد الذي واجهته في الأندلس سنين طويلة .

ولقد وجد دعاة الإسلام في شمال أفريقيا والبلاد الإسلامية الأخرى كل ترحيب وتقدير على مستوى الدولة والأمة ، وسعت الدولة العثمانية ممثلة في ولايتها في شمال أفريقيا في إيجاد أعمال مناسبة للعلماء والدعاة من الشيوخ والوعاظ ليمارسوا نشاطهم لنشر الدعوة ، وتبليغها « إذ صدر أمر إلى إيالة الجزائر بتوظيف من قدم من الأندلس من العلماء والصلحاء حسب علومهم ومعارفهم دون التفريق بينهم وبين أهالي الجزائر ، ودون النظر إلى اعتراض أحد من الأهالي المقيمين » (١) .

كما صدر « الأمر السلطاني - العثماني - عالي الشأن بأن يهتم شيوخهم - أي المهاجرين الأندلسيين - برعايتهم ووعظهم ، وهذا موجه إلى الأمراء « البكوات » الذين في نواحيهم ، وعليكم عند وصول هذا الأمر الالتزام بتنفيذه والتقيد به » (٢) .

(١) د/ عبد اللطيف الحميد - موقف الدولة العثمانية تجاه مأساة المسلمين في الأندلس ، مرجع سابق ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) د/ عبد اللطيف الحميد - موقف الدولة العثمانية تجاه مأساة المسلمين في الأندلس ، مرجع سابق ص ١١٧ .

وقد سارع الداوي عثمان - رحمه الله - والي تونس إلى تأسيس منصب شيخ الأندلس كرئيس للمهاجرين الأندلسيين المنتخب من بينهم ، وكان الشيخ مصطفى أول شيخ عين فيها « (١) .

ولقد سارع الدعاة إلى المساهمة في النشاطات الدعوية المختلفة في المناطق التي أقاموا فيها ، وبذلوا جهوداً ضخمة في خدمة ونشر الدعوة الإسلامية ، وقد كان لتلك الجهود أثرها وثمارها في تثبيت إيمان المسلمين ، ونشر العلم والدعوة بينهم ، وتقوية عزائمهم ، ورفع معنوياتهم .

ومن أبرز المجالات الدعوية التي أسهم العلماء والدعاة فيها التعليم ، والقضاء ، والحسبة وإمامة المساجد وغيرها ، ومن أبرز العلماء في ذلك :
أولاً : في المجال العلمي :

١ - العالم الفقيه عيسى بن عبد الرحمن السكتي (السكتاني) الذي اشتهر بالجدال ضد النصارى ، قال الشهاب الحجري - رحمه الله - : « وقد ذكر لي بمراكش العلامة الفقيه ، النبيه ، الخير ، قاضي المسلمين سيدي عيسى بن عبد الرحمن السكتي » أنه من الجهاد الرد على الكفار ما يقولونه من الباطل في الأديان « (٢) .

٢ - العالم محمد بن علي العدي الذي كان مضرب المثل في حفظ القراءات

(١) محمد الوزير السراج - الخليل السندسية في الأخبار التونسية ، ج ١ ط (ب.ت) [تونس : الدار التونسية للنشر ١٩٧٠] ص ٥٨ .

وانظر : د/ علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص ٦١ .

(٢) أحمد بن قاسم الحجري - ناصر الدين على القوم الكافرين ، تحقيق محمد رزوق ط ١ [الدار البيضاء : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية] ص ١٣٧ .

وانظر : د/ محمد رزوق - الأندلسيون و هجراتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مرجع سابق ص ٢٨٤ .

السبع ، والمنظومات المتعلقة بعلوم القرآن ، مع الضبط والإتقان (١) .

٣- العالم المحدث محمد بن قاسم القصار ، محدث المغرب في وقته ، استقر بفاس وخلف السراج (٢) في الإفتاء والخطابة والكراسي العلمية ، واشتهر بدقة التفكير والعمق في البحث إذ كان « محدث المغرب في وقته ، وأحد العلماء الأعلام ، تميز بالحديث والفقه والتفسير والأصلين والبيان » (٣) .

٤- الفقيه محمد بن أحمد الجنان الغرناطي الأندلسي إمام مسجد الشرفاء بفاس ، الذي اشتهر بالفقه والفرائض والنحو والحساب (٤) ، وغيرهم .

ثانياً : في مجال القضاء :

برز في هذا المجال عدد كبير من الفقهاء الأندلسيين ، وتولوا القضاء في المناطق التي أقاموا فيها ، ومن أبرزهم :

١- علي بن قاسم الوقاد قاضي مكناس عام ١٠٢٢هـ-١٦١٣م (٥) .

(١) د/ محمد رزوق- الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مرجع سابق ص ٣٠٩ .

(٢) محمد بن الطيب القادري- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق ج ١ ط (ب.ت) [الرباط : دار المغرب للتأليف والنشر ١٩٧٧م] ص ٧٠ .

(٣) وانظر : محمد بن الطيب القادري- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، مرجع سابق ج ١/ ص ٨٦ .

وانظر د/ محمد رزوق- الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مرجع سابق ص ٣٠٩ .

(٤) محمد بن الطيب القادري- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، مرجع سابق ج ١/ ص ٣٧٩ وانظر د. محمد رزوق- الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مرجع سابق ص ٣٠٩ .

(٥) د/ محمد رزوق- الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مرجع سابق ص ٣١٥ .

وانظر : عبد الرحمن بن زيدان- إتحاف أعلام الناس بحمال أخبار حاضرة مكناس ج ٥ [الرباط : المطبعة الوطنية : ١٩٩٣م] ص ٤٥٧-٤٥٨ .

٢ - عبد السلام البجيري ، تولى القضاء في عهد السلطان مولاي عبد الله (١) .

٣ - أبو عبد الله محمد الرزيني الأندلسي ، أول قاض في تطوان بعد تجديدها (٢) .

٤ - محمد بن عبد الرحمن الكراسي الأندلسي ، الذي تولى القضاء بتطوان وأبقي قاضياً إلى أن مات (٣) .

٥ - أحمد بن محمد طانيه ، تولى القضاء بتطوان سنة ١٠٤٠ هـ ، وقد توارث أفراد أسرته القضاء والعدالة في تطوان أجيالاً متعددة (٤)

ثالثاً : في مجال الاحتساب :

أسهمت هجرة الدعاة من الأندلس في انتقال بعض الأنظمة والتنظيمات الإدارية والاجتماعية الإسلامية إلى البلدان التي هاجروا إليها ، ومنها الحسبة ، وتقلد بعض العلماء ولاية الحسبة في شمال أفريقيا ومنهم على سبيل المثال الحاج صالح الأندلسي في سنة ١٠٤٨ هـ ، يقول القادري - رحمه الله - « وتقلد الحاج صالح ولاية الحسبة ، فقطع شراب الدخان ، وبيعه ، وقطع اللهو وآلات الطرب من النساء ، وألزم الناس الصلوات في الوقت ، والستر في الحمام ، وغير مناكر شتى » (٥) .

(١) عبد الرحمن بن زيدان - إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، مرجع سابق ج ٤ / ص ١٣٢ .

وانظر : د/ محمد رزوق - الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مرجع سابق ص ٣١٥ .

(٢) د/ محمد رزوق - الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس والسابع عشر ، مرجع سابق ص ٣٢١ .

(٣) د/ محمد رزوق - الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مرجع سابق ص ٣٢١ .

(٤) د/ محمد رزوق - الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مرجع سابق ص ٣٢١-٣٢٢ .

(٥) محمد بن الطيب القادري - نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، مرجع سابق ، ج ١ / ص ٣٧٦ .

رابعاً : في مجال التعليم والتدريس :

أسهم العلماء الأندلسيون في التعليم والتدريس ، وأنشأ بعضهم مدرسة للتعليم في تونس احتساباً لوجه الله تعالى سنة ١٠٣٤ هـ ، وكان أول معلم فيها هو الشيخ شعبان الأندلسي الذي يعد من أعيان الأندلس الأول ، وقد تولى التعليم والتدريس بعد وفاته أبو الربيع سليمان ^(١) .

وإلى جانب هذا الأثر فقد خسرت أسبانيا في مطلع القرن السابع عشر الميلادي بخروج المسلمين نور الرسالة الخالد ، ومشعل الهداية للدين الحق ، الأمر الذي جعل غوستاف لوبون يبدي أسفه البالغ لما أصاب أسبانيا بعد خسارتها مليون مسلم ممن كانوا أئمة البلاد في حضارتها . ^(٢)

وقد عادت أسبانيا بعد هجرة المسلمين وحضارتها إلى التأخر ، وبقيت الدولة متعصبة للكاثوليكية النصرانية حتى القرن التاسع عشر ، وفقدت الدعوة الإسلامية في القرون الماضية من العصر الحديث قاعدة حيوية ، وبيئة استراتيجية لنشر الدعوة الإسلامية في أوروبا .

وعلى الرغم من كل ماسبق فإن الدعوة الإسلامية التي حوربت في الأندلس واضطهد اتباعها ، وهجروا خارج بلادهم ، دخلت إلى إسبانيا مرة أخرى عن طريق جهود بعض الدعاة المسلمين الأسبان أمثال بلاس انفانتي بيريز ^(٣) ، وهجرة أعداد كبيرة من المغاربة المسلمين ، واستقرارهم بأسبانيا في أوائل هذا القرن ، وقيام الجمعيات والمراكز الإسلامية بعد صدور قانون حرية الأديان سنة

(١) أبو عبد الله محمد الوزير السراج - الخلل السندسية في الأخبار التونسية ، مرجع سابق ج ١ / ص ٥٨ .

(٢) غوستاف لوبون - حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتير ط (ب . ت) [القاهرة : مطبعة عيسى البابي

الخليبي ١٩٦٩ م] ص ٥٨٤ - ٥٨٥ .

(٣) د/ علي المتصر الكتاني - الصحة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها ، مرجع سابق ص

٧٥ - ٧٩ .

(١٩٧٦م)، والاعتراف بالإسلام كدين من جملة الأديان الموجودة على الساحة
الأسبانية ، وكذلك جهود الطلبة المسلمين المبتعثين للدراسة هناك في الدعوة إلى
الله في المجتمع الأسباني (١) .

(١) د/ حسن الوراكلي ، الأقليات الإسلامية في العالم ظروفها المعاصرة ، آلامها وآمالها ط(ب.ت) [الرياض : العبيكان للطباعة والنشر (د.ن)] ص ١٠٥٩ - ١٠٧٠ .

المطلب الثالث : أمان المسلمين من الأذى والفتنة :

إن من أبرز الآثار الدعوية للهجرة على المهاجرين أمانهم من الأذى والفتنة ، وتخليصهم من الضغوط والاضطهادات المتنوعة سواء أكانت مادية أم كانت معنوية من قبل أعدائهم .

ولقد واجه المسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ - (١٤٩٢م) ، كما بينا سابقاً - (١) اضطهادات مختلفة ، وضغوطاً متنوعة كانت تهدف إلى القضاء على الدعوة الإسلامية ، وتنصير المسلمين : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٢) .

وعلى الرغم من كثرة العقبات وقسوة الاضطهاد ، وشدة الأذى ، إلا أن المسلمين أثناء المحنة ظلوا متمسكين بدينهم ، ولم يكن هيناً على أحد منهم أن يتنازل عنه لأي سبب من الأسباب ، وتحت أي ظرف من الظروف ، وقد وصف الفقيه المغراوي - رحمه الله - المسلمين أثناء المحنة والاضطهاد بقوله « إخواننا القابضون على دينهم كالقابضين على الجمر » (٣) .

كما كان للهجرة أعظم الآثار في رفع الأذى عن مسلمي الأندلس ، وتخليصهم من الاستعباد النصراني ، ومن جرائم محاكم التفتيش ، حتى إن كثيراً من المهاجرين عدوا أن الطرد والتهجير الإجباري سنة ١٠١٨هـ (١٦٠٩م) فرجاً من الله لهم لإنقاذ أنفسهم ، وأماناً لدينهم .

قال الشهاب الحجري - رحمه الله - : « وبعد ذلك باثنتي عشرة سنة ١٠١٨هـ فرج الله تعالى على مسلمي الأندلس الذي كانوا فيها تحت قهر سلطان البلاد

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث في الفصل السابع ص ١٩٦ وما بعدها .

(٢) سورة الصف الآيتان (٨-٩) .

(٣) د/ محمد عبد الله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٤٤ ، وسيأتي

لاحقاً إن شاء الله .

المسمى بفيليب الثالث بالخروج جميعاً من بلاده» (١).

وقال أيضاً - رحمه الله - : « ولا يخفى أن هذا أمر عظيم ومحال عادة - لما كنا فيه من الشدة والضييق في الدين والنفس والمال - فسبحان رب السموات والأرض الذي إذا أراد أمراً قال له كن فيكون ، فيالها من أعجوبة ما أعظمها ! ومن فضيلة ما أشرفها » .

ويقول عن مسلم استقر بتونس : « الحمد لله الذي انتزعنا من أيدي هؤلاء الكفرة (الأسبان) فقد كان الحقد يزداد والاتباعتنا محاكم التفتيش ، وانتزع منا أبنائنا ، وانتهبت أموالنا ، ومُستَّ أعراضنا ، وفي لحظة خاطفة كنا نجد أنفسنا في سجن مظلم كظلمة أغراضهم الدنيئة . . . ولهذا كنا نطلب من الله تعالى باستمرار أن يزيل عنا هذا الكرب ، ويسهل لنا أمر الخروج إلى دار الإسلام . . . وظل الأمر كذلك حتى استقر رأي فيليب الثالث ومستشاريه بإخراجنا من أسبانيا» (٢) .

ولأجل ذلك كانت الهجرة والإيواء إلى أرض الإسلام الآمنة هي الوسيلة الوحيدة للمهاجرين الأندلسيين ؛ للخروج من الذلة والخوف إلى الأمن والعزة .

(١) أحمد بن قاسم الحجري - ناصر الدين على القوم الكافرين ، مرجع سابق ص ١٧ .

(٢) د/ محمد رزوق - الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ،

مرجع سابق ص ١٢٥ .

وانظر : د/ محمد عبد الله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٩٨ .

المطلب الرابع : تمكين المسلمين من إقامة الشعائر وإظهار الشريعة :

إن من أبرز آثار الهجرة على المدعوين هو تمكينهم من إقامة دينهم ، وإظهار شعائرتهم ، وشريعتهم .

ولقد واجه المسلمون في الأندلس محاولات الكفار المتنوعة ، وقراراتهم الجائرة لمنعهم من أداء شعائر دينهم ، وإظهار شريعتهم ، وعلى الرغم من تلك السياسة العنيفة التي فرضها الكفار ، ومحاولاتهم المتكررة إلا أنها لم تكن لها أية نتيجة في منع المسلمين من القيام بالدين ، والمحافظة على العبادة ، فقد كان المسلمون يحافظون على الواجبات ، ويؤدون الفرائض ، ويقيمون الشعائر سرّاً في بيوتهم حتى صدر في أوائل القرن السابع عشر قرار تهجيرهم ، وما يؤكد ذلك من الشواهد : مقاله محمد بن عبد الرفيح الأندلسي - رحمه الله - بعد هجرته إلى تونس : « لقد أطلعني الله تعالى على دين الإسلام بواسطة والدي - رحمه الله - ، وأنا ابن ستة أعوام وأقل ، مع أنني كنت إذ ذاك أروح إلى مكتب النصراني لأقرأ دينهم ، ثم أرجع إلى بيتي فيعلمني والدي الإسلام . . . » (١) .

- رسالة الفقيه المغربي - رحمه الله - سنة ٩١٠هـ - للمسلمين الأندلسيين رسالة يحثهم فيها على التمسك بهذا الدين ، والحرص على ممارسة الشعائر ، قال - رحمه الله - : « الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً ، إخواننا القابضين على دينهم ، كالقابضين على الجمر ، من أجزل الله ثوابهم ، فيما لقوا في ذاته ، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته ، الغرباء القرباء إن شاء الله ، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته ، وارثو سبيل السلف الصالح ، في تحمل المشاق ، وإن بلغت النفوس إلى التراق ، نسأل الله أن يلفظ بنا ، وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه ، بحسن إيمان وصدق ، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، بعد السلام عليكم من كاتبه

(١) د/ محمد عبد الله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٤٠٣ .

إليكم ، من عبيد الله أصغر عبيده ، وأحوجهم إلى عفوهِ ، ومزيدهِ ، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني ، كان الله للجميع بلطفهِ وسترهِ ، سائلاً من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء ، بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار ، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار ، ومؤكداً عليكم في ملازمة دين الإسلام أمرين به من بلغ من أولادكم ، إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس ، وإذا ذكر الله بين الغافلين كالحَي بين الموتى ، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور ، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع ، وأن الملك ملك الله ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، فاعبدوه ، واصطبروا لعبادته ، فالصلاة ولو بالإيماء ، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء ، لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم ، والغسل من الجنابة ولو عوماً في البحور ، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار ، وتسقط في الحكم طهارة الماء ، وعليكم بالتيمة ولو مسحاً بالأيدي للحيطان ، وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم ، فأحرموا بالنية ، وانووا صلاتكم المشروعة ، وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم ، ومقصودكم الله ، وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام ، . . . ، وإن كلفوا عليكم خنزيراً فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم ، ومعتقدين تحريمه ، وكذا إن أكرهوكم على محرم ، وإن زوجوكم بناتهم فجائز لكونهم أهل الكتاب ، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه ، وأنكم ناكرون لذلك بقلوبكم ، ولو وجدتم قوة لغيرتموه ، وكذا إن أكرهوكم على رباً أو حرام فافعلوا منكبين بقلوبكم ، ثم ليس عليكم إلا رؤوس أموالكم ، وتتصدقون بالباقي ، إن تبتم لله تعالى ، وإن أكرهوكم على كلمة الكفر ، فإن أمكنكم التورية والإلغاز فافعلوا ، وإلا فكونوا مطمئني القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك ، وإن قالوا اشتموا محمداً فإنهم يقولون له مُمد ، فاشتموا مُمداً ، ناوين أنه الشيطان أو مد اليهود فكثير بهم أسمه . . . وإن

قالوا : قولوا المسيح ابن الله ، فقولوها إكراهاً ، وانووا بالإضافة للملك كبيت الله لا يلزم أن يسكنه أويحل به ، وإن قالوا قولوا مريم زوجه له فانووا بالضمير ابن عمها الذي تزوجها في بني إسرائيل ثم فارقها قبل البناء ، قاله السهيلي في تفسير المبهم من الرجال في القرآن ، أو زوجها الله منه بقضائه وقدره ، وإن قالوا عيسى توفي بالصلب فانووا من التوفية والكمال والتشريف من هذه ، وإماتته وصلبه وإنشاد ذكره ، وإظهار الثناء عليه بين الناس ، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو ، وما يعسر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن - شاء الله - على حسب ماتكتبون به ، وأنا أسأل الله أن يدل الكره للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله من غير محنة ولا وجلة بل بصدمة الترك الكرام ، ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به ، ولا بد من جوابكم ، والسلام عليكم جميعاً ، بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسع مائة ، عرف الله خيره ، يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى « (١) .

ولقد تحقق للمسلمين بفضل الله بعد الهجرة إلى البلاد الإسلامية أداء الواجبات وإقامة الشعائر ، وإظهار الدين والشريعة بكل حرية دون خوف أو إرهاب من سلطة الكفار وتسلط محاكم التفتيش .

(١) نشر هذه الوثيقة د/ محمد عبد الله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص

المطلب الخامس: إحياء عقيدة الولاء بين المسلمين

إن من أبرز آثار هجرة المسلمين من الأندلس إحياء مشاعر الولاء والنصرة والإخاء بين المسلمين ، كما أسهمت في وحدة المسلمين وتكتلهم ، ووحدت جهودهم لمحاربة الكفار فيما بعد .

فلم تقف الدولة العثمانية ممثلة بولاتها في شمال أفريقيا موقفاً سلبياً تجاه المهاجرين ، بل سارعت إلى حمايتهم ، واستقبالهم ، وإيوائهم ، ومساعدتهم ونصرهم ورفع الظلم عنهم (١) .

وكما مر معنا قريباً فقد كان لاهتمام الدولة العثمانية في شمال أفريقيا بالعلماء والدعاة أثر ملموس على المهاجرين ، كما كان لإعفائهم من جميع التكاليف ، والسماح لهم بالسكنى في المناطق التي يرغبونها أكبر الأثر في تحقيق الإخاء والولاء والنصرة بين المسلمين ، مما يعيد إلى الذاكرة موقف الأنصار الكرام من المهاجرين الأولين رضوان الله عليهم .

قال ابن أبي دينار - رحمه الله - : « وفي هذه السنة ١٠١٧ هـ (١٦١٨ م) والتي تليها جاءت - وفود - الأندلس من بلاد النصارى ، نفاهم صاحب أسبانية ، وكانوا خلقاً كثيراً ، فأوسع لهم عثمان داي في البلاد ، وفرق ضعفاءهم على الناس ، وأذن لهم أن يعمروا حيث شاءوا ، فاشترى الهناشير ، وبنوا فيها ، واتسعوا في البلاد فعمرت بهم ، واستوطنوا في عدة أماكن . . فصار لهم مدن عظيمة ، ومهدوا الطرق ، وصاروا يعدّون من أهل البلاد » (٢) .

(١) د/ محمد رزوق - الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مرجع سابق ص ١٢٤ .

وانظر : د/ عبد اللطيف الحميد - موقف الدولة العثمانية تجاه مأساة المسلمين في الأندلس ، مرجع سابق ص ١١٤ - ١٢٣ .

(٢) ابن أبي دينار - المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ط ٣ [بيروت : دار المسيرة ١٩٩٣ م] ص ٢٢٨ .

المطلب السادس: إسهام المهاجرين في الجهاد في سبيل الله

على الرغم من صعوبة الظروف ، والعقبات الكثيرة التي واجهت المهاجرين من الأندلس ، وهجرتهم إلى شمال أفريقيا والبلاد الإسلامية الأخرى إلا أنه وبعد استقرارهم في بعض القواعد الساحلية في شمال أفريقيا مثل وهران وسلا والجزائر ، وبجاية وتونس وهب الكثير من المهاجرين حياتهم للجهاد في سبيل الله ، وتطلعت طائفة منهم إلى العودة إلى بلادهم لجهاد الكفار الذين أخرجوهم منها ، وانتهكوا حرمة دينهم ، وظلموهم ، قال القادري - رحمه الله - : « إنهم انتظموا في جيش سلطان المغرب ، وسكنوا سلا وكان منهم من الجهاد في البحر ماهو مشهور الآن » (١) .

كما وجد أولئك المجاهدون كل تأييد ومساعدة من ولاية الدولة العثمانية في شمال أفريقيا وخصوصاً والي تونس الداوي عثمان - رحمه الله - يقول أحد المهاجرين المجاهدين إبراهيم مرياش - رحمه الله - : « وأقبل علي أمير المدينة عثمان داي - رحمه الله - وقدمني علي مائتي رجل من الأندلس ، وأعطاني خمسمائة سلطانية ، ومايتي مكحلة ، ومايتي سكيناً وغير ذلك مما يحتاج إليه سفر البحر » (٢) .

وقد استمرت عمليات الجهاد ضد الأسيان فترة من الزمن بعد الهجرة ، يقول المهاجر المجاهد إبراهيم مرياش - رحمه الله - « ركبنا البحر وسفرنا فيه في طلب الكفار وأموالهم ، ونحن بقرب مالقة . . . والتقيننا بأحد عشر غراباً . . . ووقعت الحرب الشديدة ومات من الجانبين خلق كثير » (٣) .

(١) محمد بن الطيب القادري - نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٤٥ ،

وانظر : د / محمد عبد الله عنان - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مرجع سابق ص ٣٨٣ .

(٢) د / محمد رزوق - الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مرجع سابق ص ١٣٥ .

(٣) د / محمد رزوق - الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مرجع سابق ص ١٣٥ .

المبحث الثاني

الآثار الدعوية لهجرة المسلمين التتار

توطئة :

لقد كان لهجرة المسلمين التتار من بلادهم آثارها ونتائجها، وسأحاول - إن شاء الله - تتبع أبرز ملامحها فيما يلي :

إن ما حلَّ بالمسلمين التتار بعد سقوط قازان سنة ٩٦٠هـ إلى وقتنا الحاضر يعد أشنع وأفظع مأساة عرفها شعب من الشعوب في التاريخ على الإطلاق، فقد عملت الحكومات الروسية المتعاقبة جهدها في اضطهاد التتار، ومحاولة محو آثارهم في البلاد التي أقاموا بها في روسيا.

ومنذ ذلك التاريخ بدأت صور الاضطهاد تظهر بأبشع مظاهرها لتحقيق أهداف الروس، فقاموا باضطهاد السكان، وأجبروهم على ترك الدين الإسلامي، وأكروهوهم على التنصير، والهجرة إلى أنحاء روسيا وسيبيريا وبلاد التركستان من آسيا الوسطى، بعد أن أحلت مكانهم عناصر عديدة من الروس والبلغار والأوروبيين، على النحو الذي تم عرضه في الصفحات السابقة^(١).

وقد أثبت الشعب التتاري المسلم إبان المحن والاضطهاد التي واجهته قدرته على البقاء بل والنمو، فقاوم الاضطهاد، وصبر على المحن أكثر من أربعة قرون دون أن يفقد معالمه، ومقومات شخصيته الإسلامية الفذة.

ولعل من أبرز الآثار التي أحدثتها هجرة المسلمين التتار من بلادهم حسبما رآه الباحث يتلخص فيما يلي من المطالب :

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٢١٥ وما بعدها.

المطلب الأول: أثر الهجرة في انتشار الإسلام

سجل الإسلام على طول تاريخه هذه الظاهرة من التحدي ورد الفعل ، فكلما ظهرت قوة تحاول القضاء عليه ، ظهر الإسلام ، وكسب أراضي جديدة ، وبيئات صالحة للانطلاق والنشر ، وحيث إن الدعوة الإسلامية في البلاد التتارية مرت بمراحل قاسية كانت تحد من انتشار الدعوة ، فقد مكنت الهجرة مسلمي التتر من نشر الإسلام في بعض الأقاليم التي مروا بها أثناء هجرتهم ، وبعض البلاد التي استقروا فيها ، أو نفوا قسراً إليها ، وأثمرت تلك الهجرات انتشار الإسلام في بعض الأقاليم ، ونجح المسلمون في بث الدعوة في تلك البلاد .

ومن الشواهد على ذلك :

١- انتشار الإسلام في سيبيريا ، وإسلام سكانها ، والقبائل التي كانت تقطن بين نهري أوبي وأريتش ، ودخول تلك القبائل في الإسلام ، وذلك عام (١١٥٨هـ) ١٧٤٥ م ، ولم يأت القرن الثالث عشر الهجري إلا وكانت جميع هذه القبائل تدين بالإسلام .^(١)

٢- انتشار الإسلام في آسيا الوسطى ، وسهول بلاد القازاخ ، وبلاد البشكير على أيدي تزار الفولجا المهاجرين .^(٢)

٣- انتشار الإسلام في قازاخستان في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ،

(١) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١ / ص ١٢٨ وانظر : محمود شاكر - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، مرجع سابق ص ٧٧ : سيد عبد المجيد بكر - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ط ٢ [جدة : دار الاصفهاني للنشر ١٤١٢هـ] ص ٣١٠ ، ص ٣٧٩ .

(٢) د/ محمد علي البار / المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١ / ص ٥١ .

(٣) شانثال لمريه والكسندر نبيغسن - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٩٢ .

ويعود نموه - بعد الله - إلى جهود تثار الفولجا الذين كانت لهم اليد الطولى في تشييد الجوامع وبناء المدارس القرآنية. (٣)

« لم يتجذر الدين الإسلامي في الجماهير إلا بعد الغزو الروسي لقازاخستان . . . ويعود انتشاره ونموه إلى جهود تجار الفولجا الذين طردهم القياصرة من وطنهم ، والذين كانوا يقومون ببناء المساجد والمدارس القرآنية. (١)

٤- انتشار الإسلام بين الغن الشرقيين من معتنقي الديانة النصرانية مثل اليودمرت ، والماردين ، والشوفاش ، والموديفينيان. (٢)

وقد يسّر انتشار الإسلام في تلك البلاد وغيرها ما تميز به الإسلام من البساطة وسمو المبادئ والتشريعات ، وإحساس المسلمين المهاجرين بواجبهم في نشر الدعوة ، رغم قسوة الظروف التي عانوا منها وواجهتهم في الهجرة .

ولا تزال أحوالهم يغمرها الكثير من التعتيم الإعلامي حتى يومنا هذا ، وذلك للرواسب الفكرية التسلطية في الاتحاد السوفيتي من ناحية ، ولضعفهم وعدم قدرتهم على إيصال صوتهم إلى العالم الخارجي وخاصة إلى إخوانهم في العالم الإسلامي .

(١) شانتال لمرييه والكسندر بنيغسن - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٩٢ .
وانظر : د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، مرجع سابق ج ١ / ص ٣٥٣ .
(٢) د/ محمود أبو العلا - المسلمون في الاتحاد السوفيتي سابقاً ط ١ [القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٣م] ص ٣٢ .

وانظر : محمود شاكر - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، مرجع سابق ص ٥٤ .

المطلب الثاني: المحافظة على الهوية الإسلامية للمسلمين

تتجلى آثار الهجرة وتظهر أسمى غاياتها في المحافظة على هوية الأمة المسلمة، ومقوماتها.

وعلى الرغم من جهود الروس العديدة، ومحاولاتهم المتكررة لاحتواء المسلمين التتر واستيعابهم، إلا أنهم لم يستطيعوا تنصير المسلمين، أو القضاء على عقيدتهم، سوى تأثيرهم على بعض ضعفاء الإيمان والدين ممن ارتدوا من مسلمي التتر (الكرياشن)^(١)، وهذا مما يؤكد تضمن الدين الإسلامي عوامل الثبات، وتميزه عن سائر الدعوات، وماله من أثر في نفوس الأفراد والجماعات.

ولقد تحمل المسلمون عبء المحافظة على الإسلام، وحرصوا كل الحرص على تأكيد الطابع الإسلامي في تصرفاتهم، ومظاهر حياتهم حتى في حياتهم الخاصة ما أمكن ذلك، وتمثلت هذه المحافظة في ظهور القومية الإسلامية بين التتر، فقد ارتبط في ضمير الشعب التتري المسلم المضطهد ضرورة المحافظة على كيانه واستقلاله، وتأصل في نفوسهم أهمية ارتباط القومية بالدين، وأصبح الحفاظ على الإسلام في نظرهم هو الحفاظ على هوية الأمة التترية وذاتيتها.

وقد بدأت القومية الإسلامية في الظهور على يد التتار لما عانوه من القياصرة، وإحساسهم القوي بالخطر الذي كان يهدد دينهم مما جعلهم أول من ربط هويتهم القومية ربطاً تاماً بالإسلام.

« فإثناء الاضطهادات التي عاناها المسلمون في القرن الثامن عشر ولا سيما قبائل التتار على نهر الفولجا، امتزج لدى هؤلاء التتار مفهوم الدين (الإسلام) بمفهوم القومية (الملة) ليصبح الدفاع عن الدين حافظاً لهوية الأمة». ^(٢).

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٢١٦.

(١) د/ محمد علي البار- المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، مرجع سابق ج ١/ ص ٩١ =

وعندما ظهرت حركة القومية الإسلامية في الإمبراطورية الروسية في القرن التاسع عشر الميلادي كان زعماءها من تتار الفولجا، ثم انتشر بعد ذلك في الأقاليم الأخرى بتأثير من تجار التتار الذين كانوا يمثلون الشتات التتري بعد طردهم من وطنهم على نهر الفولجا.

« وكان لهذه الحركة طابعها الخاص المتميز عن الحركات القومية التي ظهرت في البلاد العربية والإسلامية الأخرى، حيث كانت حركة تتار الفولجا قومية إسلامية منذ اللحظة الأولى، بينما كانت تلك الحركات القومية ذات مفاهيم غربية ليبرالية واشتراكية، بل ومتصادمة مع الإسلام في كثير من الأحيان^(١). وقد استمرت هذه الروح تسيطر على المسلمين التتري في سماتهم وخصائصهم وعاداتهم وتصرفاتهم، وهي تمثل جزءاً متكاملًا من كياناتهم:

- ففي مجال المحافظة على اللغة العربية:

فقد حاول الروس إلغاء الكتابة بالحرف العربي، وإبدالها بالحرف اللاتيني ثم الحرف الروسي، ولكن هذه المحاولات فشلت لتمسك التتار بلغتهم وثباتهم عليها إذ وقف كثير من الزعماء المسلمين يذودون عن الحرف العربي، ويبدلون قصارى جهدهم للحيلولة دون ذوبان شخصية المسلمين القومية.

«فحتى منتصف القرن التاسع عشر كان المسلمون الروس يستخدمون اللغة العربية واللغة الفارسية ولغة علمية مركبة هي مزيج من التشاغاتاي ولغة تتار قازان

= وانظر: د/ محمد عبده يماني - روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى ومحنة الانفتاح الجديد ط (ب.ت) [جدة: دار البلاد للطباعة والنشر (د.ن)] ص ٧٧.

(١) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، مرجع سابق ج ١/ ص ٩١.
وانظر: د/ محمد عبده يماني - روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى ومحنة الانفتاح الجديد، مرجع سابق ص ٧٧.

وكانت جميع هذه اللغات تكتب بالحرف العربي»^(١).

وقد انتبه المسلمون لهذه المحاولات، وحرصوا أن تكون اللغة العربية لغة تضمهم جميعاً، وانتبه الأدباء التتاري إلى خطورة ظهور اللغات الإقليمية الجديدة لأنها تشكل عامل هدم للوحدة اللغوية، وبالتالي للثقافة الإسلامية الروسية، ولذا فقد بُذلت جهود طيبة لمحاولة التقريب بين هذه اللغات، وفي عام ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) قام المفكر التتاري القرمي أسماعيل غسبرالي بإطلاق شعار (كونوا متحدين بلغتكم وأفكاركم وأعمالكم)، وحاول إيجاد لغة تركية مبسطة جامعة تفهمها كل الشعوب التركية في روسيا والعالم، وكتب بها جريدته (الترجمان) التي ظل ينشرها من سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) حتى عام ١٣٣٣هـ (١٩٢٤م)، والتي اعتبرت من أعظم الدوريات الإسلامية في ذلك الوقت.^(٢)

ومن أبرز الزعماء المسلمين التتاريين الذين شاركوا في الدفاع عن اللغة العربية والحرف العربي: غاليموجان إبراهيموف من تاتار الفولجا، الذي قبض عليه ثم قتل في السجن سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) لمقاومته تحويل الكتابة التتارية من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني.^(٣)

-
- (١) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، مرجع سابق ج ١/ ص ٩٣ وانظر: د/ محمد عبد القادر أحمد - الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر ط ١ [القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٤١٣هـ] ص ١٠٢ .
- : شانتال لمريه والكسندر بنيغسن - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي، مرجع سابق ص ٢٩ .
- (٢) د/ محمد علي البار - المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، مرجع سابق ج ١/ ص ٩٤ .
- وانظر: د/ محمد عبد القادر أحمد - الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر، مرجع سابق ص ١٠٩ .
- : شانتال لمريه والكسندر بنيغسن - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي، مرجع سابق ص ٣٠ .
- (٣) د/ محمد عبد القادر أحمد - الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر، مرجع سابق ص ١٠٨ .

- وفي مجال المحافظة على الشعائر والمظاهر الاجتماعية الإسلامية :

فقد بقي الإسلام حاضراً في أبسط الشعائر والعادات ، إذ يعتبرونها سمة مميزة للقومية «من ليس مختوناً لا يمكن أن يكون مسلماً، ومن ليس مسلماً لا يمكن أن يكون أوزبكياً أو تترياً أو شاشانياً»^(١)

وعلى الرغم من التأثير الكبير الذي أحدثته الشيوعية في نفوس الجيل الجديد من أبناء المسلمين إلا أن كثيراً من طبقات المجتمعات المسلمة تبدو ميالة إلى الحفاظ على حضور الدين حتى ولو كان رمزياً في كل مظاهر الحياة العامة والخاصة .

ففي عام ١٩٦٥م كان ٤٠ - ٥٠٪ من الآباء في قرى التتار المختلفة يسمون أبناءهم بأسماء إسلامية ، ويجرون لهم عملية الطهارة ، كما كان ٥٥ - ٦٠٪ يعتقدون قرانهم بمعرفة إمام المسجد ، في حين كان ٩٠٪ منهم يدفنون موتاهم حسب الشعائر الإسلامية .^(٢)

- وفي مجال الانتماء للأمة المسلمة :

فقد حرص المسلمون على الارتباط بماضيهم ، والانتماء إلى الرابطة التركية الإسلامية ، «ومما عزز الشعور بالهوية الإسلامية هو الوعي بالانتماء إلى مجتمع تاريخي واحد يتشاطر فيه أفرادة تقاليد دولية واحدة ، رموزها المفاهيم التركية - المغولية»^(٣)

ولقد استقر هذا المفهوم عند التتر منذ قرون ، حتى أصبح مانعاً يحول دون

(١) شانتال لمرييه والكسندر بينغسن - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٢١٩ .

(٢) د/ محمد عبد القادر أحمد - الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر ،

مرجع سابق ص ٣٦ و ص ٨٩ - ٩٠

وانظر : د/ نادر دولت - الأقليات المسلمة في العالم ظروفها المعاصرة ألامها وآمالها ، مرجع سابق

ج ١/ ص ٤٤٦ .

(٣) شانتال لمرييه والكسندر بينغسن - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ، مرجع سابق ص ٢٣٣ .

اندماج المسلمين بالثقافة الروسية، والذوبان في المجتمع الروسي .

ويرجع الفضل - بعد الله - في تقوية هذا الشعور إلى كثير من الكتاب المسلمين التتر الذين وظفوا كتاباتهم للدعوة الإسلامية، خصوصاً كتابات المفكر القرمي اسماعيل بك غسبر الي ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) (كونوا متحدين بلسانكم وأعمالكم وأفكاركم) (١).

وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي بذلها الروس للقضاء على الرابطة الإسلامية إلا إنهم فشلوا في ذلك، «وكان الحضري في آسيا الوسطى يشعر في بادئ الأمر أنه مسلم، بعد ذلك فقط يشعر أنه يقطن مدينة أو منطقة معينة» (٢)

ولقد حافظ المسلمون التتر على هذه الوحدة، والانتماء إلى هذه الرابطة فسارعوا إلى تكوين جاليات إسلامية للمهاجرين في بعض البلدان التي هاجروا إليها، ففي سيبيريا وسهول القازاخ كوّن المسلمون جاليات ترتبط بالمراكز الثقافية في الفولجا، ولكل جالية من هذه الجاليات جوامعها ومدارسها، ولا تزال هذه الجاليات التتيرية الإسلامية موجودة حتى الآن (٣).

- وفي مجال المحافظة على الثقافة الإسلامية والتعليم:

تميز المسلمون التتر بثقافة عالية، وكان لهم في سنة (١٩٣٥ م) من الصحف اليومية والمجلات ٢٠٨ صحف، ٣٧ صحيفة في جمهورية بشكيريا، و ٥ صحف في إقليم سيبيريا، وصحيفة في موسكو ولينجراد. (٣)

كما أصدر بعض المسلمين صحيفة يومية في طشقند اسمها (لينين بيروقي -

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث ص ٣٠٠.

(٢) د/ محمد عبد القادر أحمد - الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر، مرجع سابق ص ٨٩.

(٣) شانتال لمريه والكسندر بنغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي، مرجع سابق ص ١١٢.

وانظر: محمود أبو العلا - المسلمون في الاتحاد السوفيتي سابقاً، مرجع سابق ص ١٣٤.

(٤) د/ محمود أبو العلا - المسلمون في الاتحاد السوفيتي سابقاً، مرجع سابق ص ٣٢.

علم لينين) (١).

كما أنشاء المهاجرون التتار بعض المدارس الإسلامية في بعض البلدان التي هاجروا إليها سيبيريا وسهول القازاخ، كما أنشأ بعض المسلمين التتر بعض المدارس التتارية في منطقة جيزاق في أوزبكستان (٢).

وهكذا يتبين أن تمسك التتار الأتراك بدينهم الإسلامي، واعتزازهم به أسهم في نشر الدعوة، والمحافظة على هويتهم طوال العهود السابقة للاضطهاد الروسي واللاحقة له.

ومما سبق يتضح أن آثار الهجرة في العصر الحديث تعود على المهاجر في سبيل الله فرداً، وعلى الأمة المسلمة تبعاً، وعلى الدعوة الإسلامية نمواً ونشراً، ليتحقق هدف الدعوة الإسلامية في نشر الدعوة، وحمايتها، وأمان المدعويين من الأذى والفتنة في الدين.

(١) شانتال لمرييه والكسندر بنيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي، مرجع سابق ص ١٤٣.

(٢) شانتال لمرييه والكسندر بنيغسن - المسلمون في الاتحاد السوفيتي، مرجع سابق ص ١٤٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإنني أرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع وأن أكون قد سُددت ، وقمت بالمطلوب ؛ لكي تكون رسالة علمية مستوفية لما تضمنته من موضوعات .

وأسجل أهم ما توصلت إليه من النتائج في النقاط التالية :

١- إن مفهوم الهجرة في هذا البحث :

«ترك المسلم بلد الكفر خوف الفتنة ، والانتقال منه إلى بلد الإسلام للمحافظة

على دينه ، ونشر مبادئ الإسلام وتعاليمه»

٢- أن المقصود الأسمى من الهجرة من دار الكفر هو إعلاء كلمة الله ونصرة

دينه ، والخروج بالإسلام وأهله من مواطن الإهانة للحق إلى حيث تعلق كلمة الحق ، وترفع راية الإيمان .

٣- للهجرة أهميتها ومكانتها في الدعوة :

فهي إحدى مظاهر الولاء والبراء ، وإحدى ميادين الابتلاء لصدق إيمان

المهاجرين ، ومن أهم الواجبات عند خوف المسلم الفتنة في الدين ، وهي شريعة ماضية إلى يوم القيامة ، ومن أعلى مراتب الإسلام في الأجر والثواب ، وتعديل الجهاد في سبيل الله ، وهي ضرورة لحماية الدعوة الإسلامية إذا كثر الأذى .

٤- أن الهجرة وسيلة مهمة لها دورها وأثرها في حماية الدعوة ونشرها ،

والمحافظة على أتباعها ، فبالهجرة يستطيع المهاجرون تحقيق أهداف الدعوة وغاياتها ، ويؤمنون على أنفسهم وأرواحهم .

٥- أن المراد بدوافع الهجرة :

«القوة المحركة للفرد المسلم للخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام خوفاً من الفتنة ، وإبلاغاً لدعوة الله ابتغاءاً لمرضاته .

٦- أن حكم الهجرة يختلف باختلاف أحوال الناس ، فيكون واجباً عند خوف الفتنة في الدين ، وعلى من يخشى تأثره بالكفر والمعاصي ، ويكون ممتنعاً على من يعلم قيامه بالدعوة مع امتناعه من أذى الكفار ، وجائزاً لمن كان قادراً على النهوض بواجباته الشرعية .

٧- أن الهجرة موضوع البحث سنة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في حمل الدعوة لمن يحتاجها ، وبذلك سن الرسل - عليهم السلام - الهجرة لمن أتى بعدهم من المصلحين والدعاة ، ومن يخشى على دينه الفتنة من المسلمين .

٨- أن الأثر العظيم الذي أحدثته الهجرة النبوية الشريفة تمثل في ظهور الدعوة الإسلامية وانتشارها ، فشقت طريقها إلى الظهور ، وهداية الناس ، وتجلت عالمية الدعوة بوضوح أكبر ، وظهرت أمة الدعوة خير أمة أخرجت للناس .

٩- أن السبب الرئيس والقوة المحركة لهجرة المسلمين في العصر الحديث هو ما يعترضهم في بلادهم من الأذى المادي والمعنوي ، مما يدفعهم إلى الخروج من أوطانهم والاتجاه إلى بلاد المسلمين التي تتوافر فيها عوامل الأمن والحرية .

١٠- أن معوقات الهجرة تنقسم إلى قسمين :

أ- المعوقات الداخلية وهي : «العقبات المعنوية التي تعترض المسلم وتحول دون تحقيق الأهداف التي يريد المسلم تحقيقها من وراء هجرته .

ب- المعوقات الخارجية وهي : «العقبات المادية التي تعترض المسلم وتحول دون تحقيقه لأهداف الهجرة» .

١١- تعود أسباب ظهور المفاهيم الخاطئة في الهجرة إلى الجهل بكل أو ببعض

ما يتصل بمعنى الهجرة ودوافعها الشرعية وأحكامها، والغلو في الدين، والهوى الذي يدفع إلى تأويل النصوص والآراء لتتفق مع القناعات الخاطئة في تصور الهجرة.

١٢- أن آثار الهجرة تعود على المهاجر فرداً، وعلى الأمة المسلمة تبعاً، وعلى الدعوة الإسلامية نمواً ونشراً؛ ليتحقق هدف الدعوة الإسلامية في نشر الدعوة، وحمايتها، وأمان المسلمين من الأذى والفتنة في الدين.

التوصيات

إنني لأجد من المناسب في ختام رسالتي هذه، أن أورد بعض المقترحات والتوصيات، وتتلخص فيما يلي:

١- توجيه أقسام الدراسات العليا ومراكز البحوث لإعداد دراسات عن واقع أحوال المسلمين المهاجرين في العصر الحديث، كي تتمكن المنظمات الإسلامية والدعوية من أداء مهماتها في نشر الدعوة ومناصرة المسلمين، والدفاع عن حقوقهم داخل المجتمعات التي يقيمون فيها.

٢- ضرورة الاهتمام بالجاليات والأقليات المسلمة في بلاد الكفر، والوقوف إلى جانبها، والدفاع عن حقوقها، ورفع الظلم عنها، وتمكينها من العيش في أمن وسلام في مجتمعاتها، وممارسة شعائر دينها الإسلامي، حتي لا تتعرض للأخطار التي واجهت إخوانهم في بعض البلاد.

٣- إرشاد الشباب وتبصيرهم بمفاهيم الشريعة الغراء، حتى لا يقعوا في الغلو أو الفهم الخاطيء الذي يجبر عليهم وعلى أمتهم الويلات، والأخذ بأيديهم إلى طريق الهداية، وتدريبهم على حمل لواء الفكر الناضج، والعمل النافع، والحضارة الإنسانية الزاهرة التي تستمد مفاهيمها من الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

ولله الحمد في البدء والختام، وأسأله جل شأنه أن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً، وعملاً صالحاً، ودعوة صادقة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٢٤	٥٣	وإذ آتينا موسى الكتاب
١١١	١٢٤	وإذ ابتلى إبراهيم ربه
١٠٥	١٢٧	وإذ يرفع إبراهيم القواعد
٤٣	١٥٥	ولنبلونكم بشيء من الخوف
٤١	١٩١	والفتنة أشد من القتل
٥٤	١٩٣	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
٢٧-١٦-١٤-٧	٢١٨	إن الذين آمنوا والذين هاجروا
٣٧	٢٥١	ولولا دفع الله الناس
٩٣	٢٥٨	ألم تر إلى الذي حاج
٢٥٤-٨٠	٢٨٦	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها

آل عمران

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٦٦	١٩	إن الدين عند الله الإسلام
٢٧٣	٢٨	لا يتخذ المؤمنون الكافرين
ث	٣٩	ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون
١٥٣	٦٤	ألا نعبد إلا الله
ب	١٠٢	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
١٥٤	١١٠	كنتم خير أمة أخرجت للناس
٩٧	١٧٣	إن الناس قد جمعوا لكم

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٣	١٨٦	لتبلون في أموالكم
٥٠-٢٠-٧	١٩٥	فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم

سورة النساء

رقم الصفحة	رقمها	الآية
ب	١	يا أيها الناس اتقوا ربكم
٣٨	٦	فادفعوا إليهم أموالهم
١٦٠-١٥٩	٣٣	ولكل جعلنا موالى
١٧١	٧٥	ربنا أخرجنا من هذه القرية
٨	٨٩	فلا تتخذوا منهم أولياء
٢٥٧	٩٤	يا أيها الذين آمنوا
٧٥-٧١-٦٩-٢٠-١٩-١٥	٩٧	إن الذين توفاهم الملائكة
١٧٣-٨١	٩٩-٩٨	إلا المستضعفين من الرجال والنساء
٨١-٨٠-٣٥-٢٧-١٣-٣-ث	٩٩-٩٨	فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم
٦٧-٣٣-٢٤-٢٢-٨-٣	١٠٠	ومن يهاجر في سبيل الله
١١١-١٠٧	١٢٥	واتخذ الله إبراهيم خليلاً

سورة المائدة

١٢٧-١٢٦	٦-٢٠	وإذ قال موسى لقومه
١٢٥	٤٤	إنا أنزلنا التوراة
٢٦٣	٥١	يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٢	٥٥	إنما وليكم الله ورسوله

الأنعام

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٤	٣٣	فإنهم لا يكذبونك
٤٦-٤٤	٣٤	ولقد كذبت رسل من قبلك
٤٤	٣٥	وإن كان كبر عليك إعراضهم
٩٣-٧٦	٦٨	وإذا رأيت الذين
٨٨	٧٤	وإذا قال إبراهيم لأبيه أزر
٦٤	٩٢	وهذا كتاب أنزلناه مبارك
٤٦	١١٢	وكذلك جعلنا لكل نبي
١١٢	١٦٣-١٦٢	قل إن صلاتي

الأعراف

٥٩	٨٨	قال الملأ الذين استكبروا
١١٩-١١٧	١١٢-١٠٤	وقال موسى يا فرعون إنني رسول
٦٤	١٢٤	لأقطعن أيديكم
٦٤	١٢٥	قالوا إنا إلى ربنا منقلبون
١١٩	١٢٧	وقال الملأ من قوم فرعون
٥٠	١٢٩	قالوا أوذينا من قبل
١٣٠	١٣٦	فانتقمنا منهم
١٢٨	١٣٧	وأورثنا القوم الذين كانوا

١١٧	١٤٤	قال يا موسى إني اصطفيتك
١٢٦-١٢٥	١٤٥	وكتبنا له في الألواح
١٥٣-٦٧-٦٦	١٥٨	قل يا أيها الناس إني رسول الله

الأنفال

١٦٠	٢٦	واذكروا إذ أنتم قليل
١٤٢-٥٨-١٣-ت	٣٠	وإذ يكرهك الذين كفروا
٢٧٢-٧٤-٢٠-١٥-٤	٧٢	إن الذين آمنوا وهاجروا

التوبة

٢٨-٢٦-١٤	٢٠	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
٢٨	٢١	يبشرهم ربهم برحمة منه
٢٨	٢٢	خالدين فيها أبدا
٢٤٥	٢٤	قل إن كان آباؤكم
١٤٥-١٤٤	٤٠	إلا تنصروه فقد نصره الله
١٢	٧١	والمؤمنون والمؤمنات
٥٦	١٠٠	والسابقون الأولون
٩١	١١٤	وما كان استغفار إبراهيم

يونس

٤٣	٧٨	قالوا أجبنا لتلفتنا
١٢٤	٩٠	آمنت أنه لا إله إلا الذي
١٢٤	٩٢	فاليوم ننجيك بيدك

الرعد		
رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٢٤	١٧	فأما الزيد فيذهب جفاء
إبراهيم		
رقم الصفحة	رقمها	الآية
٥٩	١٣	وقال الذين كفروا
٩٩	٣٧	ربنا إني أسكنت
النحل		
٢٦٣-٥٠-٢٩-٢٥	٤١	والذين هاجروا في الله
٢٦١-٥٧	١٠٦	ولكن من شرح بالكفر صدراً
٤١-٢٧	١١٠	ثم إن ربك للذين هاجروا
١١١-١١٠-٨٩	١٢٠	إن إبراهيم كان أمة قانتاً
١١١	١٢٣	ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة
الإسراء		
٤٤	٧٣	واحذرهم أن يفتنوك
٦٣-٦٢	٧٦	وإن كادوا ليستفزونك
١٢٧	٤٤	سنة من قد أرسلنا
١٣٠	١٠٣	فأتبعهم فرعون بجنوده
الكهف		
٢٤٧	١٦	وإذا اعتزلتموهم

مريم

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٩١-٩٠	٥٠-٤١	واذكر في الكتاب
٥٧	٤٦	قال أراغب أنت
١٠٨	٥٠-٤٩	فلما اعتزلهم وما يعبدون

طه

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١١٧	١٤-١١	فلما أتاها نودي يا موسى
١١٤	٤٠-٣٧	ولقد مننا عليك مرة أخرى
١١٨	٤٧-٤٢	اذهبا إلى فرعون إنه طغى
١١٩	٦٣	وأوحينا إلى أم موسى
١٢٢	٧٩-٧٧	ولقد أوحينا إلى موسى
١٣٠	٧٩-٧٨	فأتبعهم فرعون بجنوده
٣٣	٧٩	وأضل فرعون قومه
١٢٦	٩٨-٨٣	وما أعجلك عن قومك يا موسى

الأنبياء

٩٢-٩١-٨٩	٦٧-٥١	ولقد آتينا إبراهيم رشده
١٠٩	٦٥-٦٢	قالوا أنت فعلت هذا

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٩٢	٧٠-٦٨	قالوا حرقوه وانصروا آلهمكم
٩٥	٧١	ولنجيناها ولوطاً
		الحج

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١١٦-١٠٥	٢٨-٢٦	وإذ بوأنا لإبراهيم
٣٨-١٤	٣٨	إن الله يدافع عن الذين آمنوا
١١٢	٤٠	ولينصرون الله من ينصره
١٠٩	٧٨	ملة أبيكم إبراهيم
		النور

الصفحة	رقمها	الآية
١٥٤	١٥٨	وعد الله الذين آمنوا
		الفرقان

الصفحة	رقمها	الآية
٤٧-ت	٣١	وكذلك جعلنا لكل نبي
		الشعراء

الصفحة	رقمها	الآية
١١٩-٥٨	٢٩	قال لئن اتخذت إلهاً غيري
١٢٢	٦٨-٥٢	فأوحينا إلى موسى
١٢٨	٦٨-٥٢	وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٥١	٥٦-٥٣	فأرسل فرعون في المدائن
١٢٧	٦٢-٦١	فلما تراءى الجمعان
١٣٠	٦٧-٦٥	وأنجينا موسى ومن معه
٥٧	١١٦	قالوا لئن لم تنته يا نوح

النمل

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٤-٤٣	١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
٥٩	٥٦	فما كان جواب قومه

القصص

الصفحة	رقمها	الآية
١٢٩	٥	ونريد أن نمنن على الذين
١١٤	٩-٧	وأوحينا إلى أم موسى
١١٦-١١٥	٢٢-١٥	ودخل المدينة علي حين غفلة
١١٧	٢٥-٢٣	ولما ورد ماء مدين
١١٨	٣٠-٢٩	فلما قضى موسى الأجل
٤٧	٣٩	واستكبر هو وجنوده

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٣٠	٤١	وجعلناهم أئمة
١٣٠	٤٢	وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة

العنكبوت

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٦-٤٥	٢	أحسب الناس أن يتركوا
١٤	٣	ولقد فتنا الذين من قبلهم
٩٠	١٧-١٦	وإبراهيم إذ قال لقومه
٦٤	٢٤	فما كان جواب قومه
٩٣-٤٧-٣٠-١٣	٢٦	فأمن له لوط وقال
٦٩	٢٨	وما أرسلناك إلا كافة
٦٧-١٧-١٤-ث	٥٦	يا عبادي الذين آمنوا

الأحزاب

١٥٩	٦	وأولوا الأرحام بعضهم أولى
١٥٢	٦٢	سنة الله في الذين خلوا من قبل
ب	٧١-٧٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً

يس

١٢٧	٨٢	إنما أمره إذا أراد شيئاً
-----	----	--------------------------

الصفات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٩٢-٤٧	٩٧	قالوا ابنوا له بنياناً
٤٧	٩٨	فأرادوا به كيداً
٩٣	٩٩	وقال إنني ذاهب إلى ربي
٩٨	١٠٠	رب هب لي من الصالحين
١٠١	١١٠-١٠٢	فلما بلغ معه السعي
١٠٢	١٠٥-١٠٤	أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا
٤١	١٦٢	ما أنتم عليه بفاتنين
١٢٨	١٧٣-١٧١	ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا

ص

	رقمها	الآية
٤٤	٧-٦	وانطلق الملائم منهم
		غافر
ت	٥	وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه
١١٩-٦٤	٢٦	وقال فرعون ذروني
٥٢	٢٨	أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله
١٣١	٤٦-٤٥	فوقاه الله سيئات ما مكروا
١٢٨	٥١	إننا لننصر رسلنا

فصلت

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٤	٢٦	وقال الذين كفروا
٤٧-٤٦	٤٣	ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل

الزخرف

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١١٨	٤٦	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا
١٢١	٥١	ونادى فرعون في قومه

الدخان

١٢٢	٣٣-١٧	ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
-----	-------	---------------------------

المجادلة

١٢	٢٢	لا تعجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
----	----	---

الحشر

٥٠-٢٣-١١	٨	للفقراء المهاجرين
١٥٨-١٣-٤	٩	والذين تبوءوا الدار والإيمان

المتحنة

١١١	٤	قد كانت لكم أسوة حسنة
-----	---	-----------------------

رقم الصفحة	رقمها	الآية	الصف
ب-٢٧٧	٨-٩	يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم	التغابن
٢٥٤-٨٠	١٦	فاتقوا الله ما استطعتم	الطلاق
الصفحة	رقمها	الآية	
١٠٢	٢-٣	ومن يتق الله يجعل له مخرجاً	النازعات
الصفحة	رقمها	الآية	
١١٨	١٧-٢٠	أذهب إلى فرعون إنه طغى	البروج
الصفحة	رقمها	الآية	
٤١	١٠	إن الذين فتنوا المؤمنين	العلق
الصفحة	رقمها	الآية	
٥٧	٩-١٩	أرأيت الذي ينهى	
٥٨	١٧-١٨	كلا لئن لم يتنه	
٦١-٦٠	١٧	فليدع ناديه	
٦١-٦٠	١٨	سندع الزبانية	

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٦٠	١٩	كلا لا تطعه
	النصر	
الصفحة	رقمها	الآية
١٥٥	٣-١	إذا جاء نصر الله والفتح

فهرس تخريج الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
	(أ)	
١	أتأذنين لي أن أحلبها	١٤٧
٢	أتعلم أول زمرة	٢٨
٣	أخرج من عندك	١٤٣
٤	إذا رأ يتم مسجداً	٢٥٠
٥	إذا قال الرجل لأخيه	٢٥٨
٦	أشد الناس بلاء	١٤
٧	ألا تعجبون كيف يصرف الله	٤٩
٨	ألا رجل يحملني إلى قومه	١٤١
٩	اللهم اجعل له آية	١٨١
١٠	اللهم انج عياش بن أبي ربيعة	٨٢
١١	اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة	١٥٥
١٢	اللهم اهد دوساً	١٨٢-١٨٠
١٣	اللهم نور له	١٧٩
١٤	اللهم وليديه فاغفر	١٨٢-٢٥
١٥	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا	٢٦٤
١٦	أنا أولى بموسى منهم	١٢٣
١٧	أنا بريء من كل مسلم يقيم	٧٣-٧٢-١٨

١٧١	إن الله عز وجل قد جعل لكم	١٨
٢٤٠	إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة	١٩
١٩	إن الهجرة لا تنقطع	٢٠
٥٥-٣٤	إن بأرض الحبشة ملكاً	٢١
٢١	إن الشيطان قعد لابن آدم	٢٢
٤٠٩	إنما الأعمال بالنيات	٢٣
٧٩	إن مقامك في مكة خير	٢٤
٢٠٤	إنها ستكون هجرة بعد هجرة	٢٥
٣١	أن يسلم قلبك لله	٢٦
٣١	أومخرجي هم	٢٧
٢٥٩-٢٥٨	أيما رجل قال لأخيه	٢٨
	(ب)	
٨٤	بلغوا عني ولو آية	٢٩
١٥٨	(ت)	
١٤٨	تأخوا في الله	٣٠
١٤٧	تبايعوني على السمع والطاعة	٣١
٥٩	تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله	٣٢
	تفرقوا في الأرض	٣٣
	(ح)	
٩٢	حسبنا الله ونعم الوكيل	٣٤

	(ذ)	
١١١	ذاك ابراهيم عليه السلام	٣٥
٢٢	ذهب أهل الهجرة بما فيها	٣٦
	(ر)	
٣١	رأيت في المنام	٣٧
١٠٠	رؤيا الأنبياء حق	٣٨
	(ع)	
١٤٥-٦٠	علمت أنك خير أرض الله	٣٩
	(غ)	
١٧٧	غفار غفر الله لها	٤٠
	(ف)	
١٤٣	فإني قد أذن لي بالخروج	٤١
٩٩	فذلك سعي الناس بينها	٤٢
١٢٣	فلو كنت ثم لأريتكم	٤٣
٢٥	في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً	٤٤
	(ق)	
١٧٢	قد أريت دار هجرتكم	٤٥
١٦١	قد بلغ وعيد قريش فيكم	٤٦

	(ك)	
٥٢	كان الرجل فيمن قبلكم	٤٧
٢٥٦	كل المسلم على المسلم حرام	٤٨
	(ل)	
١٩	لا تنقطع الهجرة	٤٩
٧١	لا يقبل الله من مشرك	٥٠
٥	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده	٥١
٤٨	لقد أخفت في الله	٥٢
٢٨	للمهاجرين منابر من ذهب	٥٣
٩٦	لم يكذب إبراهيم النبي	٥٤
٥٨-٤٩	لو فعله لأخذته الملائكة	٥٥
	(م)	
١٥١	ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٥٦
٥	المؤمن من أمنه الناس	٥٧
٢٥٤	ما نهيتكم عنه فاجتنبوه	٥٨
١٤٧	ما هذه الشاة يا أم معبد	٥٩
١٢	مثل المؤمنين في توادهم	٦٠
١٣٥	ممن أنت	٦١

١٣٦	ممن أنتم	٦٢
٧٢	من جامع المشرك وسكن معه	٦٣
٢٥٩	من حلف بجملة غير الإسلام	٦٤
٢٤	من خرج من بيته مهاجراً	٦٥
٢٥٩	من دعا رجلاً بالكفر	٦٦
١٣٨	من يؤويني ، من ينصرني (ن)	٦٧
١٤٤	نم على فراشي (و)	٦٨
١٧	وأنا أمركم بخمس	٦٩
١٧٠	والله ما أدري ، أبقدوم جعفر	٧٠
١٠٤	ولم يكن لهم يومئذ حب	٧١
٢٤	ومن يحول بينك وبين التوبة	٧٢
٥	والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه	٧٣
٢١	ويحك ، إن شأن الهجرة (ي)	٧٤
٢٥٨	يا أسامة ، أقتلته بعد ما قال	٧٥
١٥٤	يا بني النجار ثامنوني حائطكم	٧٦

٢٢	يؤم القوم أقرؤهم	٧٧
١٠٠	يرحم الله أم إسماعيل	٧٨
٨٨	يلقى إبراهيم أباه	٧٩
٧٥	يوشك أن يكون	٨٠

فهرس المصادر والمراجع أولاً: كتب القرآن وعلومه

أ- القرآن الكريم

ب- علوم القرآن

- ١- الراغب الأصفهاني حسين بن محمد
المفردات في غريب القرآن
دار المعرفة بيروت
تحقيق محمد سيد كيلاني
- ٢- محمود بن عبدالله الألوسي
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
دار الفكر العربي القاهرة
- ٣- الحسين بن محمد الدامغاني
قاموس القرآن الكريم
دار العلم للملايين
تحقيق عبدالعزيز سيد الأهل
- ٤- الفخر الرازي محمد بن عمر
التفسير الكبير
دار الفكر بيروت
١٤١٠هـ
- ٥- محمد رشيد رضا
تفسير المنار الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل
دار الفكر - بيروت
١٤٠٧هـ
- ٦- محمود بن عمر الزمخشري
وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
- ٧- عبدالرحمن السعدي
تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض
١٤١٠هـ
دار إحياء التراث

- ٨- محمد بن محمد أبو السعود تفسير أبو السعود العربي - بيروت
- ٩- محمد الأمين محمد المختار الجكني الشنقيطي أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الرياض - دار الفكر ١٤٠٦هـ
- ١٠- محمد علي الشوكاني فتح القدير عالم الكتب بيروت دار الفكر ١٤٠٣هـ
- ١١- محمد بن جرير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن عالم الكتب بيروت دار الفكر ١٤٠٨هـ
- ١٢- محمد بن عبدالله أبوبكر ابن العربي أحكام القرآن دار إحياء التراث العربي - تحقيق محمد علي البجاوي
- ١٣- محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٥هـ
- ١٤- إسماعيل بن كثير تفسير القرآن العظيم مكتبة دار السلام الرياض ١٤١٣هـ

- ١١- زين الدين أبو الفرج
عبد الرحمن بن شهاب الدين
(ابن رجب)
- جامع العلوم والحكم
بيروت مؤسسة
الرسالة تحقيق: شعيب
الأرناؤوط وإبراهيم
باجس
- ١٢- محمد بن عبدالله أبو بكر
العربي
- عارضه الأحوزي
شرح صحيح الترمذي
دار الكتاب العربي
بيروت
- ١٣- أحمد بن حجر العسقلاني
- فتح الباري بشرح
صحيح البخاري
دار المعرفة بيروت
- ١٤- بدر الدين العيني
- عمدة القاري بشرح
صحيح البخاري
دار إحياء التراث
العربي - بيروت
- ١٥- صفى الرحمن
المباركفوري
- تحفة الأحوزي
دار الكتب العلمية
بيروت ١٤٠٠هـ
- ١٦- محمد بن يزيد القزويني
ابن ماجه
- سنن ابن ماجه
تحقيق محمد فؤاد
عبد الباقي
دار الكتب العلمية
- ١٧- مسلم بن الحجاج القشيري
- صحيح مسلم
الرئاسة العامة لإدارة
البحوث العلمية
والإفتاء والدعوة
والإرشاد ١٤٠٠هـ.
- ١٩- أحمد بن شعيب النسائي
- سنن النسائي
دار البشائر الإسلامية
بيروت

ثالثاً: كتب السيرة النبوية

- ١- علي بن أبي الكرم (ابن الأثير)
أسد الغابة في معرفة الصحابة
دار الفكر- بيروت
- ٢- سعيد حوى
الرسول ﷺ
دار السلام- القاهرة
١٤١٠هـ
- ٣- محمد الخضري
نور اليقين في سيرة سيد المرسلين
دار الحديث- القاهرة
١٤١٢هـ
- ٤- مصطفى السباعي
السيرة النبوية دروس وعبر
المكتب الإسلامي
١٤٠٦هـ
- ٥- محمد بن سعد
الطبقات الكبرى
دار صادر- بيروت
١٩٦٠م
- ٦- عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي
الروض الأنف
بيروت - دار الفكر
تقديم وتعليق
عبدالرؤوف سعد.
- ٧- محمد الصالحى
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد
لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة
١٤٠٧هـ
- ٨- محمد عبدالوهاب
مجموعة التوحيد.
شركة العبيكان للطباعة والنشر- الرياض
- ٩- أكرم ضياء العمري
السيرة النبوية الصحيحة
مكتبة العلوم والحكم
المدينة المنورة ١٤١٣هـ

- ١٠- شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ابن القيم)
 زاد المعاد في هدى خير العباد
 بيروت مؤسسة الرسالة
- ١١- محمد يوسف الكاندهلوي
 حياة الصحابة
 دار الكتاب العربي
 ١٤١٢هـ
- ١٢- إسماعيل بن كثير
 قصص الأنبياء
 القاهرة- دار الروضة
 تحقيق ودراسة السيد جبريل وعادل أبوالمعاطي
- ١٣- عبد الملك بن هشام
 السيرة النبوية
 دار الكتاب العربي
 بيروت ١٤١٣هـ
- ١٤- محمد السيد الوكيل
 تأملات في سيرة الرسول ﷺ
 دار المجتمع للنشر والتوزيع- جدة
 ١٤١٠هـ

رابعاً: كتب الفقه

- ١- عبد السلام بن عبد الله
الحراني بن تيمية
 - ٢- منصور البهوتي
 - ٣- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية
 - ٤- محمد ابن إدريس الشافعي
 - ٥- محمد الخطيب الشربيني
 - ٦- عبداللطيف آل الشيخ
 - ٧- عبدالرزاق بن همام
 - ٨- عبدالله بن محمد
عبدالوهاب
 - ٩- محمد بن صالح العثيمين
 - ١٠- محمد أحمد عيش
- المحرر في الفقه
كشف القناع عن متن
الإقناع
مجموع فتاوى شيخ
الإسلام
الأم
مغنى المحتاج
مجموعة الرسائل النجدية
سبل السلام شرح
بلوغ المرام من أدلة
الأحكام
الدرر السنية في
الأجوبة النجدية
مجموع فتاوى
ورسائل الشيخ محمد
بن صالح العثيمين
فتح العلي المالك في
الفتوى على مذهب
الإمام مالك
- مكتبة المعارف-
الرياض
عالم الكتب-بيروت
مكتبة المعارف- جمع
وترتيب: عبدالرحمن
بن محمد القاسم-
الرياض
بيروت- دار المعرفة
١٣٩٣هـ
دار الفكر- بيروت
دار العاصمة الرياض ١٤٠٩هـ
مطابع جامعة الإمام
محمد بن سعود
الإسلامية ١٤٠٥هـ
دار الإفتاء الرياض
١٣٨٥هـ
دار الثريا- الرياض
١٤١٤هـ
بيروت- دار المعرفة

- ١٢ - عبدالله بن أحمد بن قدامة
 ١٣ - شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ابن القيم)
 ١٤ - علاء الدين مرداوي
- المغني
 أحكام أهل الذمة
- مكتبة الرياض الحديثة
 دار العلم للملايين - بيروت تحقيق د. صبحي الصالح
 دار الأحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٦ هـ
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف
- الأداب الشرعية والمنح المرعية
- مكتبة ابن تيمية القاهرة
- ١٥ - محمد بن مفلح المقدسي
- روضة الطالبين وعمدة المفتين
- المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٥ هـ
- ١٦ - يحيى بن شرف الدين النووي
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب
- دار الغرب الإسلامي بيروت - ١٤٠٧ هـ
- ١٧ - أحمد بن يحيى الوشرسي

خامساً: كتب المراجع الدعوية

- ١- د. محمود أبو العلا المسلمون في الاتحاد السوفيتي سابقاً
القاهرة مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٩٣/ ط
أولى
- ٢- محمد عبدالقادر أحمد الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي
القاهرة- مكتبة النهضة المصرية ط/ أولى
١٤١٣هـ
- ٣- د. إبراهيم إمام أصول الاعلام الإسلامي
دار المنارة- جدة ١٤٠٦هـ
- ٤- أحمد البراء الأميري إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن
المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ
دار الشروق - جدة ١٤٠٣هـ
- ٥- د. محمد علي البار العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة
دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٨هـ
- ٦- صديق بن حسن البخاري الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا
دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٨هـ
- ٧- سيد عبدالمجيد بكر ناصر الدين على القوم الكافرين
الدار البيضاء- منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلامية
جدة ط/ ثانية ١٤١٢هـ
- ٨- أحمد بن قاسم الحجري التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين
الدار البيضاء- منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلامية
عمان ١٤٠٠هـ
- ٩- د. محمد عبده حاملة التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة
دار الاصلاح- القاهرة ١٤٠٣هـ
- ١٠- د. عبدالرحمن الحجري

- ١١- د. محمد حرب الإسلام في آسيا
الوسطى والبلقان
دار البشائر الإسلامية
بيروت- ١٤١٥هـ
- ١٢- د. أحسان حقي المسلمون أمام التحدي
العالمي
مؤسسة الرسالة-
بيروت ١٤٠٣هـ
- ١٣- د. عبداللطيف الحميد مواقف الدولة العثمانية
تجاه مأساة المسلمين في
الأندلس
العبيكان- للطباعة
والنشر- الرياض
١٤١٤هـ
- ١٤- د. حسني يوسف دويدار المسلمون المدجنون في
الأندلس
القاهرة- المطبعة
الإسلامية ١٤١٤هـ
- ١٥- د. توفيق محمد سبع أضواء على الهجرة
الهيئة العامة لشؤون
المطابع الأميرية-
القاهرة ١٣٩٣هـ
- ١٦- محمد السمان الهجرة بداية مراحل
التحول والانطلاق
مجمع البحوث
الإسلامية القاهرة
١٩٧٢م
- ١٧- محمود شاكر المسلمون تحت السيطرة
الشيوعية
المكتب الإسلامي-
بيروت ١٤٠٢هـ
- ١٨- د. سيد محمد الساداتي ركائز الإعلام في دعوة
إبراهيم عليه السلام
دار عالم الكتب
الرياض ١٤١٥هـ
- ١٩- د. عبدالقادر محمد طاش المسلمون في الاتحاد
السوفيتي
الشركة السعودية
للأبحاث والنشر جدة
١٤١٢هـ
- ٢٠- د. عبدالله الطريقي الولاء والبراء في علاقة
المسلم بغير المسلم
الرياض- دار الوطن
١٤١١هـ
- ٢١- د. سعد ظلام من دروس الهجرة
الدفاع عن أهل السنة
القاهرة- دار المعارف
دار القرآن الكريم

- ٢٢- حمد بن علي العتيق
٢٣- د. عبدالله عزام
- والأتباع
السرطان الأحمر
- بيروت- ١٤٠٠هـ
عمان- مكتبة الاقصى
١٤٠٠هـ
- ٢٤- د. يوسف القرضاوي
- ظاهرة الغلوفي التكفير
- مكتبة وهبة- القاهرة
١٤١١هـ
- ٢٥- د. يوسف القرضاوي
- الصحوة الإسلامية بين
الجحود والتطرف
- القاهرة- دار الصحوة
١٤١٢هـ
- ٢٦- د. علي المنتصر الكتاني
- الصحوة الإسلامية في
الاندلس اليوم-
جذورها ومسارها
- مطابع مؤسسة الخليج
للنشر والطباعة
الدوحة ١٤١٢هـ
- ٢٧- عبدالرحمن اللويحق
- الغلوفي الدين في حياة
المسلمين المعاصرة
- مؤسسة الرسالة-
بيروت ١٤١٣هـ
- ٢٨- عبدالرحمن حسن الميداني
- أجنحة المكر الثلاثة
وخوافيها
- وفق- دار العلم
١٤١٠هـ
- ٢٩- عبدالرحمن حسن الميداني
- ضوابط المعرفة وأصول
الاستدلال والمناظرة.
- دار القلم للطباعة
والنشر- دمشق
١٤٠٨هـ
- ٣٠- د. حسن الوراكلي
- الأقليات الإسلامية في
العالم، ظروفها
المعاصرة آلامها،
وآمالها
- شركة العبيكان
للطباعة والنشر-
الرياض
- ٣١- د. محمد عبده يماني
- روسيا والمسلمون في
آسيا الوسطى، ومحنة
الانفتاح الجديد
- دار البلاد للطباعة
والنشر جدة

سادساً: كتب المراجع العامة

- ١- علي بن أبي الكرم ابن الأثير
٢- د. د. مقداد يالجن
و د. يوسف القاضي
 - ٣- محمد خليفة بركات
 - ٤- أحمد بن محمد التلمساني
 - ٥- أحمد بن محمد التلمساني
 - ٦- علي إبراهيم حسن
 - ٧- د. أسعد حومد
 - ٨- ابن أبي دينار
 - ٩- د. أحمد عزت راجح
 - ١٠- عبدالرحمن بن زيدان
 - ١١- محمد الوزير السراج
 - ١٢- د. عبدالعزیز محمد
الشناوي
- دار الفكر ١٣٩٨ هـ
الرياض - دار المريخ
- دار القلم - الكويت
دار الكتب العلمية -
بيروت - تحقيق أحمد
شاكر
- إحياء التراث الإنساني
١٣٩٨ - الرباط
مكتبة النهضة،
القاهرة ١٩٥٣ م
- المؤسسة العربية
للدراسات والنشر -
بيروت ١٤٠٠ هـ
- بيروت - دار المسيرة
ط / الثانية ١٩٩٣ م
المكتب المصري
الحديث للطباعة
والنشر القاهرة
- الرباط - المطبعة الوطنية
- الدار التونسية للنشر
تونس ١٩٧٠ م
مكتبة الانجلو المصرية
١٩٨٠ م
- الكامل في التاريخ
علم النفس التربوي
- علم النفس التعليمي
نفع الطيب من غصن
الأندلس الرطيب
- أزهار الرياض في
أخبار عياض
التاريخ الإسلامي
العام
- محنة العرب في
الأندلس
- المؤنس في أخبار
إفريقية وتونس
أصول علم النفس
- إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة
مكناس
- الحلل السندسية في
الأخبار التونسية
أوروبا في مطلع
القرون الحديثة

- ١٣ - عبداللطيف آل الشيخ
منهاج التأسيس والتأسيس في شبهات داود بن جرجيس
دار الهداية - الرياض ١٤٠٧ هـ
- ١٤ - أحمد زكي صالح
علم النفس التربوي
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦ م
- ١٥ - د. مصطفى صميحة
خليل الرحمن في ضوء السنة والقرآن
مطبعة الحسين الإسلامية القاهرة - ١٩٩٠ م
- ١٦ - إبراهيم الضويان
منار السبيل في شرح الدليل
مكتبة المعارف - الرياض ١٤٠٥ هـ
- ١٧ - محمد بن جرير الطبري
تاريخ الأمم والملوك
بيروت - دار سويدان
- ١٨ - محمد الطاهر بن عاشور
التحرير والتنوير
تونس - الدار التونسية للنشر - ١٩٨٤ م
- ١٩ - د. أحمد محمد عامر
أصول علم النفس في ضوء الإسلام
دار الشروق - جدة ١٤٠٦ هـ
- ٢٠ - يوسف بن عبدالبر
الاستيعاب في أسماء الأصحاب
بيروت - دار الكتاب العربي
- ٢١ - د. علي عجوة وآخرون
مقدمة في وسائل الاتصال
جدة - مكتبة مصباح ١٤٠٩ هـ
- ٢٢ - محمد الغزالي
الاقتصاد في الاعتقاد
دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٩ هـ
- ٢٣ - محمد عبدالله عنان
نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين
مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٨ هـ
- ٢٤ - محمد بن الطيب القادري
نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني
دار المغرب للتأليف والنشر الرباط ١٩٧٧ م
- ٢٥ - علاء الدين الكاساني
بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع
دار الكتب العلمية بيروت

- ٢٦- إسماعيل بن كثير البداية والنهاية دار المعارف- بيروت
١٤٠٢هـ
- ٢٧- شانتال لمرييه والكسندر بنيفس المسلمون في الاتحاد السوفيتي مؤسسة الرسالة ترجمة د. إحسان حقي
- ٢٨- ، ، ، ، المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي دار الفكر المعاصر- بيروت ١٤٠٩هـ
- ٢٩- غوستاف لويون حضارة العرب ترجمة عبدالقادر خليل مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٦٩م
ترجمة عادل زعير
- ٣٠- طلعت منصور وآخرون علم النفس العام مكتبة الإنجلو المصرية- القاهرة
- ٣١- عبدالله عبدالحى موسى المدخل إلى علم النفس القاهرة- مكتبة الخانجي ١٩٨١م
- ٣٢- د. عبدالمجيد نشواتي علم النفس التربوي بيروت- مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ
- ٣٣- أحمد بن عبدالله الأصفهاني حليه الأولياء وطبقات الأصفياء دار الكتب العلمية- بيروت
- ٣٤- انطونيو دومنيقير هورتز، ويرنارد بننت تاريخ مسلمي الأندلس دار الإشراف للنشر- قطر ١٤٠٨هـ
- ٣٥- محمد خير هيكل الجهاد والقتال في السياسة الشرعية بيروت- دار البيان ١٤١٤هـ
- ٣٦- د. مصطفى كمال وصفي مصنفه النظم الإسلامية القاهرة- مكتبة وهبة ١٣٩٧هـ

سابعاً: كتب البحوث والرسائل العلمية

- ١- محمد الدريعي
منهج إبراهيم عليه رسالة ماجستير غير
السلام في الدعوة إلى مطبوعة
الله في ضوء القرآن
- ٢- عبدالله بن علي أبوسيف
الخليل إبراهيم عليه رسالة ماجستير غير
السلام في الكتاب مطبوعة
والسنة، دعوته
وهجراته ورد شبه
المستشرقين

ثامناً: كتب المعاجم والقواميس

- ١- د. مصطفى إبراهيم وآخرون المعجم الوسيط
٢- إسماعيل بن حماد الجوهري الصحاح
٣- محمد بن محمد الحسين تاج العروس
الزبيدي
٤- أحمد بن فارس معجم مقاييس اللغة
٥- محمد بن يعقوب الفيروز القاموس المحيط
أبادي
٦- مجموعة من الباحثين الموسوعة الميسرة
٧- محمد بن مكرم بن منظور لسان العرب
- استانبول - دار الدعوة
دار العلم للملايين -
تحقيق أحمد
عبد الغفور - عطار
دار ليبيا للنشر
والتوزيع بنغازي
دار - صادر بيروت
١٤١٠ - تحقيق
عبد السلام هارون
مؤسسة الرسالة -
تحقيق المؤسسة نفسها
دار نهضة لبنان للطبع
والنشر بيروت
١٤٠٦ هـ
دار - صادر بيروت
١٤١٠ هـ

